عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال وبعد التحرر

اعداد الطالب:

حسن عبد الله حسن محمد

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين– 2005/2004

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين

خلال الاعتقال وبعد التحرر

اعداد:

حسن عبدالله حسن محمد

رسالة ماجستير

القدس- فلسطين:- 2005/2004

الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين

خلال الاعتقال وبعد التحرر

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

برنامج الدراسات الاسرائيلية /قسم الدراسات الاقليمية.

القدس –فلسطين–2005/2004

برنامج الدراسات الاسرائيلية – قسم الدراسات الاقليمية

عمادة الدراسات العليا

الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال وبعد التحرر

اسم الطالب : حسن عبد الله حسن محمد

الرقم الجامعي: 20010784

المشرف : الدكتور محمود محارب

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ 2005/1/12م

من لجنة المناقشة المدرجة اسماؤهم وتواقيعهم:

1- الدكتور محمود محارب	رئيس اللجنة	التوقيع
2- الدكتور اياد البرغوثي	ممتحنا داخليا	التوقيع
3- الدكتور صبحي حمدان	ممتحنا خارجيا	التوقيع

جامعة القدس

2005/2004

بيان

اقر ان رسالتي المقدمة الى جامعة القدس لنيل درجة الماجيستير ، انها نتيجة ابحاثي الخاصة بإستثناء ما تم الاشارة اليه حيثما ورد ، وان هذه الرساله او اي جزء منها لم يقدم لنيل درجة عليا لأي معهد او جامعة

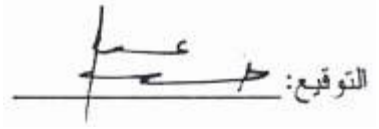

الاسم : حسن عبد الله حسن محمد

التاريخ : 2004/12/1

الاهداء:

كثيرون هم الذين تقاسمت معهم لقمة الخبز و البرش في معتقلات الاحتلال. ومع تسارع عقارب ساعة الزمن، ومع اتساع وابتعاد خطوات السنوات، فان اسماء كثيرة قد اسقطتها الذاكرة من محطة زمنية الى اخرى، بيْد ان بعض الاسماء ظلت اقوى من النسيان، لانها استقرت في بؤرة الذاكرة، بل واسهمت في تشييد حجرات معين فيها... الى كل من علمني حرفا... الى كل من ارشدني الى كتاب قيّم... الى كل من اشعل امامي شمعة في مدرسة الاعتقال، تلك المدرسة التي زودتني بالمعارف و الخبرات، ما جعل تجربتي الاكاديمية في الدراسات العليا، في منتهى المتعة، بعد مرور سنوات طوال على انتهاء تجربتي الاعتقالية.

حسن عبدالله

رام الله/ فلسطين

2004/9/1

الشكر والتقدير

اتقدم بالشكر الى الدكتور محمود محارب، الذي اشرف على هذه الرسالة، ولم يبخل بملاحظاته وآرائه القيمة. واشكر خريجي (مدرسة الاعتقال) الذين قدموا لي ما احتجت من معلومات، لم تكن في الاصل مدونة وموثقة في مراجع. واشكر الدكتور اياد البرغوثي والدكتور صبحي حمدان، لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة وابداء ملاحظاتهما المفيدة.

كما اشكر ادارة مركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة التابع لجامعة القدس. على ما قدمته لي من مساعدة، تمثلت في تزويدي بقائمة المحررين الذين لهم علاقة بالترجمة عن اللغة العبرية، او الذين عملوا في مواقع تطلبت معرفة بالعبرية والمجتمع الاسرائيلي، اضافة الى المساعدة في توفير مراجع تناولت مراحل تجربة المعتقلين الفلسطينيين.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
عنوان الدراسة	III
صفحة لجنة المناقشة	IV
البيان	V
الاهداء	VI
الشكر والتقدير	VII
فهرس المحتويات	VIII
الملخص بالعربية	XII
الملخص بالانجليزية	XVI
المقدمة عندما يتزاوج و يتمازج الابداع مع الارادة	XX
اهمية البحث	XXII
اسئلة البحث	XXIII
الفرضيات	XXIII
المنهج	XXV
حول بعض التسميات والمصطلحات معتقلون أم أسرى أم سجناء	XXVI

مدخل نظري: علاقة جذب وتوتر ما بين المناضل المعتقل والصحيفة العبرية	XXIX
الفصل الاول: لمحة تاريخية من العفوية الى النضج مراحل اسست لبعضها	1
المرحلة الاولى: البدايات– حتى اضراب عسقلان الشهير من العام 76– الى العام 77/76	2
ملامح التجربة في هذه المرحلة	3
مخططات ادارة السجون لتفريغ المعتقلين من المضمون السياسي والثقافي والانتماء الفصائلي	6
كيف ذاد المعتقلون عن انفسهم وانتصروا لانتمائهم	8
المرحلة الثانية: من 66/67–84 "اشتداد العود"	10
المرحلة الثالثة: نضج التجربة وتعميم الخبرات من العام 1984–1993	15
المرحلة الرابعة: من صدمة اوسلو الى"عودة الامل"	19
هوامش الفصل الاول	25
الفصل الثاني: الملامح الثقافية والصحافية في التجربة الاعتقالية	29
النضال من اجل ادخال القلم والورقة	30
الكتاب (الثورة الثقافية)	31
تعلم اللغات، خصوصا العبرية	32
الصحف	34
الصحف والمجلات العبرية	37
الصحافة العبرية قناة معلوماتية للصحافة الاعتقالية	39
تبلور حركة الترجمة في المعتقلات	42

لاسيما عن اللغة العبرية	
النتاجات الابداعية	44
الاهتمام بالحركة الثقافية والابداعية الاسرائيلية	48
هوامش الفصل الثاني	51
الفصل الثالث: التفاعلات الداخلية التي احدثتها الصحف العبرية	55
كيف تعامل المعتقلون مع هذه الصحف	55
الرقابة الداخلية	57
المكانة الثقافية والاجتماعية للعاملين في الترجمة	62
هوامش الفصل الثالث	65
الفصل الرابع: صحف اسهمت في كسر الحصار	67
اخباريا ومعلوماتيا	69
سياسيا وتحليليا	74
التعرف على المجتمع الاسرائيلي	77
دور الصحف في تحفيز المعتقلين على تعلم اللغة العبرية	81
بلورة وتفعيل لجان الترجمة	83
هوامش الفصل الرابع	87
الفصل الخامس: اقصى درجات الاستثمار في الاعتقال وبعد التحرر	89
نشر اخبار المعتقلين في الصحف العبرية	89
بعد التحرر	95
العمل في الصحف والمجلات والمكاتب الصحفية	97
مؤسسات ومراكز بحث ونشرات	101
هوامش الفصل الخامس	110
الفصل السادس: المتابعة الدؤوبة للصحف العبرية بين الفوائد الكبيرة	112

وبين الوقوع في فخ التوجهات الاسرائيلية	
الفئة المستهدفة	113
اللغة والصحف العبرية قبل الاعتقال وبعده	114
الصحف العبرية ليست هدية من ادارة السجون	115
صحف اكثر تطورا من الصحف الفلسطينية	116
الصحف واللغة العبرية مكون مهم في حياة المهتمين من المحررين	118
تجليات تأثير الصحف العبرية	121
حل القضية	123
الخلاصة	126
هوامش الخلاصة	132
المراجع	133
الملحق	141

الملخص:

الصحف العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين

خلال الاعتقال وما بعد التحرر.

اعداد

حسن عبدالله حسن محمد

اشراف

الدكتور محمود محارب

تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً وحساساً اصبح له تأثيره وتفاعلاته المختلفة في المجتمع الفلسطيني، ويتمثل في الدور الذي اضطلعت به الصحف العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، وكيف اسهمت هذه الصحف في تحفيز المعتقلين على تعلم اللغة العبرية وبالتالي خلق نواة حركة ترجمة تطورت شيئا فشيئا، الى ان انتقلت خارج الاعتقال مع تحرر عدد من الكفاءات. وقد عمل عدد من الذين اتقنوا اللغة العبرية خلال فترات اعتقالهم ومارسوا الترجمة عن العبرية، على تطوير ادواتهم في هذا المجال، واستثمار ما تعلموه في تأسيس مراكز متخصصة في الترجمة عن العبرية وفي متابعة الشؤون الاسرائيلية. كما ان عددا من المحررين قد عملوا في مستويات قيادية في السلطة الوطنية، حيث كان اتقان اللغة العبرية ومعرفة المجتمع الاسرائيلي شرطا لاشغال مواقعهم، كالعمل في الارتباط المدني ومؤسسات اخرى انشئت من اجل متابعة قضايا المواطنين الفلسطينيين مع الاسرائيليين.

انطلقت الدراسة من مجموعة من الفرضيات، اهمها ان الصحف العبرية شكلت مادة اخبارية متنوعة اسهمت في كسر طوق العزلة المفروض على المعتقلين الفلسطينيين، وعرفتهم على اساليب

و تقنيات الصحافة العبرية. حفز وجود الصحف العبرية عشرات المعتقلين وربما المئات منهم، من الذين دخلوا المعتقلات وهم لا يعرفون اللغة، الى دراستها و تعلمها، لكي يتسنى لهم قراءة الصحف العبرية، خصوصا ذوي الاحكام الطويلة. ولم تقتصر فرضيات البحث على داخل الاعتقال بل تتبعت ذلك الى ما بعد التحرر، حيث ربطت ما بين تعلم اللغة العبرية و تبلور حركة الترجمة في الاعتقال، وما بين تنشيط وتفعيل حركة الترجمة عن العبرية في الخارج. لكن الفرضيات لامست الجوانب السلبية ايضا، من خلال اعتبار ان الادمان على الصحف العبرية في الاعتقال وبعد التحرر كان له انعكاسات خطرة، من خلال التأثرالتدريجي بما يكتبه المحللون الاسرائيليون، ومن ثم التأثر بآلية التفكير الاسرائيلية والانبهار بها، الأمر الذي من شأنه ان يزعزع بعض القناعات السياسية.

ولأن موضوع البحث، لم يتم تناوله في اي دراسة سابقة، من قبل اي من الباحثين الفلسطينيين والعرب، فقد احتاج الباحث لاجراء مقابلات مع عدد من ذوي التجربة، حيث تم التعامل معهم كمصادر اولية، ثم استفاد من بعض الدراسات العامة التي تناولت ا لتجربة الاعتقالية، سعيا للاستفادة من ايه معلومات تطرقت لموضوع الدراسة من قريب او بعيد.

اما قياس مستوى هذا التاثر ودرجاته وانعكاس ذلك في قناعاتهم السياسية وغيرها فقد احتاج الامر الى استبيان للقياس، لذا تم استطلاع اراء عينة تتكون من(80) محررا، من ذوي التجربة، من اصل (200 هي مجتمع الدراسة، بالاستناد الى احصائية لدى مركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة التابع لجامعة القدس) اي بنسبة 40%، وكانت نتيجة الدراسة ان 75% من المستطلعة اراؤهم احتاجوا الى اللغة العبرية بعد تحررهم، وان 40% اصبحت اللغة العبرية من مكونات وظائفهم، فيما 15% احتاجوا اللغة العبرية بشكل جزئي في وظائفهم. وبينت الدراسة ان 15% من

الذين عكفوا على متابعة الصحف العبرية في الاعتقال اصبحوا اكثر تسامحا مع المجتمع الاسرائيلي، بينما كان تسامح 15% محدودا، فيما اكد 70% ان متابعتهم للصحف العبرية لم تجعلهم اكثر تسامحا مع المجتمع الاسرائيلي.

وحول مدى تفهم ان يعيش المجتمع الاسرائيلي في دولة خاصة به وارتباط ذلك بتاثير الصحف على المستطلعين، اجاب 35% منهم، بانهم اصبحوا اكثر تفهما، مقابل 65% اجابوا بالنفي. 55% من المستطلعين اكدوا ان اطلاعهم على ما يجري في اسرائيل من خلال الصحف، جعلهم اكثر واقعية تجاه حل القضية الفلسطينية، في حين ان 45% اختاروا الاجابة ب"لا". اما اللافت في النتيجة التي حملها الاستبيان ان 30% من المستطلعين كونوا قناعة لحل القضية على اساس دولتين، نتيجة اطلاعهم على المجتمع الاسرائيلي وظروفه ومتطلباته، في حين اعتبر 70% ان هذه الصحف لم تزحزح في قناعاتهم شيئا.

شكلت الصحافة العبرية في المعتقلات قناة اخبارية ومعلوماتية وتحليلية وثقافية، اسهمت اسهاما حقيقيا في فتح ثغرة مهمة في جدار الحصار. لكنها الى جانب ذلك شجعت تعلم اللغة العبرية والترجمة عنها، واهلت عشرات المعتقلين لممارسة الترجمة وسلحتهم بمهنة، استفادوا منها بعد تحررهم، وانقذتهم من العوز ووفرت لهم حياة انسانية كريمة.

ان اهمية هذه الدراسة تكمن في انها الاولى في مجالها، لعل ذلك يشجع باحثين اخرين للتوسع والتطوير، كما هو الحال بالنسبة الى كثير من الجوانب المتعلقة بالتجربة الاعتقالية، التي لم تاخذ حقها من التوثيق والتحليل، والتي يوصي الباحث المهتمين والمؤسسات والمركز البحثية بتناولها، لما تحمله من غنى وعمق ودلالات اجتماعياً ونضالياً وثقافياً وفكرياً وابداعياً، وما الصحف العبرية في

هذه التجربة، الا جزئية او حلقة في السلسة الكلية.

Summary:

Hebrew Newspapers in the lives of
Palestinian prisoners
During incarceration and after freedom

Prepared by

Hasan Abdallah Hasan Mohamad

Supervised by

Dr. Mahmoud Mhareb

This study deals with an important and sensitive subject that had different effects and reactions in the Palestinian community. It represents the role which hebrow newspapers played in the lives of the Palestinian prisoners and how these newspapers encouraged the prisoners to learn the Hebrew language and in turn create the nucleus of a translation movement that developed over the years until it leaped outside the walls of the prison as some of the qualified prisoners gained their freedom. A number of the prisoners who excelled in Hebrew language during their incarceration and practiced translation from Hebrew went on to develop their skills and invest in establishing translation centers specializing in Hebrew translation thus giving the ability to stay abreast with Israeli affairs.

A number of these translators / writers were members of the leadership of the Palestinian Authority, where good command of the Hebrew language and good knowledge of the Israeli community were among the requirements for those positions. Among those positions are jobs with the DCO and other agencies established for the purpose of documenting and tracking on Palestinian citizens cases with the Israelis.

The study started with a number of assumptions. The most important of these

assumptions is that Hebrew newspapers had established an assorted news section that helped break the circle of isolation imposed on the Palestinian prisoners. This acquainted the prisoners with the procedures and technology of Israeli newspapers. The presence of Hebrew newspapers encouraged tens and perhaps hundreds of Palestinian prisoners, especially those with sentences, who entered the prison without knowing any Hebrew, to learn the language, in order to be able to read Hebrew newspapers.

The study's assumptions were not limited to what happens inside the prison but followed that beyond freedom. It correlated learning Hebrew and the translation movement inside the prison walls and increased translation activities from Hebrew outside the prison walls. The assumptions had a negative side too, reading Hebrew newspapers inside the prison walls for a long time created a sense of dependency on those newspapers as stated by Israeli analysis. The prisoners were influenced by and appreciated Israeli thinking which created a great concern among Politicians.

Since the subject of the study was not taken up previously by any Palestinian or Arab researcher, this researcher had to meet with a number of released prisoners as an initial source of information. At the same time the researcher consulted some public studies that dealt with the prisoners' experience in an attempt to gain some information.

As for proving the level and degree of this influence in their political attitudes and other areas, it became necessary to perform a survey. This is why the researcher surveyed (80) of the released prisoners who worked with newspapers. (The total population of the study is 200 according to a survey by Abu Jihad Center for families of prisoners at Al-Quds University) i.e. 40%. The result was that 75% of those surveyed needed Hebrew language after being released, and 40% of them had jobs where Hebrew

language was part of the requirements for that job although only 15% of those needed Hebrew, only partly in performing their jobs. The study showed that 15% of those who used Hebrew newspapers in prison became more lenient with Israeli society, meanwhile, 15% had limited leniency. 70% stated that their use of Hebrew newspapers did not make them more lenient to Israeli society.

As for the extent that Israelis may have their own state and its influence on those surveyed, 35% of them stated that they have become more understanding. 65% were negative, 55% of those surveyed stated that learning what happens in Israel through the Hebrew newspapers made them more realistic about the solution of the Palestinian Problem, 45% were negative.

What was noticeable in the survey results is that 30%of those surveyed became convinced of the two state solutions as a result of their understanding of Israeli society. At the same time 70% stated that the newspapers did not influence them.

The Hebrew newspapers formed informational, analytical and educational channel to the prisoners that had a real influence in breaking the siege. In addition it encouraged the prisoners to learn Hebrew and translate from it. It, also, qualified tens of prisoners to work in translation and equipped them with a skill that they can use once they are released. It helped them grow out of poverty and afforded them a life with dignity.

The importance of this study is that it is the first of its kind. We hope this will encourage other researchers to expand and develop it. Many areas dealing with the prisoners experience did not take what it deserves in analysis and documentation which this researcher recommends that it be taken up by. Researchers' centers and organizations

as well as those who care. This is researchers' opinion that these research opportunities are rich in depth, social affairs, educational ideas and thinking. The Hebrew newspapers in this study are but a small part of the total chain.

المقدمة

عندما يتزاوج و يتمازج
الابداع مع الارادة

ظاهرة الاعتقال في التجربة النضالية الفلسطينية ليست جديدة من حيث مداها الزمني، وإنما تضرب جذورها منذ الهيمنة العثمانية على المنطقة العربية، ومنها فلسطين، ومروراً بالانتداب البريطاني، ثم الاعتقال السياسي للشيوعيين والقوميين وبعض الاتجاهات الدينية فترة الحكم الأردني وصولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي، ليتحول الاعتقال خلال هذه الفترة التي مازالت امتداداتها وتجسيداتها مستمرة إلى ظاهرة لها ثلاثة أبعاد رئيسة:

البعد الوطني النضالي المرتبط بمرحلة التحرر الوطني وتحدياتها واستحقاقاتها الجسام. وتتربص بالجسم المعتقل و تستهدفه ظروف واشتراطات واخطار مستمرة من قبل الاحتلال، الذي يسعى إلى تدمير المناضل المعتقل فكرياً وسياسياً واجتماعياً، ليغدو غير قادر على الإسهام في العملية النضالية مرة أخرى، ولتشكل حياة الاعتقال رادعاً للآخرين تمنعهم من مجرد التفكير في الانخراط الطوعي، في أحد فصائل العمل الوطني الفلسطيني. لذلك فقد تطلبت مواجهة هذه المخططات استنفاراً دائماً من المعتقلين كأفراد وجسم موحد، للذود عن الهوية الوطنية عن طريق التعبئة والتحصين والتحشيد.

أما البعد الثاني، فهو إنساني بكل المعايير، فالمناضل المعتقل هو إنسان، يقوى ويضعف، يمرض ويبرأ، ترتفع وتائر حماسته وتنخفض، يحن إلى الحياة خارج الاعتقال، بما تمثله من حرية و انطلاق، ويحن إلى الأهل والأصدقاء، ويتعذب لأنه أُبعد قسراً عن الزوجة والأطفال أو عن الصديقة

أو الحبيبة، أو لأنه انتزع من مقاعد الدراسة و حرم من مواصلة تحصيله الأكاديمي ...الخ.

يتداخل البعدان الوطني والإنساني، يتلاحمان لدرجة يصعب التمييز بينهما، فالمناضل من أجل ان يصمد ويمنع الأعداء من اختراق جبهته، يحتاج إلى جملة من الإجراءات والضوابط الصارمة، مثل ان يتسامى على شهواته، ويصبر على الحرمان، ولا يبدو ضعيفاً إزاء قضاياه الاجتماعية الخارجية، لكي لا يتسلل من يضعون الأغلال في معصميه، إلى حصنه النضالي يعيثون فيه خراباً. وبناءً عليه، فإن الباحث غالباً ما يجد صعوبة في فصل هذين البعدين عن بعضهما، علاوة عن أية محاولة للفصل هي في الأساس تعسفية، فإقصاء الوطني عن الإنساني مجافاة للقوانين النضالية والإنسانية، كون النضال ليس هدفاً بحد ذاته، وإنما وسيلة للوصول إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الإنسانية التي تمكن الفرد والجماعة من العيش بكرامة، بعيداً عن قهر الإنسان ومصادرة حقوقه و لجم تطلعاته وتوجهاته الرامية إلى تحسين شروط حياته.

ويتمحور البعد الثالث في الجانب الفكري والثقافي والإبداعي، في إطار نضال المعتقلين للحفاظ على هويتهم و صون إنسانيتهم وإفشال مخططات الاختراق والتفريغ، ولهذا فقد خاضوا غمار تجربة ربما تكون هي الأغنى في تجارب حركات التحرر الوطني الشبيهة، لمجموعة من الأسباب أهمها:

أولاً: تواصلها وامتدادها واستمراريتها.

ثانياً: نظراً لكمْ المعتقلين الذين تجرعوا مرارة الاعتقال سواء لفترات طويلة أو قصيرة مرة واحدة أو عدة مرات.

ثالثاً: ما أفرزته التجربة من نتاج فكري وثقافي وسياسي وأدبي وتشكيلي ولغوي، لدرجة ان

رجالات إدارة السجون اضطروا إلى الاعتراف أمام المعتقلين، بان السجون قد تحولت إلى مدارس وجامعات.

منذ سنوات طوال اهتم عدد من الباحثين الفلسطينيين بتناول التجربة الاعتقالية، لكن ما قاموا به كان في غالبيته بمبادرات فرديه، في ظل شبه الغياب للمؤسسه التي من شانها ان تاخذ على عاتقها هذه المهمة بشكل شمولي وممنهج*. وكان للباحث اهتمام خاص بالبحث في التجربة الاعتقالية، لذا فقد جاء اختيار موضوع "الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال وبعد التحرر"، ضمن توجه الاسهام بجهود اضافية على هذا الصعيد.

أهمية البحث:

لا توجد دراسة متخصصة ومنهجية تناولت موضوع الصحف العبرية وأثرها في حياة المعتقلين الفلسطينيين، وما أحدثته من تفاعلات مختلفة، وضمن أي إطار ووفق أية منهجية تعامل المعتقلون معها.

وقد تطرق بعض الباحثين لهذه الظاهرة بشكل عابر في بحوث تناولت التجربة الاعتقالية عامة، إذْ ان نصيب هذه الظاهرة كان هامشياً، حيث لم تأخذ حقها من التوثيق والتحليل. من هنا فان البحث فيها بشكل شمولي، ربما يكون الأول من نوعه، لذلك فان الباحث اضطر للعودة إلى المصادر الأولية، وتحديداً إلى ذوي التجربة ومحاورتهم للحصول على المعلومات منهم مباشرة.

* و من أبرز من اهتموا بتوثيق و تحليل نتاجات المعتقلين و إبداعاتهم، عيسى قراقع، احمد أبو غوش، عطا القيمري، المتوكل طه، سمير شحادة،عزت الغزاوي، فايز أبو شمالة، أبو سليم جادالله، فهد أبو الحاج وغيرهم.و كان للباحث إسهامات على هذا الصعيد، فهو أبن للتجربة الاعتقالية، حيث صدرت له أربع دراسات متخصصة.لذا جاء اختياره لموضوع الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال و بعد التحرر ضمن توجه الإسهام بجهود أضافية، من خلال البحث في جانب آخر من التجربة.

أسئلة البحث:

يسعى البحث للاجابة عن مجموعة من الاسئلة اهمها:-

هل نجح المعتقلون الفلسطينيون في كسر طوق الحصار المفروض عليهم من خلال الصحف العبرية ؟

هل شكلت هذه الصحف مصادر معلومات حقيقية ؟

هل أخذ المعتقلون ما تنشره الصحف العبرية كمسلمات ؟

هل كان لهذه الصحف تأثير سلبي على المعتقلين، بمعنى التأثير على قناعتهم السياسية والفكرية ؟

إلى أي مدى أسهمت الصحف العبرية في تنشيط حركة الترجمة في المعتقلات ؟

كيف استطاع المعتقلون ان يؤسسوا لحركة ترجمة عن الصحف العبرية، أصبح لها امتدادها خارج الاعتقال، لا سيما بعد تحرر عدد من المعتقلين الذين أتقنوا اللغة العبرية ؟

الفرضيات:

- وفر إتقان عدد لا بأس به من المعتقلين للغة العبرية وسيلة مهمة للتعرف على توجهات و مسار المجتمع الإسرائيلي ونظام الحكم، ومعرفة الإنجازات والإخفاقات من خلال ما تنشره الصحف بعد السماح بدخول الصحف والمجلات العبرية إلى المعتقلات.
- شكلت الصحف العبرية مادة إخبارية متنوعة أسهمت في كسر طوق العزلة، كما عرّفت هذه الصحف المعتقلين على أساليب وتقنيات الصحافة العبرية.

- حفز وجود الصحف عشرات المعتقلين وربما المئات منهم، من الذين دخلوا المعتقلات وهم لا يعرفون اللغة العبرية، إلى دراستها وتعلمها، لكي تتسنى لهم إمكانية قراءَة الصحف العبرية، خصوصا ذوي الأحكام الطويلة.
- استفاد المهتمون بالصحافة والترجمة ومن خلال قراءَة المقالات والأخبار والتحليلات على مدى سنوات طوال، من الأساليب الكتابية لعدد من المحللين والمختصين الإسرائيليين في السياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والشؤون الفلسطينية والعربية.
- تعامل المعتقلون مع هذه الصحف بشكل انتقائي، وكانوا يترجمون المواضيع التي تهمهم والتي توفر لهم المعلومات. وكان ما يترجم يخضع للغربلة والتحليل، الأمر الذي قلَّل من التأثر بالعقلية السياسية والثقافية والاجتماعية الإسرائيلية.
- عملت المتابعة اليومية للصحافة العبرية لفترة طويله الى احداث تغيير في مواقف بعض المعتقلين المؤثرين من المجتمع الاسرائيلي، وبالتالي من الحل النهائي للقضية الفلسطينية على اساس دولتين.
- بعد ان اضطلع عدد من المحررين بمواقع مهمة في مؤسسات السلطة الفلسطينية، او في مؤسسات اهلية، كان تاثير سنوات الاعتقال واضحا على تفكيرهم وتوجهاتهم، خصوصا اولئك الذين عرفوا بمواظبتهم على قراءة الصحف العبرية، حيث ظلوا مشدودين للتجربة الاسرائيلية، من منطلق ان فيها الكثير مما يمكن تقليده.

المنهج:

لا يمكن فهم التعامل مع الصحف العبرية، ونشاط حركة الترجمة وتشكيل اللجان المختصة، بمعزل عن التعرض للسياق التاريخي لتجربة المعتقلين الفلسطينيين والمراحل التي مرت بها. وعليه فان البحث سيتبع المنهج التاريخي التحليلي، حيث سيتناول مراحل تطور التجربة الاعتقالية، وسيحلل معطيات كل مرحلة، وسيتم تبيان المراحل بعضها ببعض، بغية تاكيد او نفي الفرضيات.

حول بعض التسميات والمصطلحات

معتقلون أم أسرى أم سجناء:

استعمل الباحث في هذا البحث تسمية المعتقلين ولم يستعمل السجناء أو الأسرى، كما لم يستعمل تسمية السجن بل المعتقل. وبالنسبة إلى تسمية إدارة او مصلحة السجون فقد بقيت كما هي معروفة ومتداولة.

أما لماذا تم تثبيت تسمية المعتقلين بدل السجناء والأسرى، والمعتقلات بدل السجون؟ وهل التسمية مهمة إلى هذا الحد ؟. يعتقد الباحث ان التسمية تحمل معانٍ تدلل على أبعاد قانونية أو إنسانية معينة، وهنا تمكن أهمية التدقيق فيها [1] .

دأبت أجهزة الاحتلال ودوائره الرسمية ووسائله الإعلامية على تعميم تسمية السجناء على المناضلين الفلسطينيين والعرب، على اعتبار ان السجن هو عقاب لمن يرتكب مخالفة أو جريمة، وأن الفلسطينيين سواء قاموا بأعمال مقاومة ميدانية أو سياسية عامة، فإنهم قد خالفوا القوانين والتحديدات الإسرائيلية وبذلك القي القبض عليهم وخضعوا إلى محاكمات، اختلط ما استندت إليه "بين قوانين الطوارئ البريطانية والقوانين الإسرائيلية الحديثة ". ان هذه التسميات تهدف إلى وضع المناضلين الفلسطينيين الذين تعترف القوانين والمواثيق والتعريفات الدولية بوضعيتهم كمناضلين من أجل التحرر، في نفس السلة التي تضع فيها السجناء الجنائيين الذين سجنوا بسبب قيامهم بعمليات قتل وتهريب مخدرات..الخ.

لذا فإن من يستعمل تسمية السجناء ويسحبها على المناضلين الفلسطينيين، إما ان يكون

[1] – تناول الباحث التسمية في كتابه النتاجات الأدبية الاعتقالية ، حيث بيّن أسباب انحيازه لتسمية المعتقلين .

سعى إلى ذلك بقصد وإصرار، او لأهداف سياسية وقانونية ودعائية كما يفعل الاحتلال. أو ربما انه انجر "بحسن نية" وراء التسمية الاحتلالية دون ان يدرسها أو يمحص دلالاتها، كما يفعل أناس عاديون بتلقائية بريئة أو حتى بعض المؤسسات الفلسطينية. وإذا كان المناضل الفلسطيني ليس سجيناً، هل ينطبق عليه وضع أسير؟

ان المناضلين الفلسطينيين طالما طالبوا وأضربوا وتوجهوا الى المؤسسات القانونية والإنسانية الدولية للضغط على الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لكي تتعامل معهم كأسرى حرب، وفق ما نصت عليه اتفاقية جنيف الرابعة. لكن هذه التوجهات قد رفضت إسرائيلياً بالمطلق، ورفضها له دوافعه السياسية، حيث تصر على ان المعتقلين الفلسطينيين مجرد مجرمين خرقوا "القوانين" وتمردوا عليها. علاوة على ذلك فان الاسير له حقوقه وله وضعيته القانونية ويجب ان يحظى بخصوصية معيشية وصحية وثقافية، الامر الذي رفضه الاحتلال متبعا كل الاساليب من اجل صبغ الواقع الاعتقالي بمقايسه واجراءاته وممارساته.

أما في حال الفلسطينيين والعرب، فإنهم لا يعيشون ظروف أسرى لا من حيث المعاملة ولا من حيث شروط الحياة اليومية، وهم يخضعون إلى تحقيق صعب وقاس قبل ان يتم تحويلهم إلى محاكم عسكرية. لكن تسمية الأسرى نجدها باستمرار في المداولات الشعبية والمؤسساتية، من باب الاحترام أو التقدير، أو لأسباب سياسية، وربما في إطار الطموح والأمل بأن يصل مستوى التعامل مع المناضلين إلى مرتبة التعامل مع الأسرى. بيْد ان الطموح لا يغيِّر الواقع الصعب والمعقد الذي يعيشه الفلسطينيون خلف القضبان.

أما لماذا المعتقلون ؟

ما ذكرناه هو جزء من الإجابة، لكن الجزء الثاني ارتبط مباشرة بما أفضت إليه نقاشات المعتقلين الفلسطينيين أنفسهم، والذين حددوا بأنهم يعيشون ظروف اعتقال حقيقية، كوضعية ومعاملة ومحاكمات، حيث لا تعترف سلطات الاحتلال بأية حقوق نصت عليها اتفاقية جنيف الرابعة، وبالتالي لا تطبق أياً منها، لذا فإن تعميم تسمية الأسرى الفلسطينيين دولياً وكأنه تزييف للواقع وتجميل لوجه الاحتلال، والايحاء انهم يعيشون ظروف اسرى، بينما الواقع هو غير ذلك.

لهذا وعطفا على ما ذكر، استعمل الباحث تسميات "التجربة الاعتقالية"، "الصحافة الاعتقالية"، "الظروف الاعتقالية"، "معتقلات الاحتلال"، "المعتقل"، أحيانا للتدليل على مكان الاعتقال وأحيانا أخرى للتدليل على المناضل الذي هو قيد الاعتقال"، وكل ذلك انبثق من اعتماد تسمية المعتقلين لتوصيف وضعية المناضلين الفلسطينيين والعرب الذين قبعوا في السابق، ويقبعون الآن خلف القضبان، وان استعمال تسمية السجن، السجناء، الاسرى، قد جاء في اطار الاقتباس فقط، لانه لايجوز بحثيا التدخل في تسميات الاخرين، حتى لو تناقضت او تعارضت مع تسميات الباحث.

مدخل نظري:

علاقة جذب و توتر

ما بين المناضل المعتقل و الصحيفة العبرية

العلاقة بين المعتقل الفلسطيني والصحافة العبرية، هي علاقة مركبة، لعامل التناقض فيها حضور مكثف.لاننا نقصد صحف انتجتها دولة احتلال ومعتقلين فلسطينين"متلقي" تحتجزهم اجهزة هذه الدولة، لرفضهم ومقاومتهم احتلالها ارضهم. ان دور هذه الصحف يفترض ان يكون معاديا للشعب الفلسطيني وللنخب النضالية والسياسية والثقافية التي زج الاحتلال باعداد كبيرة منها في غياهب المعتقلات.

والمفارقة هنا المنبثقة من صميم عامل التناقض، ان المعتقل الفلسطيني يتعامل مع هذه الصحف وهو يدرك انها مؤدلجة وتنتج في دولة قامت على اساس نفي وجود الفلسطيني، وتتعامل في المنطقة من منطلق القوة والنفوذ والغطرسة. ومع ذلك وجد هذا المناضل المعتقل في الصحيفة العبرية نافذته على الحياة خارج الاعتقال بكل تفاعلاتها وابعادها.

إذن نحن أمام ضدين، سجّان وسجين. الأول ينتمي الى مجتمع ينتج صحفا لنفسه وبلغته. والثاني معتقل سياسي يحاول تلمس طريقا إخبارياً وتحليلياً من خلال صحف عدوه، لعله يفتح ثغرة نحو الحياة. لكن أية ثغرة يريدها المعتقل، هل هي ثغرة تمكنه من الرؤية والتعامل مع تلونات وتوجهات وتبدلات الواقع، بعيون ومقاسات السجان، أم ثغرة يفتحها المناضل المعتقل باتساع عينيه، وبقدرة هاتين العينين على القراءة والفرز، اي القراءة التي تمكن من فصل الخيوط والألوان عن بعضها بعضا، والقراءة التي تمكن العينين من الرؤية في كل الاتجاهات، لاسيما في اتجاه الوطن

والثورة، واتجاه الضد المهيمن على البشر والشجر والحجر؟؟

والتناقض هنا يتمثل في كيف يمكن للمناضل المعتقل ان يستفيد من صحف عدوه، دون ان تتقولب أفكاره بقوالب هذه الصحف كتابةً وتحليلاً وتوجهاً.

وجد الاحتلال في إدخال هذه الصحف استجابة للتطورات والتغيرات التي أحدثتها سيرورة وصيرورة تجربة المعتقلين. لقد بات السجّان يدرك ان الزمن لم يتسمر عند العام 67، حيث ظروف الاعتقال التي تصبح أمامها كلمة "مأساوية" قاصرة، عاجزة عن التعبير، كما انه توصّل الى نتيجة مفادها، ان إخماد النار التي أشعلتها الاضرابات المفتوحة عن الطعام، تفرض الاستجابة الى بعض المطالب، كي لا يمتد الحريق من بين الجدران الى الشارع، خارج دائرة الاعتقال. وإذا كان إدخال هذه الصحف قد شكّل توترا لدى السجّان، الذي وجد ان ادخال الصحف انتزع منه انتزاعاً، وان المعتقلين صار بمقدورهم الإطلاع على ما هو متاح للمواطن الإسرائيلي، وتحقيق هذا الإنجاز بالنسبة الى المعتقلين بقدر ما حمل من ايجابيات، فان ذلك في المقابل حمل معه توترا لم يبرح التجربة حتى بعد مرور ما يقارب ربع قرن على السماح بإدخال الصحف الى المعتقلات. ومصدر هذا التوتر هو المعادلة المعقدة التالية:- كيفية الاستفادة مما تنشره الصحف اليومية، دون جعل توجهاتها تسيطر على تفكير المعتقلين وتتسلل الى قناعاتهم.

كان المعتقل الفلسطيني يشعر بالحاجة الإنسانية للتواصل مع العالم الآخر. فالاعتقال لاسيما طويل الأمد، مقصود به درجة ما بين الحياة والموت، يعمل السجّان فيها على تقريب المعتقل من الموت، ويعمل المعتقل فيها على تقريب نفسه من الحياة. هنا يمكن للصحيفة ان تكون أداة تقريب من الحياة، من العالم وما يدور فيه، من حركته السريعة وأحداثه المتواصلة وصراعاته القاسية

... الخ. لكن المعتقل بما هو جزء من حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية، يدرك ان هذه الصحيفة التي صارت في متناول يده، هي صحيفة معادية. يبرز التوتر هنا تحديدا، بين الحاجة والرغبة بهذه الصحيفة والخشية من دورها السياسي والنفسي والثقافي من ناحية ثانية.

احتاج المعتقلون الى جهود كبيرة والى إتباع وسائل متعددة لتوظيف الصحافة العبرية في خدمتهم، والقيام بتضميد سريع للجراح الجانبية التي كانت تحدثها هذه الصحافة من حيث ما تحمله من أفكار وتوجهات، وتعميم الفوائد التي تحتويها من حيث فنيتها، وتعدد الآراء فيها، واتساع مساحة حرية الرأي على الأقل للإسرائيليين.

وضعت الصحافة العبرية في المعتقلات تحت مجهر المنقحين والكوادر والمترجمين، ليترجموا وينقحوا ويعلقوا ويحذروا، ليمارسوا احيانا درجة من "السلوك اللاديمقراطي" والمتمثل في الرقابة الداخلية والمنع، وهذا يضيف توترا آخر في أوساط المعتقلين انفسهم. يضاف الى ذلك توتر اخر مع ايجابيات وجود هذه الصحافة في المعتقل، واذا ما كانت قد أُستثمرت على النحو الأنسب أم لا ؟. انه توتر بين دور الصحف العبرية ذات الامكانات اللافتة مهنياً وتقنياً، وبين توظيف المعتقلين لهذه الصحافة لصالح تطورهم الثقافي واستخدامها كنافذة أو كُوَةً صغيرة لرؤية العالم الخارجي، كُوَةً طلاها العدو بالأسود وعليهم القيام بمسحها المتواصل كي يروا من خلالها !

الى جانب هذا التوتر أو ذاك، هناك توترات أخرى منها، كيف يسيطر المعتقلون على محتوى الصحافة العبرية المرتكز على ان الدولة الصهيونية دولة حضارية وديمقراطية وان مجتمعها مجتمعاً مدنياً، وبين كون هذه الدولة مغتصبة لوطنهم وتمارس التعذيب والنهب والاستعمار بما فيه شكله الاقتصادي على شعبهم. و كيف تدعي هذه الصحيفة بديمقراطية إسرائيل، وفي الوقت نفسه

تؤيد الدول الاستعمارية بكل ما تقوم به ضد شعوب العالم الثالث سواء بالاستعمار والنهب عبر التبادل اللامتكافئ أو دعم الأنظمة الدموية في العديد من هذه البلدان!

هناك كذلك التوتر بين المصطلح والمفردة " الكلمة "، كيف يفهمها ويستخدمها معتقل حركة التحرر الوطني وكيف تعرضها صحافة ينتجها مجتمع يمارس القمع والتمييز بكل أشكاله ضد الشعب الفلسطيني. فمناضل الحرية لدى هذه الصحافة "مخرب" والمناطق المحتلة "يهودا والسامرة" دولة الاحتلال "الدولة اليهودية الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط". إذن نحن هنا أمام خطابين متناقضين تماماً، الخطاب الاحتلالي، وخطاب حركة تحرر وطني، وما بينهما مساحة شاسعة من المفاهيم والمواقف والرؤى والتوجهات.

خطاب المحتل السجّان، الذي وهو يصادر حرية الناس، يعاكس حركة التاريخ، وربما يصادر حريته، "أي حرية المحتل نفسه ". لان احتلال قوة ما ارض شعب آخر، ليس بالضرورة ان هذه القوة تعيش الحرية. وان يقبع مناضل ينتمي الى حركة تحرر وطني في معتقل، فذلك لا يعني انه يعيش شعور المكبل المقموع المكسور المحطم الإرادة.

وكمْ من معتقل مثقف منتم أشفق على السجّان الذي ما انفك يلوح له بهراوته الغليظة، كون هذا السجان يجهل ماهية الدور الأخلاقي والتاريخي للمناضل المعتقل، وكونه "أي السجان"، يقذف بجسده أمام حركة التاريخ ظاناً انه بذلك يستطيع إيقافها. معتقل حر، لأنه ذو رسالة وقضية ويدرك ماهية دوره ويعي القوانين الاجتماعية وقوانين الثورات وأهمية النضال من اجل تغيير الواقع. انه باختصار يعرف الضرورة، ومعرفتها هي ممارسة للحرية، وبصرف النظر عن القضبان والاسلاك الشائكة. ان التعامل مع صحف العدو ومحاولة غربلة حروفها وجملها ودلالاتها في "غربال الوعي"

بغية تحقيق أقصى درجات الاستثمار هو من ضمن التجسيدات الحية والعملية للحرية، لمعرفة الضرورة، وفي ذلك تقريب للمعتقل من الحياة رغماً عن ارادة السجان الذي يسعى دوماً لتقريبه من الموت، أي لجعله جسداً يتحرك، من حيث الشكل، وميتاً من حيث الأفكار والمشاعر والتطلعات. بل ان المعتقل بتجسيده حريته فكراً وممارسه خلف القضبان لا يقترب من الحياة فقط، بل يمد شريان نبض حياته الصغير، ليتوحد مع شريانها الكوني الكبير.

الفصل الأول:

لمحة تاريخية
من العفوية إلى النضج
مراحل أسست لبعضها

البحث في أحد الجوانب المتعلقة بتجربة المعتقلين الفلسطينيين، لا يستقيم بمعزل عن تناول البعد التاريخي للتجربة، الذي شهد تفاعلات العاملين الذاتي والموضوعي، حيث أثر كل منهما في الآخر، لتتشكل في المحصلة النهائية من هذه التفاعلات، تجربة خاصة لها سماتها ومقوماتها، ولها أبعادها المختلفة.

ولم يكن العامل الذاتي في التجربة متلقياً أصماً، أو ناسخاً على صفحاته صوراً كربونية طبق الأصل لإملاءات العامل الموضوعي، بل كان عاملاً متحفزاً يقظاً، سعى وعلى مدى سنوات التجربة،إلى صياغة العامل الموضوعي وفق رؤية نضالية تقدمية. وقد تحول الموضوعي من عامل مجافٍ، إلى عامل مستجيب نسبياً لتوجهات العامل الذاتي، مع ان إدارة السجون وضعت كل إمكاناتها وطاقاتها، لجعل العامل الموضوعي في السجون والمعتقلات، عاملاً قاهراً، محبِّطاً، مكبِّلاً، معيقاً للذاتي، ومفرغاً له من مضمونه النضالي. إلا ان الخطط المضادة التي صاغها وجسدها بالممارسة اليومية الجسم الوطني المعتقل، أفشلت القسم الأكبر من مخططات ادارة السجون، وهذا ما يفسر ان المعتقلات تحولت إلى مدارس ثورية، كما اعترف رجالات إدارة السجون أنفسهم في مناسبات كثيرة.

أجمع عدد من الباحثين و المهتمين بتوثيق و تأريخ تجربة المعتقلين على تقسيمها إلى مراحل. ويلاحظ الدارس للتجربة المتمعن فيها من خلال المراجع التي تناولتها، ان تحديد هذه المراحل، لم يكن متطابقاً لدى جميع الباحثين، من حيث السنوات، فاما ان يزيد هذا الباحث سنة أو سنتين أو ينقص مثل ذلك من عمر المرحلة لاعتبارات معينة، أو يجمع مرحلتين معاً في مرحلة واحدة. رغم هذا أتفق غالبية الباحثين على تقسيم التجربة إلى

مراحل ارتبطت بفواصل مهمة وتاريخية في التجربة، مثل الاضرابات المفتوحة عن الطعام وما حققته من إنجازات[*]. لذلك اعتمد البحث هنا الاضرابات المفتوحة عن الطعام والإنجازات التي حققتها في تقسيم مراحل التجربة، كون الاضرابات المفصلية شكلت نقلات نوعية في التجربة، لكن هذا لا يعني إغفال أحداث وتطورات سياسية كان لها تأثيرها على مجمل القضية الفلسطينية مثل اتفاقات أوسلو، التي كان لها انعكاسات قاسية على المعتقلين زادت في معاناتهم، لأنهم اكتووا بنار الاتفاقات المذكورة لإهمالها قضية تحريرهم بشكل كامل.

المرحلة الأولى:

البدايات – حتى إضراب عسقلان الشهير " من العام 67 – إلى العام 77/76"

كانت السجون والمعتقلات أحد العناوين البارزة في تجربة الفلسطينيين بعد احتلال الضفة وقطاع غزة في العام 67. فإضافة إلى السجون التقليدية التي ورثها الاحتلال الإسرائيلي عن الحكم الأردني، الذي ورثها بدوره عن الانتداب البريطاني، أقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي عدداً آخر من المعتقلات ومراكز التوقيف، ووسعت العديد من السجون والمعتقلات الاسرائيلية، مثل معتقلات الرملة، عسقلان، السبع، لاستيعاب كم كبير من المعتقلين. كما وسَّعت من تجربتها على هذا الصعيد في مرحلة لاحقة، بافتتاح معتقلات في الصحراء، مستعيضة عن البنايات بالخيام، توفيراً للجهد والمال واستثماراً للوقت وسعياً وراء إمكانات استيعابية أكبر.

[*] و على سبيل المثال لا الحصر"عطا القميري في كتابه السجن ليس لنا، و حلمي عنقاوي في كتاب المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان، و سلمان جاد الله في كتاب أدب الحركة الأسيرة الوطنية, و أحمد أبو غوش في ورشة عمل ثقافة تحدت القيد، و حسن عبد الله في كتابيْه النتاجات الأدبية الاعتقالية، و دراسة تأريخية تحليلية في الصحافة الاعتقالية ".

ملامح التجربة في هذه المرحلة :

ومن أهم الأساليب التي اتبعتها إدارة السجون في سبيل إطفاء جذوة المقامة في دواخلهم، بل وإلى جعلهم مجرد أرقام لا حول لها ولا قوة، محاربة كل أشكال التنظيم الداخلي، ومنع أي تأسيس لحياة ثقافية. وكانت سياسة الإفراغ الثقافي والفكري من خلال ترويج كتب فارغة المضمون داخل السجون ومنع الكتب التي تعمق الانتماء الوطني سواء كانت سياسية او ادبية، وكذلك منع الجلسات الثقافية، والسعي الدائم لافشال أي برامج من شانها ان تنشط وتفعل الحياة الثقافية. وقد رافق ذلك استعمال العنف المنهجي والمنظم ضد المعتقلين، من أجل كسر الروح المعنوية. وكان الضرب الشديد والمؤذي سلوكاً يومياً في المعتقلات، و يمكن القول إن إدارة السجون اعتبرت استخدام العنف و الاعتداء على الأسرى والأسيرات منذ بداية الاعتقال بمثابة سلوك روتيني ، والعنف المقصود هنا ليس عنف الاعتقال ولا عنف التحقيق بل العنف المنظم و المخطط له الذي اتبعه السجانون داخل السجون والذي صحبه إذلال وقهر وإهانات متواصلة.(1)

وهناك الكثير من الشهادات والمقالات التي تحدثت عن الضرب والتعذيب في المرحلة الأولى من التجربة. وقد وثقت المحامية الإسرائيلية فليتسيا لانغر نماذج منها في كتابين(2)، من خلال تجربتها الخاصة ومعايشتها المباشرة لمئات القضايا الاعتقالية.

ومن الأمثلة التي توردها لانغر في وصف تعذيب أحد المعتقلين الفلسطينيين ان المحققين الإسرائيليين " رفعوا ساقيه وشدوهما إلى كرسي، ثم داس أحدهما على فمه وجلده آخر على أخمصيه بسوط لاهب، كما اسقوه ماء الثلج ومنعوه من البصق والتقيؤ، ثم طرحوه أرضاً وبصقوا له في حلقه وأجبروه على ابتلاعه، كما غمروه بالماء البارد عدة مرات، وأخرجوه عارياً إلى العراء في الليالي الثلجية ".(3)

ما أوردته لانغر هو صورة عادية معروفة في التحقيق، لكن ان تمتد مثل هذه الصور إلى المعتقلات، أي بعد انتهاء التحقيق وبعد صدور قرار الحكم بشهور أو ربما سنوات، يؤكد ان التعذيب لم يكن مقتصراً على انتزاع

المعلومات، وإنما استهدف ايضا قتل الروح المعنوية، لاسيما للمحكومين الذين يمضون سنوات طوالاً في الاعتقال. وكان معتقل عسقلان أحد محطات التعذيب التي لا يمكن التأريخ للمرحلة الأولى في تجربة المعتقلين الفلسطينيين دون التوقف عندها.

افتتح معتقل عسقلان في 9 شباط 1969، وزج فيه بذوي الأحكام الطويلة، واستخدم لإذلال الإنسان المعتقل بشكل يومي بواسطة التعذيب والضرب. واتبعت ادارة السجون منهجاً ثابتاً تجاه المعتقل الفلسطيني وما ان يصل المعتقل إلى عسقلان، حتى يجد في انتظاره مجموعة من السجانين المختارين، حيث ينهالوا عليه بالضرب. وبعد ذلك، وفي جو ترهيبي، يتم إبلاغه بقائمة طويلة من الممنوعات، وكيف يمكن له ان يمضي يومه منضبطاً ملتزماً بالقوانين والإجراءات، التي تبدأ بكلمة سيدي عندما يخاطب "أصغر سجان وحتى المدير "ومروراً بترتيب بطانيته، وكيفية الجلوس في الغرفة، وحتى متى يجوز له ان يتحدث همساً إلى زميله ومتى يمنع من ان ينبس ببنت شفه. وكان الضرب في عسقلان، السلوك اليومي للسجانين، فلا يمكن ان يمر يوم واحد دون ضرب فردي أو جماعي. كانوا يخرجون أي معتقل متى ارادوا وينهالون عليه بالضرب، لدرجة ان كل أسير يتعرض للضرب في اليوم الواحد لأكثر من مرة وحتى ان بعض الأسرى النشيطين كانوا يتعرضون للضرب ثلاث أو أربع مرات في اليوم الواحد.(4)

وإذا كان معتقل عسقلان، قد جسد نموذجاً للتعذيب الجسدي والنفسي، فان بقية المعتقلات الأخرى لم تستثن هذين النوعين من التعذيب، حيث ان القاسم المشترك لجميع المعتقلات في السنوات الأولى من الاعتقال هو التعذيب في التحقيق، وكذلك في فترة انتظار الحكم وبعد صدوره والانتقال للعيش في غرف المحكومين.كانت شروط الحياة قاسية جدا وكل اجراء متخذ من قبل ادارة السجون كان يصب في المحصلة النهائية في التعذيب الجسدي و النفسي، سواء تعلق الامر بالطعام السيء والتحكم في قضاء الحاجة والوقت القصير للنزهة وفي تحديد متى يقوم المناضل ومتى ينام... الخ. اما بالنسبة الى متطلبات العرب للأكل، فهي بنظر السجان لا تتعدى الصحنيين البلاستيكيين. أما

متطلبات النوم فهي تقتصر على اربع بطانيات بائسة هي، الوسادة والفرشة واللحاف!!.(5)

بقيت القبضة الحديدية المفروضة على المعتقلات حتى منتصف السبعينيات، ورغم الاضرابات التي خاضها المعتقلون في هذا المعتقل أو ذاك للتخفيف من حدة هذه القبضة وتحسين شروط الحياة، إلا ان ما تحقق على هذا الصعيد كان جزئياً ومحدوداً، وتمثل في بعض التغيير في المجال الحياتي، من حيث الطعام والثقافة "السماح بالدفتر والقلم والكتاب"، وفي الحد من الاعتداءات الجسدية، في حين بدأت ملامح التنظيم تتضح شيئاً فشيئاً في حياة المعتقلين سواء على صعيد الفصيل الواحد أو الحركة الوطنية. استطاع المعتقلون الحفاظ على شخصيتهم الوطنية والإنسانية، ولم تنجح محاولة استيعابهم والسيطرة عليهم وضرب قناعاتهم، إلى ان جاءَت القفزة النوعية، التي أحدثها إضراب عسقلان الشهير في العام 1977/76، الذي كسر سياسة الإذلال والقهر، لدرجة ان إدارة السجون قد أصيبت بالفزع عندما بدأ يتضح لها ان جديداً متحدياً ولد في أحشاء القديم، وان إعادة الأمور إلى نقطة البداية مسألة في غاية التعقيد. وأمام هذه المتغيرات التي ترسمت على الأرض، فان إدارة السجون ما انفكت تحاول لجم حركة التطور وتكبيلها، عن طريق المماطلة و التسويف والمناورات والالتفاف على الاضرابات بتقزيم وتبهيت نتائجها.

حقق المعتقلون بعض الإنجازات وبشكل تراكمي، فلو أخذنا " سرير الأسير" كمثال ودققنا في المراحل التي مر بها إلى ان أصبح "سريرا ً" لوجدنا انه "بدأ مسيرته المحزنة من البطانيات الرديئة العطنة الأربع، إضافة إلى حصيرة بائسة في العام 1967 إلى دخول البساط المطاطي المضغوط بسمك نصف سم في العام 1970 إلى الوسادة المصنوعة من ريش الدجاج العام 1972 إلى الفرشة المصنوعة من الإسفنج الرغوي بسمك 6 سم العام 1977 إلى ان تحول إلى سرير حديدي ذي طبقتين وملحقاته من فرشة وبطانية ووسادة". (6)

المثال سالف الذكر يمكن سحبه على كل شيء في تجربة المعتقلين من ثقافي و اجتماعي و تمثيل اعتقالي. فما أُنجز تم انتزاعه على مراحل، وفي إطار سياسة التركيم " الأخذ ثم المطالبة " ولم تحقق المسيرة قفزات في الهواء، فكل إنجاز مهما كان صغيراً احتاج إلى اضرابات وتضحيات.

مخططات إدارة السجون لتفريغ المعتقلين من المضمون السياسي والثقافي والانتماء الفصائلي

سعت إدارة السجون وبالتخطيط والتنسيق مع الجهات الحكومية والاستخباراتية إلى جعل السجون والمعتقلات، محطات تستعمل لتغيير قناعات المعتقلين، واتبعت في سبيل ذلك عشرات الوسائل. وكان أشد هذه الوسائل خطورة سياسة الإفراغ الثقافي والفكري، إذْ اعتقد القائمون على المعتقلات، ان نجاح سياستهم في هذا المجال، سيضعف بدون شك اوضاع المعتقلين ويحول دون انتظام برامجهم التنظيمية والثقافية.(7)

عاش المعتقلون الأوائل حصاراً ثقافياً بالمعنى الحرفي للكلمة، فالدفتر والقلم والكتاب كانت من الممنوعات، واستثنت ادارة السجون من ممنوعاتها الكتب التي تنسجم وتتوافق مع توجهات التفريغ. استفادت إدارة السجون من خبراء مختصين في العلوم السياسية وعلم النفس والاجتماع وأحضرتهم إلى بعض المعتقلات لإلقاء محاضرات وإدارة حوارات، الهدف منها التشكيك في كل ما يتعلق بالشعب الفلسطيني، من تقاليد وثقافة وانتماء إلى العالمين العربي والإسلامي(8). وتجلت مظاهر الحصار الثقافي أيضاً، في جعل نشرة أخبار أو اثنتين من إذاعة إسرائيل باللغة العربية مصدراً للمعلومات بالنسبة إلى المعتقلين، إلى جانب صحيفة الأنباء السلطوية، التي كانت تصدر باللغة العربية وتوزع مجاناً على المعتقلين واستخدمت كمسرب من مسارب الحرب النفسية ضدهم.(9)

استخدمت إدارة السجون العامل الثقافي والفكري مدخلاً للوصول إلى أهدافها، انطلاقاً من ان التشويه الثقافي والفكري يسهّل ضرب الاعتقاد السياسي والبناء التنظيمي وأسس الحياة الاجتماعية(10). وقد فهم ووعي المعتقلون في وقت مبكر، ان السيطرة عليهم ثقافياً وفكرياً وجعلهم ينظرون بانبهار إلى ثقافة المحتل، سوف يخلخل أركان انتمائهم الوطني كأفراد وجماعة، لذا لم يسلموا أمام الحرب النفسية التي صاحبت الهجمة الثقافية والفكرية والتي حملت " في طياتها خطر تبخيس الذات والترويض والشعور بالدونية وقد تقود إلى الإسقاط الأمني والانفلاش وتشويه الوعي، ومن

الممكن ان يكون تأثيرها بعيد المدى إذا لم يتسلح المناضل الأسير بما يفضحها و يفشلها من تحقيق مراميها معتمداً على الإنتاج الفكري والتنظيمي".(11)

ومن الأساليب الأخرى التي شهدتها هذه المرحلة، الهجوم على الأشكال التنظيمية، وعزل قيادات الفصائل، والحد من احتكاكهم بالجسم الوطني المعتقل، وزرع عشرات العملاء بين المعتقلين بعد إسقاطهم والسيطرة عليهم، وتكليفهم بتخريب الحياة الثقافية والتنظيمية والاجتماعية في المعتقلات، وبث الشائعات الإحباطية والتشكيك بالثورة وبمستقبلها، وافتعال المشاكل بين الفصائل، وجمع المعلومات عن الفصائل والبرامج النضالية للمعتقلين.(12)

ولا يمكن للباحث وهو يوثق لبدايات التجربة، ان يتجاهل فرض إدارة السجون على المعتقلين، العمل في المرافق الإنتاجية الإسرائيلية، مقابل بعض التسهيلات الشكلية كزيادة عدد السجائر، وزيادة مبلغ الكنتين المسموح إدخاله من الأهل " ولبساطة المعتقلين الأوائل ولهشاشة الأطر التنظيمية آنذاك ولعدم اتخاذهم للعمل في تلك المرافق أية أبعاد سياسية، فقد وافق بعضهم على العمل في تلك المرافق في حين رفض البعض الآخر تلك العروض".(13)

لقد فرض موضوع العمل فرضاً على المعتقلين، ورفضه كان يعني التعرض للعقاب، كما ان إدارة السجون خططت لتحقيق أهداف سياسية من وراء انخراط المعتقلين في العمل. وعندما اقترح بعض المعتقلين، العمل في مرافق إنسانية كطباعة الكتب للمكفوفين رفض ذلك. ومن المفارقات ان المعتقلين عملوا في تلك الفترة في مجال إنتاج الشباك التي تغطى بها الدبابات، ودافع المعتقلون لاحقاً عن رفضهم العمل، بان إدارة السجون جعلت من العمل غطاءً لاختراقهم وإسقاط ضعاف النفوس وإزالة الحواجز النفسية بين السجان والمعتقل.(14)

ومن القضايا التي حاولت إدارة السجون اللعب عليها في هذه المرحلة، تصنيف المعتقلين بين "أصحاب الرؤوس الحامية والمعتدلين"، وكذلك تشجيع التيارات والمحاور والشلل بواسطة العملاء والمدسوسين وضرب أسس أي عمل جماعي، والإصرار على التعامل مع المعتقلين كأفراد.(15) ولعل من أخطر ما عاناه المعتقلون في بداية التجربة، سياسة الإهمال الطبي، أي استعمال المرض كوسيلة للضغط والمساومة على العلاج، وإهمال الحالات المرضية

الملحة، بل وتحويل العيادات إلى مراكز إسقاط وتجسس على المعتقلين.(16)

وكانت الأطقم الطبية الاسرائيلية تشارك جنباً إلى جنب مع السجانين والمحققين في ممارسة أعمال العنف والتنكيل والإذلال للمعتقلين ليتحول الطبيب والممرض إلى أدوات قمع بدل تقديم العلاج والنصائح الطبية التي تخفف من معاناة المرضى، وتمشيا مع نصوص معاهدة جنيف المتعلقة بالمعاملة الطبية للأسرى(17). ومن الطبيعي ان تكون هذه الممارسات وغيرها قد وظفت في إطار العقاب والإذلال والضغط، تنفيذاً لبرامج التفريغ واستهداف إرادة المعتقل، لإجباره على تغيير قناعاته كي يكفر بكل شيء، ويفقد ثقته بفصيله وبالحركة الوطنية بشكل عام.

كيف ذاد المعتقلون عن أنفسهم وانتصروا لانتمائهم ؟

عانى المعتقلون في العامين الأولين، من صدمة الاعتقال، ومن تشتت القدرات، ومن هجمات مستمرة عليهم أفراداً وجماعات. وجاءَت ردودهم الأولية على المخطط القمعي الموجه ضدهم، مشتتة فردية وغير مدروسة، انطلقت من نفاذ صبر البعض، بسبب سياسة الإذلال، إلا ان الردود ارتقت إلى المستوى الجماعي لتتوج بإضرابات مفتوحة عن الطعام، بعد ان ترسخت الفصائل كأجسام تنظيمية في المعتقلات، التي تباينت الآراء حول تشكلها في تجربة الأعتقال. يقول رأفت عثمان النجار، الذي أمضى ما يقارب العشرين عاماً في الاعتقال "انه ولغاية منتصف عام 1970 لم تكن قد تبلورت الحركة التنظيمية داخل السجون، حيث بدأت تبرز ملامح العمل التنظيمي في النصف الثاني من العام 1970، وان كل التنظيمات قبل هذا التاريخ لم تكن تعمل على أساس فصائل، وإنما على أساس وطني شمولي"(18). وهناك من اختلف مع النجار في تحديد التاريخ، حيث يشير بعض المعتقلين الأوائل إلى ان تبلور العمل التنظيمي في المعتقلات سبق التاريخ الذي حدده النجار، فيرجع أبو علي شاهين القيادي البارز في تجربة الاعتقال، إلى ان البدايات التنظيمية كانت في أواخر العام68(19). إن الاختلاف في تحديد تاريخ دقيق، لا ينفي ان العامين الأولين كانا بعيديْن عن التنظيم، بمعنى سيادة الارتجالية والفردية، وان بلورة الفصائل في المعتقلات قد مهد

لها نضالات جنينية متراكمة، اسهمت في كسر حاجز الخوف في المعتقلات، والانتقال من مرحلة الصدمة إلى مرحلة اتخاذ خطوات دفاعية وتطويرها إلى هجومية، للذود عن الكرامة الوطنية والإنسانية للمعتقل، والتقدم خطوات إلى الإمام للمطالبة بتحسين شروط حياة الاعتقال. ومن أهم الاضرابات التي خاضها المعتقلون الأوائل، إضراب معتقل بيت ليد "كفاريونا" في العام 1968 "عندما امتنع الأسرى عن الخروج إلى ساحة التجوال طوال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني من ذلك العام احتجاجاً على ظروف الحياة المعيشية في المعتقل"(20)، ثم الإضراب عن الزيارة الذي استخدم لأول مرة في معتقل نابلس في العام 1968.(21)

ويشكل الاضراب عن الطعام الاداة الاقوى من بين الادوات النضالية التي استعملها المعتقلون في المحطات المفصلية، وقد لجأوا إلى الإضراب عن الطعام لأول مرة في معتقل نابلس في العام 1968، ثم معتقل عسقلان في العام 1970، حيث استشهد عبد القادر أبو الفحم، الذي يعتبر أول شهيد في الاضرابات المفتوحة عن الطعام في معتقلات الاحتلال(22). ومن أهم الاضرابات، التي شكلت علامة نضالية بارزة في تاريخ تجربة المعتقلين إضراب عسقلان الذي اعلن في اواخر العام 76 واستمر الى بداية العام 77 ولمدة "45" يوماً، تبعه إضراب آخر بعد شهر، بسبب مماطلة ادارة المعتقل بالوفاء بتعهداتها، واستمر مدة 20 يوماً، ليحقق المعتقلون بعض الإنجازات، مثل الفرشة الاسفنجة وتحسين الأكل وإدخال صنف العدس إلى المطبخ وزيادة بطانية ليصبح العدد خمس بطانيات بدل أربع(23). ونظراً لأهمية هذا الإضراب ومفصليته، ولما حققه من مكاسب معنوية كبيرة وبعض الإنجازات الحياتية، فانه سجل نهاية مرحلة مهمة من مراحل سياسة الاستهداف التي شنتها إدارة السجون بمنهاجية ضد المعتقلين.(24)

وجه إضراب عسقلان ضربة قوية لإدارة السجون، وفاجأها من حيث التنظيم والروح الجماعية والمدة من جهة، ونسف حساباتها كلياً من جهة ثانية "خاصة وأنه حصل في الموقع الذي سددت فيه ضرباتها الاستهدافية الرئيسية، ان كل ما ظنت انها حققته في مرحلة الاستهداف السابقة قد تبدد هباءً منثورا "(25). وهكذا تقدم المعتقلون في تجربتهم، لكن كل خطوة إلى الأمام جبلت بالدم والعرق والألم، لتزرع كل مرحلة في أحشائها بذرة تطوير التجربة

التي لا بد وان تنتج في المرحلة التالية أشكالاً تنظيمية ونضالية واجتماعية وثقافية أكثر رقياً.

المرحلة الثانية:

من76/77-84

"اشتداد العود"

أعطى إضراب عسقلان "1977/76" للمعتقلين الثقة بأنفسهم، وعزز دورهم الجماعي، وأكد أهمية الأطر التنظيمية سواء الخاصة بالفصيل أو العامة ذات العلاقة بالفصائل مجتمعة، وأدركت ادارة السجون، ان الإضراب جاء نتيجة فعل وتخطيط، وان اليوم ليس كالأمس، وان المعتقلين الذين كانوا محط تجريب واعتداءات مستمرة، أصبحوا جسماً منظماً قادراً على المبادرة(26). أما المعتقلون فقد استثمروا المناخات الايجابية التي أوجدها الإضراب، وشرعوا في سلسلة من الخطوات لتدعيم أوضاعهم الداخلية، وبدأت بعض الفصائل في إجراء انتخابات الهيئات المسؤولة ووضعت فصائل مثل الجبهتين الديموقراطية والشعبية وحركة فتح لوائح داخلية تضبط العلاقة بين الفرد والجماعة لتتبلور وتعمم تجربة اللوائح الداخلية في الفصائل كافة.(27)

لم يكن بروز اللوائح الداخلية مجرد إجراء شكلي وإنما هو تتويج لجهود استمرت سنوات، وأفضت في النهاية الى الإسهام الجدي " في تنظيم الحياة الاعتقالية وتيسير الأمور اليومية، ومعالجة الإشكالات على مختلف تسمياتها ومسبباتها "(28) وبدت الروح الجماعية هي السائدة في هذه اللوائح، وتعددت المبادئ التي تؤكد سيادة الجماعة. حيث أن اللوائح " قد أخضعت الفرد الى الجماعة، وجندته في خدمتها، وفي الدفاع عنها، رغم انها أعطته هامشا أوسع من الحرية مما كان الوضع عليه قبل هذه الوائح حيث أصبح التعامل مع الفرد ليس بمزاج هذا المسؤول التنظيمي أو ذاك وإنما يستند الى قانون داخلي".(29)

على اثر تجربة ادارة السجون مع إضراب عسقلان، والاضرابات والخطوات النضالية الجماعية التي شهدها معتقل السبع، ونتيجة لتنامي دور ووزن المعتقلين الذين أصبحوا قادرين على التأثير في الخارج، أقدمت هذه

الإدارة على تصنيف المعتقلين، ولجأت الى أسلوب عزل القيادات بتهمة أنهم المسؤولون عن الاضرابات، من خلال تحريضهم بقية المعتقلين، ظانة ان إقصاء القيادات، يعني توفير المناخ المناسب، لكي تعيد سيطرتها على المعتقلات وبالتالي صياغة الأمور وفق مقاساتها وفي إطار برامجها ورؤياها. وكان مصير تجربة عزل القيادات الفشل، فعزل "الرؤوس الحامية" سرعان ما افرز قيادات جديدة أو "رؤوس حامية أُخرى"، لان القيادات وأية قيادة هي إفراز للواقع، وللمستوى التنظيمي والثقافي والفكري الذي وصلت إليه الجماعة في زمن معين كمحصلة لما أنتجته العلاقة الجدلية بين الذاتي والموضوعي.

على خلفية فشل أسلوب العزل داخل السجون، والذي لم يحقق نتائج مرضية، والمقصود بعزل النشطاء والقياديين في زنازين أو أقسام منفصلة تابعة لهذا المعتقل أو ذاك، قررت أداة السجون افتتاح معتقل نفحة الصحرواي، لتجميع قيادات المعتقلات فيه وعزلهم، واستعماله لتخويف الآخرين، ولترهيب أية قيادة جديدة يتم فرزها في السبع أو عسقلان..الخ. كان الوضع في معتقل نفحة عند افتتاحه مأساويا، كل شي ممنوع، عزل طويل في الانفرادي "لأقل هفوة كأن لا يعتدل شخص ما بما فيه الكفاية أثناء العدد فيستحق بذلك سبعة أيام انفرادي".(30)

اما الوضع العام في المعتقل فكان على النحو التالي :-

تفتيشات استفزازية يومية، فورة نصف ساعة مرتين يومياً لكل غرفة، الحرمان من أي نوع من الرياضة حتى لو كان المشي السريع، الطعام فقير لدرجة الجوع المؤلم، لا أقلام ولا دفاتر ولا كتب. وعندما شبه أحد المعتقلين معتقل نفحة أمام عضو كنيست زارت المعتقل، بـ "اوشفيتس" غضبت غضباً شديداً من الوصف وقالت له "احمدوا الله أنكم أحياء !!".(31)

رأى المعتقلون ان الاستمرار في مثل هذه الظروف هو امتهان للكرامة، وهو ضرب للإنجازات السابقة التي تحققت في سلسلة من الاضرابات، واعتبروا ان العيش "في مثل هذه الظروف يعني الجنون والمرض المحققين "(32)، لذلك كان اضراب نفحة هو نتيجة طبيعية للظروف التي عاشها المعتقلون(33). اما النتائج التي حققها هذا الاضراب

فقد كانت في غاية الاهمية، وفي مقدمتها السماح بدخول الصحف عن طريق الاشتراك مثل "هارتس"، "معاريف"، "يديعوت احرنوت"، "هعولام هزة"... (34)

خضعت العلاقة بين المعتقلين وإدارة السجون للمد والجزر، لكن في هذه المرحلة ترسخت المعتقلات كمراكز لإنتاج الكوادر التنظيمية والفكرية والثقافية، وأصبحت الفصائل الفلسطينية تنظر بعين الاهتمام للكوادر التي تتحرر من المعتقلات، بما تمتلك من خبرات تنظيمية وقدرات ثقافية، لدرجة ان بعض الباحثين أطلق على هذه المرحلة "مرحلة الازدهار" لأنها مثلت "مرحلة الانتصار وإقامة السلطة الثورية داخل المعتقلات. ففي هذه المرحلة كان الأسرى منظمين، ويملكون التجربة الطويلة، وكانت ظروف الحياة الاعتقالية ملائمة لمزيد من التطور والبناء، وامتلك الأسرى زمام المبادرة بعد ان استطاعوا إقامة علاقة وثيقة مع الجماهير وقواها المؤطرة في الخارج، خاصة و ان معظم قياداتها كانوا من الأسرى السابقين".(35)

ومع كل تغيّر جديد كانت إدارة السجون تشحذ إمكاناتها الهجومية بغية فرض وقائع جديدة لتثبيت سيطرتها. فعندما افتتح معتقل الجنيد في 1984/7/2 ونقل اليه معتقلوا الضفة المحكومون لفترات طويلة من خلال فصلهم عن معتقلي قطاع غزة، تفنن القائمون على هذا المعتقل في إجراءاتهم، من بوابات الكترونية، وأسلاك مكهرَّبة وسور ارتفاعه أربعة أمتار وعدسات تلفزيونية تراقب الداخل والساحة، غير ان هذا ليس كل ما في الموضوع، لأن الجوهري تمثل في تصنيف المعتقلين وتوزيعهم على ستة أقسام، وفصل المعتقلين ذوي الأحكام الخفيفة عن الأحكام الطويلة، إلى جانب تدخل ضباط الأمن في كل صغيرة وكبيرة، والاعتداءات المتكررة على المعتقلين بالضرب.لقد أرادت إدارة السجون إخضاع المعتقل إلى إرادة السجان كلية، بتوظيف "التكنولوجيا من كاميرات وبوابات مكهربة وغير ذلك" في تقوية وتعزيز دور ونفوذ السجان على حساب موقف المعتقل.

لم يقف المعتقلون مكتوفي الأيدي، وإنما بدأوا يعدون العدة لإفشال مخطط الإدارة ووقف الهجمة التي استهدفت بناهم التنظيمية و الحياتية الاجتماعية والثقافية. وقامت اللجنة النضالية بالتمهيد للإضراب المفتوح، من

خلال سلسلة من الرسائل الداخلية التعبوية، ولما أصبح العامل الذاتي ناضجاً، تم إعلان الإضراب المفتوح عن الطعام في 84/9/23.

تجلى نضج التجربة في أنصع صوره، وتوجهت قيادة المعتقلين في رسائل تشرح الظروف، وتبيّن أسباب اللجوء إلى أسلوب الإضراب المفتوح، فقد أرسلت رسائل إلى القوى والمؤسسات والفعاليات الوطنية في الجزء المحتل من فلسطين في العام 1948، وإلى أعضاء كنيست عرب، وقيادة منظمة التحرير والمؤسسات واللجان المنبثقة عنها.كما خاطب المعتقلون في رسائلهم هيئات دولية مختلفة مثل الصليب الأحمر والأمم المتحدة....

واكب جبريل رجوب في كتابه زنزانة رقم 704 مراحل التهيئة والتعبئة ووثق الرسائل التي أرسلت إلى الخارج، والرسائل التي أرسلت إلى إدارة السجون ووزير الشرطة. كما تابع الرجوب الذي كان في حينه مشاركاً في الإعداد للإضراب وفي المفاوضات مع إدارة السجون ووزير الشرطة، كل مراحل الإضراب، ورصد الوضع الداخلي وتفاعلاته، وصولاً إلى المفاوضات وإنهاء الإضراب(36). وبالرجوع إلى يوميات المعتقلين التي نُشرت نماذج منها فيما بعد في بعض الدوريات، يتضح مدى الشوط الذي قطعوه في مسيرتهم ومتانة الأوضاع الداخلية وقوة الفصائل وحضورها في المعتقل، وقدرتها على تفعيل الشارع، بخطاب سياسي يجمع ما بين طرح المعطيات الموضوعية وإثارة الحس العاطفي.(37)

انتزع المعتقلون ونتيجة إضراب جنيد الموافقة على إدخال المذياع والتلفاز، ومع ان إدارة السجون ماطلت طويلاً في تنفيذ ما "وعدت به"، إلا ان المعتقلين استطاعوا في المحصلة النهائية الاستفادة من هذا الإنجاز، حيث يمكن القول ان ذلك شكل خطوة نوعية، أسست لمرحلة جديدة فتحت فيها آفاقاً إخبارية وثقافية، وأصبح المعتقلون على دراية بما يدور في الساحة المحلية، والساحتين العربية والدولية.(38)

ان اشتداد العود الوطني والتنظيمي في هذه المرحلة، لا ينطبق على معتقلات الرجال فحسب، وإنما أيضاً على معتقل النساء الفلسطينيات اللواتي جسدن في معتقل الرملة حياة نضالية قوامها التعاضد والتعاون في ظل

الفصائل الوطنية، التي كانت حريصة على تعميق وحدة المناضلات الفلسطينيات المعتقلات على اختلاف انتماءاتهن.(39)

وشهدت المرحلة نشاطاً ثقافياً وإقبالاً على التعليم والتثقيف الفردي والجماعي، رغم الرقابة المشددة التي كانت مفروضة على إدخال الكتب. كما شهدت صدامات مع إدارة المعتقل، ومع السجينات اليهوديات الجنائيات، حينما كن يستعملن من قبل الإدارة للاعتداء على المعتقلات الفلسطينيات. وفي 83/5/10 أعلنت المناضلات في معتقل "نفي ترتسيا" الإضراب عن العمل في مطبخ السجن، ورفضن إعداد الطعام لجلاداتهن، شمل الإضراب جميع مرافق السجن مثل العمل في الحقل والمخيطة ومشغل الكهرباء، بينما اقتصر عملهن في المطبخ على إعداد وجبات الطعام الخاصة بهن فقط.(40)

إذن اتسمت هذه المرحلة بقوة وصلابة المعتقلين، وان أي إنجاز كان يتحقق في معتقل ما من جراء إضراب مفتوح عن الطعام أو خطوة نضالية أخرى، كانت إدارة السجون تضطر لسحبه على المعتقلات الأخرى ولو بعد حين مثل الراديو والتلفاز في حالة الجنيد.

المرحلة الثالثة:

نضج التجربة و تعميم الخبرات

"من العام 1984-1993 "

ان النتائج التي حققها إضراب الجنيد في العام 1984، أسست لمرحلة جديدة أكثر نضجاً. ومع ان إدارة السجون ماطلت كثيراً في السماح بشراء أجهزة "الراديو والتلفاز"، إلا أنها وأمام الخطوات الاحتجاجية اللاحقة والمطالبة المستمرة من قبل المعتقلين، اضطرت أخيراً إلى التسليم بالأمر، وسمحت بشراء عدد محدود من أجهزة الراديو والتلفاز ضمن اشتراطات معينة منها تحديد نوع الجهاز، وان تكون إدارة المعتقل الجهة الوحيدة المشرفة على

عملية الشراء، وان يقتصر التقاط البث التلفزيوني على القناة الإسرائيلية.

احتاج المعتقلون إلى سنتين من النضال والمطالبة بعد إضراب الجنيد، لتحويل ما التزم به وزير الشرطة وإدارة السجون، من لغة الوعود والتعهدات إلى لغة الترجمة العملية. وخلال ذلك جرت عملية التبادل، في أيار من العام 1985، أي ان المعتقلين الأوائل الذين خاضوا الإضراب وانتزعوا الموافقة على الراديو والتلفاز قد تحرروا قبل ان يستفيدوا هم انفسهم من هذا الإنجاز، بيْد ان من بقي رهن الاعتقال، ومن التحق بالتجربة فيما بعد، قطف الفائدة. بدأت التجربة بالقناة الإسرائيلية، وانتهت بمحطات أخرى، وهذا ما يؤكد ان مراحل التجربة الاعتقالية مترابطة، وان نضالات المعتقلين الأوائل فرشت الطريق أمام الجدد، ليستمر دوران العجلة. وكما هي الحياة بشكل عام، إذْ ليس بالضرورة ان الجيل الذي يزرع، هو الذي يأكل من ثمر زرعه، لكن ما زُرع سوف لا يذهب هدراً، لأن جيلاً لاحقاً سيستفيد منه.

لا شك ان عملية تبادل الأسرى، عملت على تفريغ المعتقلات من مئات الكوادر المجرّبة، لذا فان الكوادر التي لم تشملها العملية، لعبت دوراً كبيراً في ملء الفراغ، وبذلت جهوداً استثنائية في قيادة المعتقلين حديثي التجربة، وتشريبهم مفاهيم وأسس التجربة، والانطلاق بهم من حيث وصلت. وما ساعد هؤلاء القياديين في مهمتهم، ان المعتقلين الأوائل وبعد سنوات من النضال تمكنوا من توثيق التجربة وكتابتها بأدق تفاصيلها. فعندما تحرر القسم الأكبر من كوادر معتقل نفحة في العام 1985، خلفوا وراءَهم ارشيفاً تنظيمياً وفكرياً وثقافياً وإبداعياً(41)، وهذا انسحب بالطبع على عسقلان والجنيد والمعتقلات الأخرى، أي ان التجربة التي أصبحت مكتوبة ومؤرشفة لم تتعرض لفترات من القطع، وإنما ظلت متواصلة، يضاف اليها من عام إلى آخر.

من أبرز علامات هذه المرحلة، انتفاضة المعتقلات في آذار العام 1987، فقد اعتقدت إدارة السجون، أنه بعد عملية تبادل الأسرى، صار بمقدورها الانقضاض على الإنجازات التي حققها المعتقلون في الاضرابات السابقة وسحبها الواحد تلو الآخر، ومن ثم إعادة الأوضاع إلى نقطة البداية، منطلقة من فرضية ان المعتقلين يعانون من

ضعف عام، بعد ان تحرر مئات الكوادر، وان القيادات المتبقية وهي قليلة العدد، لا تستطيع قيادة المعتقلين نضالياً فبدأت هجومها التدريجي، وكلما سحبت إنجازاً سال لعابها وسرّعت خطاها للانقضاض على الذي يليه وهكذا. لكن الامور لم تسر كما خططت إدارة السجون، إذْ فاجأها إضراب مفتوح عن الطعام شمل المعتقلات كافة بقيادة معتقل الجنيد، سانده تضامن جماهيري واسعة، لتنتقل انتفاضة المعتقلات إلى شوارع الضفة وقطاع غزة.

امتازت المرحلة بإنجازات تنظيمية وفكرية وإبداعية، وحظي المعتقلون باحترام جماهيري وبمتابعة من قبل فصائلهم، لتصبح منظماتهم في الاعتقال جزءً لا يتجزأ من الجسم التنظيمي لهذه الفصائل. وكان معظم المحررين أو الذين ينهون محكومياتهم يلتحقون بالعمل التنظيمي في الخارج محتفظين بمراتبهم التي وصولوا إليها في فترات اعتقالهم، لدرجة ان المعتقل السابق احمد أبو غوش، وصف الوضع في هذه الفترة، بان المعتقلين نجحوا في خلق واقع "بدأت تنتصر فيه إرادتهم على إدارة القمع والقتل، ومن هنا، ومن خزين المعاناة والألم، بدأت تظهر الإنجازات الفكرية والإبداعية ".(42)

دخلت انتفاضة العام 87، وكانت حدثاً مهماً بالنسبة إلى المعتقلين كما هو الحال بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني عامة، حيث سجلت حضوراً مكثفاً في حياتهم " فأصدروا المجلات والنشرات والبيانات، التي تناولت الانتفاضة، تشخيصاً وتحليلاً، وابنّوا الشهداء، واحيوا في احتفالات خاصة مناسبة دخول الانتفاضة كل شهر جديد من عمرها النضالي، وكثفوا مراسلاتهم مع فصائلهم، محاولين الإسهام من وحي تجاربهم النضالية، بالاقتراح والتصور، لعل ذلك يغني ويفيد التجربة "(43). تفاعل المعتقلون وجدانياً وإبداعياً مع الانتفاضة، فأبدعوا من وحيها اللوحات الفنية، القصائد الشعرية، القصص القصيرة، النصوص المسرحية، وتوجوا نشاطهم على هذا الصعيد بإصدار مجلة إبداع نفحة ونشرها في القدس (44)، كما كان لبعضهم مبادرات شخصية مثلما فعل فايز أبو شمالة، عندما حاول الإسهام من معتقله في تجربة التعليم الشعبي.(45)

زُج ما بين أواخر العام 1987 و أوائل العام 1993 بأعداد كبيرة جداً من الفلسطينيين في معتقلات

الاحتلال، فاقت الامكانات الاستيعابية للمعتقلات التقليدية، فتم افتتاح معسكرات اعتقال تحت "إدارة الجيش"، أشهرها معتقل "اكتسعوت" الذي أطلق عليه المعتقلون "أنصار 3". افتتح هذا المعتقل الرهيب في صحراء النقب، في السابع عشر من آذار العام 1988، واحتجز فيه قياديون وكوادر ونشطاء ميدانيون في ظروف قاسية، بهدف إجهاض الانتفاضة، لكن ساحة الفعل الجماهيري كانت تفرز بديلاً سريعاً لمن يتم اعتقالهم. وتجاهلت إدارة معتقل النقب الصحراوي أبسط الحقوق الدنيا للإنسان المعتقل التي نصت عليها القوانين والمعاهدات الدولية، من حيث الشروط الحياتية المعيشية والمعاملة الإنسانية..الخ، بالإضافة إلى الظروف الصعبة القاسية شتاءً والحر الشديد صيفاً.(46)

كان كل شيء محرماً في المعتقل الصحراوي، إلا ان نضالات المعتقلين أسهمت في تحسن طفيف في شروط الحياة الاعتقالية، والتأسيس لأوضاع تنظيمية وثقافية. ولم يعدم المعتقلون الوسيلة للنهوض بأوضاعهم وتجاوز صدمة شهور الاعتقال الأولى والتحول إلى الهجوم من خلال عدد من الاضرابات والخطوات الاحتجاجية الأخرى، وهذا ليس مستغرباً، فعدد كبير من الكوادر والأعضاء الذين خاضوا تجارب اعتقالية سابقة قد أُعيد اعتقالهم، حاولوا توظيف تجاربهم في بناء واقع اعتقالي جديد منظم.

وجد المعتقلون في العام 1992 وفي مواقع الاعتقال كافة ضرورة ملحة لخوض إضراب مفتوح عن الطعام، بعد ان شددت إدارة السجون ضغوطها عليهم في المعتقلات التقليدية، جنباً إلى جنب مع تشديد الجيش إجراءاته على المعتقلين في معسكرات الاعتقال التي يشرف عليها. كان الإضراب رسالة موجهة للإسرائيليين مفادها، ان أسلوب القمع والإذلال وامتهان إنسانية الإنسان لا يمكن له ان يمر مرور الكرام. كما حمل الإضراب رسالة إلى الوفد الفلسطيني المفاوض، ان قضية المعتقلين إذا لم تؤخذ بالحسبان كإحدى الأولويات في المفاوضات، من شأنها أن تخلط الأوراق. أما الحكومة الإسرائيلية فسارعت لاتهام منظمة التحرير الفلسطينية بالوقوف خلف الإضراب بغية استغلاله لأهداف سياسية، من خلال تحريك المعتقلين ومعهم الشارع الفلسطيني، من أجل مساندة الوفد المفاوض وتعزيز دوره(47). حقق الإضراب بعض المطالب الحياتية، لكن ما أنجزه معنوياً كان الأكثر أهمية، بعد تأكيد المعتقلين

مرة أخرى، أنهم قادرون على تنسيق مواقفهم وتوحيد جهودهم في عملية نضالية مشتركة. و أكدوا أيضاً متانة الجسر الوطني، الكفاحي، الوجداني الرابط بينهم وبين شعبهم الذي هب لدعمهم(48).

ختم المعتقلون هذه المرحلة بإضرابهم اللافت، الذي حرك الشارع، وبذلك أعادوا شد لحمتهم الداخلية، بعد ان تسرب إليها بعض الترهل، بسبب انعكاسات التحركات السياسية في الخارج على الوضع الاعتقالي، لاسيما بدء مرحلة تفاوضية، حاولت حكومة شامير في حينه استثمارها لإنهاء الانتفاضة والمس بمعنويات المعتقلين، فجاء الرد عن طريق "انتفاضة شاملة في المعتقلات". لكن اتفاقات أوسلو دهمت المعتقلين بعد بضعة شهور، ليعيشوا في دوامة مرحلة جديدة، لها مقاساتها واشتراطاتها.

المرحلة الرابعة:

من صدمة أوسلو إلى "عودة الأمل "
في انتفاضة الأقصى والاستقلال
" من العام 1993– والمرحلة مازالت مفتوحة "

انقسم الفلسطينيون بشأن المفاوضات مع إسرائيل بين مؤيد ومعارض، وتعددت الآراء والتوجهات حول ما يمكن ان تأتي به، خصوصا وأنها جاءَت بعد انتفاضة شعبية فريدة بسماتها ومقوماتها وزخمها ومداها الزمني، لكن اتجاهاً سياسياً أبدى حماساً للتفاوض، وعلق آمالاً كبيرة عليها، متوقعاً ان تحل القضايا المعقدة ومن بينها قضية المعتقلين. وبلغت التوقعات ذروتها لدى القسم الأكبر من المعتقلين أنفسهم، الذين اعتقدوا ان التحرر أصبح بين قوسين أو أدنى من التحقق.و لم يخطر في بال أي منهم، ان توقع قيادتهم اتفاقاً مع الإسرائيليين بمعزل عن تحررهم.

وبعد التوقيع على اتفاقية إعلان المباديء في 1993/9/13، حاول المعتقلون ان يتجاوزوا سريعاً صدمة خلو هذا الإعلان من نصوص واضحة وصريحة حول مصير اعتقالهم، وأملوا ان الذي لم يردْ ذكره في إعلان المباديء،

سيأتي المفاوض الفلسطيني على تفصيله وتوضيحه في اتفاقات وملاحق أخرى، إيمانا من قبل الغالبية الساحقة منهم، وبالاعتماد على المعايير السياسية والأخلاقية والمنطقية والإنسانية "ان حصيلة أية تسوية سياسية بين طرفي النزاع لابد وان تشمل إطلاق سراح المعتقلين كجزء لا ينفصل عن التسوية السياسية وعن آفاق الحل وبناء الاستقرار والسلام "(49). ورغم ان نصوص إعلان المباديء المذكور لم تكن بمستوى الطموح، إلا ان المعتقلين لم يفقدوا الأمل من ان الخطأ يمكن ان يعالج أو يصحح. وذكر زياد أبو زياد، عضو لجنة المفاوضات في ندوة عقدت على خلفية إهمال قضية المعتقلين، "ان الذين شاركوا في المفاوضات السرية التي أدت إلى اتفاق أوسلو، لم يكن بينهم أي مفاوض من داخل الأراضي المحتلة، وان هؤلاء ليست لديهم الحساسية التي يتعامل بها فلسطينيوا الأراضي المحتلة تجاه قضية الأسرى".(50)

ولم يكن اعتراف أبو زياد بالخطأ هو الاعتراف الوحيد، فقد تبعه نبيل شعث الذي شغل مناصب رفيعة فيما بعد في السلطة الفلسطينية حينما قال ان "خطأ ما حصل" ووعد المعتقلين بأن التوقيع على اتفاقية القاهرة سوف لا يتم إلا إذا حُدِّد جدول زمني لعملية الإفراج عنهم(51). وجاءَت اتفاقية القاهرة مضمنة إطلاق سراح "5000" معتقل من أصل "10.546" وفق معايير شديدة الإجحاف، وقد شملت هذه المعايير فيما شملت : 1-الزام الأسير الفلسطيني بالتوقيع على وثيقة تعهد كشرط للإفراج عنه. 2- استثناء الأسرى من سكان فلسطين المحتلة عام 1948 والأسرى من الدول العربية من الإفراجات. 3- وضع الأسرى السياسيين والسجناء الجنائيين في سلة واحدة من خلال شمول عملية الإفراج سجناء جنائيين. 4- إجبار الأسرى المفرج عنهم من سكان الضفة الغربية البقاء في منطقة أريحا وعدم مغادرتها إلا بتصريح خاص. 5- عدم الإفراج عن أي أسير فلسطيني متهم بقتل إسرائيليين. 6- استثناء أسرى حركة حماس و الجهاد الإسلامي...."(52).

كان الوضع خلال هذه السنوات صعباً وقاسياً على المعتقلين، إلا انهم بتجربتهم الطويلة الغنية، كانوا يحاولون امتصاص التطورات السلبية والتعامل مع المعطيات الجديدة، وفق رؤية وطنية، لا تسمح للاحتلال

بكسر التجربة، فجاء موقف المعتقلات الفلسطينيات اللواتي رفضن بعد اتفاقية طابا تجزئة قضيتهم، عندما حاول الإسرائيليون استثناء خمس أسيرات من بينهن وهن: عبير الوحيدي، مي الغصين، زهرة قرعوش، عطاف عليان، ورولا أبو دحو. وبقي موقفهن متماسكاً قوياً إلى ان تسنى لهن في النهاية انتزاع تحررهن الجماعي الشامل دون استثناء واحدة منهن في 1997/2/11.(53)

أما وقد سجل موقف المعتقلات الفلسطينيات نقطة مضيئة في مرحلة كانت افرازاتها سلبية على المعتقلين، فان العناوين العامة لهذه المرحلة تمثلت في: الغضب، خيبة الأمل، عدم الثقة بالمفاوض، الشعور بالغبن وعدم تقدير تضحيات المعتقلين. عبر المعتقلون عمّا يجول في خواطرهم من جراء كل ذلك في مجموعة من الرسائل، اخترنا منها للاستشهاد رسالة لمعتقلي حركة فتح موجهة إلى جهات القيادية(54)، ومما جاء فيها "ان يراق دمنا من اجل كرامتنا، نعم، أما ان تراق كرامتنا حتى وان كان ذلك في سبيل ان نملك الدنيا كلها فألف كلا... "

ونقتطف من الرسالة أيضاً: " وعلى ما يبدو أننا نحن الأسرى أصبحنا حقيقة أهل كهف جديد في عصر لا لون له ولا طعم ولا معنى، اللهم إلا رائحته النتنة...إذن ما الذي جلبه هذا السلام الممسوخ اعترفنا أننا إرهابيون نمارس الإرهاب وقررنا التوقف بل أكثر من ذلك رفعنا أغصان الزيتون وباقات الزهور في وجه فوهات بنادق جنود شركائنا في السلام التي مازالت تقتل أطفالنا ونساءَنا وشبابنا وشيوخنا... "

ما أوردناه هو جزء من رسالة طويلة لمعتقلي حركة فتح في عسقلان، ولو أنها كتبت من قبل معتقلي فصائل المعارضة، لقلنا ان الدوافع ربما تكون سياسية أو حزبية بحتة، فحركة فتح هي الفصيل الذي يشكل العمود الفقري للسلطة، ورسالتهم تؤكد ان غضب المعتقلين هو شامل و لا يرتبط بفصيل أو فئة وإنما يعكس موقفاًعاماً.

شهدت هذه المرحلة اضرابين سياسيي، الأول في 1994/6/21 وجاء على خلفية توقيع اتفاق القاهرة، وكان إضراباً قصيراً استمر ثلاثة أيام(55). أما الإضراب السياسي الثاني، فقد أُعلن في 1995/6/18 تحت شعار إطلاق سراح جميع الأسرى والأسيرات دون استثناء واستمر مدة "18" يوماً (56)، فيما أُعلن الإضراب السياسي الثالث في

1998/2/5 واستمر عشرة أيام وقد أطلق عليه الباحثان عيسى قراقع وجميل المطور في بحث مشترك لهما عن الإضراب المذكور "اقتحام الوعي العالمي في انتفاضة أسرى فلسطين في سجون الاحتلال ".

حمَّل المعتقلون القيادة السياسية والمفاوض الفلسطيني المسؤولية عن تراجع قضيتهم مؤكدين في رسالة وجهوها لمناسبة إعلان هذا الإضراب إلى جماهير الشعب الفلسطيني، ان عدم جدية القيادة والمفاوض "في حل قضية الأسرى زاد من آلامنا وآلام أمهاتنا وذوينا، فالحق يقال اننا نحملكم كافة المسؤولية حيال ما آلت إليه قضيتنا من إهمال ونسيان لتصبح آلامنا مرهونة بحسن النوايا واتفاقات شفهية هامشية ".(57)

بعد هذه السنوات، بقي وضع المعتقلين على حاله، خيبة أمل تعقبها خيبة أمل اخرى، حيث عملت سلسلة الخيبات على زيادة المعاناة، لكنها لم تكسر ظهر التجربة، فقد رد عليها المعتقلون بإضرابات عن الطعام بعضها مفتوح والبعض الآخر محدود، للدفاع عن مكتسبات المراحل السابقة، أو للتصدي العملي للهجمات المتلاحقة لإدارة السجون، إلى جانب الاضرابات السياسية الثلاثة سالفة الذكر، لتدخل انتفاضة الأقصى والاستقلال في 2000/9/28، وكان سببها المباشر أو الشرارة المفجرة، اقتحام شارون لباحات المسجد الأقصى بحماية وتغطية الشرطة الإسرائيلية في ظل حكومة يهود باراك. اما الأسباب الحقيقية للانتفاضة فهي المماطلة الإسرائيلية في تنفيذ الاتفاقات وشعور المواطن بظلم المرحلة سياسياً واقتصادياً ونفسياً، حيث بات الاستقلال الذي تحدث عنه الإسرائيليون والسلطة الفلسطينية مجرد سراب.كما ان قضية المعتقلين ذات الحساسية الخاصة لدى الشعب الفلسطيني التي لم تحل، يمكن اعتبارها من العوامل المفجرة للانتفاضة.

ازداد عدد المعتقلين الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى والاستقلال بشكل كبير، إلا ان الحدث الانتفاضي قد رفع معنويات المعتقلين القدامى وأعاد الاعتبار لهم ولدورهم ولمكانتهم ولطروحاتهم. وعندما اجتاحت قوات الاحتلال المناطق الفلسطينية، اعتقلت آلاف النشطاء وكوادر وأعضاء الفصائل وعناصر من أجهزة الأمن وقياديين معروفين للفصائل بعضهم يتبوأ مواقع مهمة في مؤسسات منظمة التحرير. وبلغت الاعتقالات ذروتها في "الاجتياح الكبير"

الذي أسماه الاحتلال الإسرائيلي عملية "السور الواقي"، ففي التاسع والعشرين من آذار 2002 اقتحمت قوات الاحتلال معظم المدن الفلسطينية، ورافق ذلك قتل وتدمير وعمليات اعتقال واسعة لم تستوعب أعدادها المعتقلات التقليدية، فأعاد الاحتلال افتتاح معسكرات الاعتقال في النقب وبيتونيا وحوارة....

عاش المعتقلون ظروفاً في غاية الصعوبة، تشابه ظروف الاعتقال الأول في العام 67، حيث الضرب والتجويع وانعدام الزيارات وغياب العناية الصحية، في ظل وجود مئات جرحى الانتفاضة والمرضى. ومجرد قراءَه سريعة لإحدى شهادات ذوي التجربة عن ظروف اعتقالهم، تتضح لنا ملامح الواقع الاعتقالي الرهيب(58). ولم يستكنْ المعتقلون ولم يصمتوا على ظروف اعتقالهم، خصوصاً في معسكرات الاعتقال، وخاضوا نضالات يومية من أجل تحسين شروط اعتقالهم، واستطاعوا تحقيق بعض الإنجازات على هذا الصعيد، بيْد ان الصورة مازالت سوداوية، فانتزاع بعض الحقوق، لم يحدث تغييراً جدياً في جوهر المعاناة.

برز في مرحلة الانتفاضة الدور القيادي المؤثر للمعتقلين، وراحوا يسهمون في النقاشات التنظيمية والسياسية خارج الاعتقال من خلال الرسائل. وقد لعب معتقلوا حماس والجهاد الإسلامي دوراً رئيساً في بلورة الهدنة الأولى من خلال التواصل مع حركتيْهما.كما برز في هذه المرحلة دور بعض القياديين في إغناء النقاش في القضايا الساخنة كما فعل القيادي المعتقل مروان البرغوثي(59). وبعد التضحيات الجسام التي قدموها في الانتفاضة وما قبلها يتطلع المعتقلون على اختلاف انتماءاتهم، خصوصا ذوي الأحكام الطويلة إلى التحرر من الاعتقال، وصاروا يعقدون آمالهم على حزب الله والشيخ حسن نصر الله، لإدراجهم في عملية التبادل "نفذ القسم الأول من العملية في 2004/1/28" واقتصرت على الأحكام القصيرة من الفلسطينيين، فيما يأمل المعتقلون وممثلوا المؤسسات الحقوقية، بان تشمل المرحلة الثانية من العملية الحالات الصعبة كما ورد في بيانات وتعقيبات صدرت عن مؤسسات نادي الأسير، والضمير ومانديلا.

وتظل احتمالات هذه المرحلة مفتوحة، وتظل المعاناة، العنوان الأبرز في التجربة. وإذا ما استؤنفت

المفاوضات، فان قضية المعتقلين سيعاد طرحها، كونها من القضايا المعلقة، حينها يحتاج المفاوض الفلسطيني إلى تقييم التجربة السابقة مع قضية المعتقلين، التي سجلت فشلاً تفاوضياً ذريعاً، حيث لخصت الصحفية الإسرائيلية "عميره هاس" الوضع على شكل تحليل أشبه بالكاريكاتيري، فقد وصفت الممثلين الفلسطينيين في المفاوضات مع إسرائيل وتحديداً مع لجنة المعتقلين ولجنة الشؤون المدنية بأنهم "يلعبون دور المقاول الذي يوزِّع مخدر الحياة الذي تتفضل به إسرائيل على الفلسطينيين حسب معاييرها واملاءاتها التي لا تنتهي".(60)

والحقيقة ان عملية السرد التاريخي لمرحلة التجربة وتبيان علاقتها ببعضها، هي ضرورية، ولا يمكن فهم التجربة الثقافية والصحافية وحركة الترجمة ودور الصحافة العبرية بمعزل عن تبيان الحاضن التاريخي بمراحله المختلفة، ومواصفات كل منها.

وكما ان الاضرابات المهمة والمفصلية شكلت مراحل التجربة، فإنها خلقت مناخاً ثقافياً وفكرياً وصحافياً بعد تحقيق جملة من المطالب المتعلقة بذلك. لتلعب الحياة الثقافية وحركة الترجمة دوراً تنويرياً ومعرفياً وتثويرياً، ارتقى بشكل أو بآخر بأوضاع المعتقلين واسهم في صياغة وعيهم الجماعي وتعميق تجربتهم.

هوامش الفصل الأول

1. عيسى قراقع، **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1933-1999**، بيرزيت: معهد الدراسات الدولية، 2001، ص17.

2. المقصود: فليستسيا لانغر، **كتاب أولئك أخواني، وكتاب بأم عيني**، صدر الأول في العام 76، القدس: دار صلاح الدين، وصدر الثاني في العام 79 عن نفس الدار.

3. فليتسيا لانغر، **أولئك أخواني**، القدس: دار صلاح الدين، 1976، ص 25.

4. حلمي إبراهيم عنقاوي، **المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**، رام الله: مطبعة الغد،1995، ص156،157.

5. عطا القميري، **السجن لنا**، القدس: بلا ناشر، 1986، ص 29.

6. المرجع السابق، ص39.

7. حسن عبد الله، **النتاجات الأدبية الاعتقالية**، القدس: مركز الزهراء، 1994، ص 14.

8. حلمي عنقاوي، مرجع سابق ص 38.

9. سلمان جاد الله، **منابع الحركة الأسيرة الوطنية**، غزة: حسام، 2000، ص56.

10. المرجع السابق، ص 31.

11. المرجع السابق، نفس الصفحة .

12. حلمي عنقاوي، مرجع سابق: صفحات34، 70،(119-126)

13. المرجع السابق، ص35.

14. المرجع السابق، نفس الصفحة.

15. المرجع السابق، ص 37, 36.

16. المقتطف من دراسة مؤيد عبد الصمد، التي حازت المرتبة الأولى في مسابقة لجان العمل الصحي لعام 2003 لأفضل موضوع حول الأوضاع الصحية للمعتقلين، و قد اطلع الباحث على هذه الدراسة و دراسات أخرى شبيهة بصفته أحد أعضاء التحكيم.

17. المرجع السابق.

18. خالد الهندي، **التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسيرة**، رام الله: مواطن،2000،ص 31.

19. المرجع السابق، ص 30.

20. حلمي عنقاوي، مرجع سابق، ص 61.

21. المرجع السابق، ص65.

22. المرجع السابق، ص 65.

23. **الأسرى**، دورية تعنى بشؤون الحركة الأسيرة، العدد الأول، رام الله: تموز، 2003، ص 66.

24. عطا القميري، **السجن ليس لنا**، مرجع سابق، ص 83.

25. المرجع السابق، نفس الصفحة.

26. حسن عبد الله، **الحضن الدافئ والعصا الغليظة "علاقة الفرد بالجماعة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين"**، رام الله: مركز المشرق، 2003، ص 20.

27. المرجع السابق، نفس الصفحة.

28. المرجع السابق، نفس الصفحة.

29. المرجع السابق، نفس الصفحة.

30. عطا القميري، مرجع سابق، ص 90.

31. المرجع السابق، ص 91.

32. المرجع السابق، ص90.

33. المرجع السابق، ص 92.

34. المرجع السابق، ص 92 –95.

35. أحمد أبو غوش، "**الإبداع البحثي في الحياة الاعتقالية**"، ورشة عمل بعنوان ثقافة تحدت القيد، رام الله: المركز الفلسطيني لقضايا السلام، 2002/11/26،ص 17.

36. جبريل الرجوب، **تجربة أسرى الثورة الفلسطينية بين نفحة وجنيد "الزنزانة رقم 704** "، القدس: وكالة ابو عرفة للنشر، 1984.

37. خضر قنداح، يوميات إضراب معتقل جنيد العام 1984، مرجع سابق، ص72–99.

38. حلمي عنقاوي، مرجع سابق، ص 57.

39. لاحظ وليد الفاهوم، "**طيور نفي ترتسا**"، الناصرة: مكتبة الفاهوم، 1984.

40. المرجع السابق، ص 128.

41. سلمان جاد الله ، مرجع سابق، ص 106.

42. أحمد أبو غوش، مرجع سابق، ص 17.

43. حسن عبد الله، **أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني**، رام الله: مركز المشرق ومركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة، 2004، ص 42.

44. **إبداع نفحة** ،مجلة أدبية، أنتجها معتقلوا نفحة، القدس: في العام 1990.

45. أنجز أبو شمالة كتاباً هاماً كإسهام منه في جهود التعليم الشعبي بعنوان "**الانتفاضة في قواعد اللغة العربية**"، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين في العام 1990.

46. **الأسرى**، مرجع سابق، ص 200.

47. فهد أبو الحاج، **انتفاضة الجوع من وراء القضبان**، رام الله: دون دار نشر، 1993،ص 16.

48. المرجع السابق، " ص 191, 190, 188, 186".

49. عيسى قراقع ، مرجع سابق، 45.

50. المرجع السابق، ص 47.

51. المرجع السابق، ص 48.

52. المرجع السابق، ص 58.

53. المرجع السابق، ص60.

54. حسن عبد الله، **أثر الرسالة**، مرجع سابق، ص 104.

55. عيسى قراقع، مرجع سابق، ص 88.

56. المرجع السابق، ص 98.

57. عيسى قراقع، المطور جميل، "**اقتحام الوعي العالمي في انتفاضة أسرى فلسطين في سجون الاحتلال 12/5-1998/12/15م** "، رام الله: المشرق، 1999، ص 98.

58. لاحظ شهادة ياسر الديسي "صرخات في الظلام" التي تصور الحياة في المعتقلات الإسرائيلية في الانتفاضة، رام الله: مؤسسة الحق.

59. حسن عبد الله، **أثر الرسالة**، مرجع سابق، ص 58.

60. عميره هاس، "**عندما تقول إسرائيل: لا " صحيفة هآرتس**، ترجمة المصدر،1999/9/15،ص 9.

الفصل الثاني:

الملامح الثقافية والصحافية في التجربة الاعتقالية

خططت ادارة السجون لجعل المعتقلات تعيش حالة من الخواء الثقافي، فحاربت كل ادوات وتجليات الثقافة، من دفتر وقلم وكتاب وبرامج ثقافية، إدراكا منها وبتوجيه من أجهزة إستخباراتية ومراكز بحثية، ان تدني المستوى الثقافي للمعتقلين هو مفتاح السيطرة عليهم. ولأن إدارة السجون لم تكن اللاعب الوحيد في الساحة، الذي يشكّل المباراة في الساحة حسب مشيئته، وإنما كان ندها أولئك المنتمين إلى فصائل المقاومة الفلسطينية والمحتجزين لديها، فارتطمت مخططات هذه الإدارة بتنبه المعتقلين المبكر، بأن الثقافة بقنواتها وعناصرها المختلفة، هي أداة التغيير والارتقاء بالجسم الوطني المعتقل. لذلك تمثل الرد على سياسة التفريغ، بإعطاء الثقافة أولوية خاصة.

كانت فترة التأسيس غاية في التعقيد، وبدت وكأنها سباحة عكس التيار، فقد فرض التشبث بالثقافة والإصرار على التعلم حالة من المواجهة المستمرة مع ادارة السجون، ليس في بداية التجربة وحسب، بل وفي كل المراحل. لكن

أشكال المواجهة والاستهداف، تغيرت وتبدلت من مرحلة إلى أخرى. ففي البداية لاحقوا الدفتر والقلم، وفي مراحل تاليه، صار المستهدف المجلات الثقافية والنتاجات الفكرية والكراسات التنظيمية والدراسات الأمنية.

وللاحاطة بظروف ومكونّات الحياة الثقافية للمعتقلين، لا بد من التعرض تشخصياً وتحليلاً لمجموعة من العناوين، التي دخلت في نسيج التجربة الثقافية:

النضال من اجل إدخال الدفتر والقلم

منعت ادارة السجون إدخال الدفاتر والأقلام إلى المعتقلين بذريعة الأمن، لكن السبب الحقيقي لهذا المنع, تلخص في إغلاق باب أداتين رئيستين للتعلم والتثقيف، حتى لا يكون هناك أي مجال للتعامل مع الكلمة المكتوبة(1). كان الحصار الثقافي الذي فرض على المعتقلين مشددا إلى ابعد الحدود، خصوصاً في بداية التجربة. وقد تزامن ذلك مع قيام محاضرين من الوسط الثقافي الصهيوني بإلقاء محاضرات على الأسرى ضمن خطة أُعدت لاختراق مفاهيم وقناعات المعتقلين، بل ولاستبدالها بطروحات في إطار التوجهات المضادة.(2)

حاول المعتقلون عن طريق مطالبتهم الدؤوبة لإدارة السجون ومن خلال الصليب الأحمر أيضا، التخفيف من حدة هذا الحصار، مركزين على مطلب السماح بإدخال ادوات الكتابة، وكانت مطالباتهم تقابل بالرفض، واستمر هذا الحال حتى العام 1970، عندما سمح للصليب الأحمر بتزويد الأسرى بدفتر وقلم في فترات متباعدة (3). ولم تكن الموافقة على إدخال الدفاتر والأقلام إلى المعتقلات مفتوحة وبلا قيود، وإنما اشترطت ادارة السجون، تخصيص الدفاتر والأقلام لأغراض تعليمية بحته، وان لا تستعمل لكتابة كلمة سياسية واحدة. وكانت الدفاتر تسلم للسجان المناوب في نهاية كل نهار، ليتم التدقيق أولا في عدد الأقلام والدفاتر حتى لا يبقى في الغرف الاعتقالية أي منها، وإذا نقصت أنبوبة قلم، فان العقاب يكون جماعياً، إضافة إلى التدقيق في الدفاتر للتأكد من أن الكتابة اقتصرت على

التعليمية فقط.

استثمر المعتقلون وجود الأقلام نهاراً وكتبوا المقالات السياسية والتنظيمية ليس على الدفاتر الخاضعة للتفتيش اليومي، بل على"كرتون القراقيش"الخاص بعيد الفصح اليهودي وأوراق مبتلة كان يغلف بها اللبن، وكتبوا على حواف المناشف والأبواب والشبابيك في إصرار منقطع النظير على التعلم، وعلى كسر الرقابة المشددة (4).

بعد أن ثبّت المعتقلون حقهم في الدفاتر والاقلام، وناضلوا من اجل السماح بإبقائها في الغرف الاعتقالية، ولما استطاعوا تحقيق ذلك، فقد فتح هذا الانجاز "عهدا جديدا أسس لثقافة مكتوبة، وأسس كراسات تنظيمية ومجلات اعتقالية، ونشرات، ورسائل متبادلة بين المعتقلات..."(5). وخلاصة القول شكل إدخال وتثبيت الدفتر والقلم نقله نوعية في تجربة المعتقلين، وكان ذلك بداية لوضع مرتكزات حقيقية لثقافة أصبحت نمط حياة في المعتقلات.

الكتاب(الثورة الثقافية)

كان الكتاب الثقافي أو السياسي أو الفكري، حلماً طالما راود تفكير وخيال المعتقلين الأوائل. وظل الكتاب كعنوان نضالي ملازماً لمراحل التجربة الاعتقالية. ففي البداية تركز النضال على الحق في إدخال الكتب كعنوان عام، ثم انتقل إلى مرحلة أخرى، أي المطالبة بإدخال الكتب الثقافية والسياسية. وشدد المعتقلون في مطالبهم لاحقا على التسريع في إدخال الكتب، لكي لا تبقى محتجزة مدة طويلة في الرقابة والتمحيص. تدخلت ادارة السجون في الكتاب ابتداءً من الاسم ومروراً بالمؤلف ووصولاً إلى المضمون، وحاولت توجيه اهتمام المعتقلين لقراءة كتب تافهة، فمثلاً أدخلت ادارة السجون إلى المعتقلات في البداية قصصاً إباحية لتشويش المعتقلين وإثارة غرائزهم، لجعلهم يعيشون حالة اغتراب حقيقة بين ما يقرأون، وبين متطلبات واقعهم.(6)

ادخل الصليب الأحمر بعد ذلك إلى المعتقلات مجموعة من الكتب وفق اشتراطات ومعايير ادارة السجون ومنها بعض الكتب العبثية التي تصب في توجهات التفريغ الثقافي وكان لهذه الكتب تأثير سلبي جدا على حياة الأسرى، والاتجاه بفكرهم إلى منحنى بالغ الضرر"(7). واستفاد المعتقلون من وجود كتب في المعتقلات، بصرف النظر

عن عناوينها ومضامينها، من خلال انتزاعهم موافقة ادارة السجون في أواخر السبعينيات، بالسماح لكل مناضل معتقل بإدخال كتاب واحد، الأمر الذي ساعد في تسريب بعض الكتب الثقافية والسياسية والفكرية وروايات عربية وأخرى مترجمة إلى العربية عن لغات عالمية. أصبح لدى المعتقلين القدرة على التمويه بتغيير اغلفة بعض الكتب القيمة باغلفة كتب تافهة، ثم تمرير مادة سياسية أو فكرية وأحيانا تنظيمية، في منتصف الكتاب، حيث تستعمل الصفحات الأولى والأخيرة لإغراض تمويهية. وقد نجح المعتقلون عشرات المرات من خلال هذه الطريقة الإبداعية في التحايل على الرقابة المشددة، إلى أن تغيّرت الظروف مع دخول الصحف الفلسطينية والعبرية في بداية الثمانينيات، وتاكد ادارة السجون من فشل مخططاتها التفريغية، حيث أخذت تغض النظر عن الكتب السياسية والثقافية والفكرية الجادة. لان الواقع الثقافي والتنظيمي والفكري في المعتقلات أصبح حقيقة واقعة، لا يمكن التأثير عليه مجرد منع مجموعة من الكتب، أو إغراق مكتبات المعتقلات بكتب فارغة، كما كانت تفعل ادارة السجون في البدايات(8). وحتى في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات تجمع في مكتبات المعتقلات عدد لا بأس به من الكتب المنوعة التي عملت إلى جانب الكراسات التنظيمية والنتاجات الثقافية للمعتقلين أنفسهم على وضع المداميك الأساسية للتجربة الثقافية، ليعلو بنيانها عاما بعد آخر.(9)

وبهذا صار الكتاب في حياة المعتقل الفلسطيني زادا ثقافيا يوميا، لتسود القراءة والنقاش وتلخيصات الكتب والتعليق عليها في المجلات الاعتقالية والجلسات والحوارات الثنائية والجماعية، إلى أن ترسخت قاعدة عادة القراءة في المعتقلات، وأصبح المألوف، أن يلازم الكتاب المناضل المعتقل معظم ساعات يومه.*

تعلم اللغات، خصوصا العبرية

دفعت ثلاثة عوامل المعتقلين الفلسطينيين لتعلم اللغات في المعتقلات:الأول تبلور الحركة الثقافية

* لاحظ الباحث أثناء وجوده في معتقل عسقلان من العام 1981-1983، أن المعتقلين القدامى، كانوا يتباهون بما يقرأون، و يقبلون بلهفة على كل كتاب جديد يدخل المعتقل، و يخضعون تنقل الكتاب إلى نظام الدور.

والفكرية، وبروز وعي لدى المعتقلين بأهمية تعلم اللغات، لأنها تشكل جسرا نحو الاستفادة مما وصل إليه وحصله الآخرون، وهذا ما يفسر حماس الكثير من المعتقلين لتعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية والأسبانية وحتى الروسية. أما العامل الثاني، فقد ارتبط باللغة العبرية تحديدا، وجاء استجابة للحاجة ومتطلبات الواقع، أي لمعرفة ما يدور حولهم، وكذلك لمخاطبة الإدارة والسجان وتقديم المطالب وغير ذلك من حاجات يومية.

والعامل الثالث، هو مركب ما بين نضالي ومعرفي، وتمثل في السعي للتعرف على العدو، وتفحص بواطن قوته وضعفه، بغية اخذ ذلك بالحسبان لدى صياغة البرامج والتوجهات النضالية(10).

وفي هذا الإطار، اندفعت نخبة من المعتقلين وبحماس شديد لدراسة المجتمع الإسرائيلي، من منظور علمي معرفي، وبأسلوب اقرب إلى المنهجي، إلى أن أفرزت التجربة عدداً من المتخصصين المتعمقين في الشؤون الإسرائيلية، بالاستناد إلى قراءة متمحصة واعية. ومن بين من تميزوا على هذا الصعيد: جبريل الرجوب، غازي أبو جياب، عطا القيمري، محمد عليان، ناصر اللحام، صالح أبو لبن، عماد النتشة، وآخرون(11). وبعد مضي سنوات على التجربة الاعتقالية، أتقن بعض المعتقلين الإنجليزية والفرنسية والعبرية، إلى جانب اللغة العربية الأم، مثلما فعل كل من علي جده ومحمود جده وحسن سرندح وهاني العيساوي.(12)

ويلاحظ أن تعلم اللغات لم يكن حكرا على المناضلين وحدهم، فقد كان حماس المناضلات لا يقل عن حماس المناضلين، وعلى وجه الخصوص اللغة العبرية، لدرجة أن بعضهن قد اعتقلن وهن لا يعرفن القراءة والكتابة، لكنهن تعلمن ذلك وباللغتين العربية والعبرية. ويبدو مثال المناضلة زكية شموط أكثر ووضوحا هنا، حيث زج بها في الاعتقال وهي لا تعرف القراءة والكتابة فانكبت تتعلم، تصل الليل بالنهار، حتى بلغ بها الأمر إلى كتابة الشعر باللغتين العربية والعبرية.(13)

شكل عدم معرفة اللغة العبرية استفزازا لبعض المعتقلين، لاسيما في مراحل معينة من التجربة، ودفعهم إلى الإسراع في تعلمها انطلاقا من حاجة ملحة، فالمعتقل السابق عطا القيمري، والمتخصص في الشؤون الإسرائيلية

حالياُ ومحرر نشرة المصدر التي تصدر في القدس، وجد نفسه في حرب أكتوبر 73، مضطرا ليسأل هذا وذاك من الذين يعرفون اللغة العبرية، بعد سماعهم نشرات الأخبار من راديو إسرائيل باللغة العبرية. ولان احد المعتقلين لم يتجاوب بالشكل المناسب مع حاجته لمعرفة ما يدور على الجبهتين السورية والمصرية ولشغفه المستمر في متابعة تطور الأحداث السياسية قرر تعلم اللغة العبرية، ليكون بمقدوره في المستقبل الاعتماد على نفسه، وهكذا كانت البداية(14). اما عماد النتشة الذي أصبح واحدا من الذين يتقنون اللغة العبرية بامتياز فقد لخص دافعه لتعلم اللغة العبرية على النحو التالي:

"شعرت بالضرورة القصوى لمعرفة اللغة العبرية، وذلك للنفاذ إلى أعماق الفكرة الصهيونية من خلال معقلها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نتيجة التلامس القوي بين الشعبين شعرت أن من واجبنا إيصال عدالة قضيتنا إليهم من خلال لغتهم، إضافة إلى سبب موضوعي فرض نفسه داخل المعتقل، وهو ضرورة اتقان اللغة العبرية لمعرفة ما يجري داخل المعتقل من الحراس والسجانين".(15)

لقد وسّع تعلم اللغات إطلاع المعتقلين ونوَّع تجاربهم وزاد مصادر معلوماتهم وفتح قنوات أخرى لكسر الحصار، ما يبرهن أن المعتقلين الفلسطينيين والعرب كان لديهم إصرار نادر على استثمار الوقت خلف القضبان، فيما هو مفيد ونافع. وتشكل اللغات صورة ايجابية من صور كثيرة في تجربة المعتقلين بعضها وثق كتابياً، والكثير منها لم يوثق(16). من هنا فإن الاهتمام باللغات وتعميمها وتعلمها وتناولها من مناضل ملّم إلى مناضل تلميذ، هي شكل إبداعي، يدلل أن المعتقلين استوعبوا مرحلتهم بشكل دقيق، وتعلموا كيف يبهتون العقوبة ويقلبون السحر على الساحر. جعلت اللغات بشكل عام المعتقلين يخترقون ليل الاعتقال المعتم ويطلعون على ثقافات الشعوب الأخرى. أما تعلم اللغة العبرية، فكان إضافة إلى ضرورته المعرفية، له ضرورة نضالية،مكنّت المناضلين من معرفة كيف يفكر عدوهم، وكيف يثقف نفسه، وكيف ينظر إلى العرب والفلسطينيين، وكيف يتعامل مع القضية الفلسطينية.(17)

الصحف

شمل الحصار المفروض على المعتقلين الصحف العربية، فقد منعت منعاُ تاما في بدايات الاعتقال، وحرم المعتقل من الإطلاع على ما يدور في الخارج كنوع من العقاب، وإحداث حالة من القطع ما بين المناضل المعتقل ومجتمعه، بل والعالم بأسره:

أ- **صحيفة" الأنباء":**

ولان ادارة السجون عملت منذ اللحظة الأولى ضمن برنامج تفريغي كما تبين في موقع سابق من هذا البحث، فإنها اعتمدت ادوات لتنفيذ مخططها" ومن هذه الأدوات صحيفة "الأنباء" التي كانت تصدر باللغة العربية، وموجهة إلى الجمهور العربي بهدف تغيير قناعاته وقولبة أفكاره، لينظر إلى الأمور من منظار الذين يحتلون الأرض ويهيمنون على كل شيء"(18). استمر دخول صحيفة الأنباء إلى المعتقلات حتى أواخر السبعينيات، كانت هذه الصحيفة تحمل توجهات حكومية إسرائيلية، كل خبر فيها مصاغ وفق اعتبارات سياسية. لذلك بذل المعتقلون جهودا كبيرة من اجل قراءة هذه الصحيفة، ثم تمحيص أخبارها ومقالاتها، وإخضاعها للغربلة والتحليل، لاستخلاص ما يبغون استخلاصه منها، بعيدا عن التأثر بسياسة الصحيفة المذكورة، مثلما كانوا يخضعون وبنفس الطريقة الأخبار التي واظبوا على الاستماع إليها مرتين في اليوم من "صوت إسرائيل باللغة العربية" الذي يوجه برامجه إلى المستمعين العرب لاستقطابهم سياسيا وثقافيا ضمن الرؤيا الإسرائيلية الرسمية، رؤية المهيمن الذي يسعى لتمرير روايته "لذا فقد استخلص الطلائعيون من الأسرى المضامين الخطيرة التي ستنجم عن اعتماد الأسير الفلسطيني على تلقي الأخبار حسب الرواية الإسرائيلية؟ وتفحصوا خطورة تكرار ذلك وما يمكن أن يولده من تثبيت مفاهيم سلبية وتحويل الأكاذيب إلى مسلمات قد يكون لها آثار بعيدة المدى تؤدي إلى تآكل الوعي الثوري المتصاعد في ذلك الوقت والإفادة من هذا التآكل للاستمرار في مضاعفة ضغط الأعلام الموجه...."(19). ومع تطور التجربة وتبلور وعي المعتقلين، ظهر متخصصون في التعامل مع ما تبثه وسائل الأعلام الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية ودحض ذلك، من خلال استخلاص الأخبار وتنقيتها مما شابها. أفرزت التجربة لاحقاً نخبة من ذوي الإطلاع والقدرة على التحليل لإعادة

صياغة الأخبار بما يتناغم مع التوجهات الوطنية الفلسطينية وليس بما يتلاءم مع التوجهات الحكومية والاستخباراتية الإسرائيلية. (20)

أدى تطور الوعي الشعبي الفلسطيني في النصف الثاني من السبعينيات، نتيجة بروز فصائل العمل الوطني الفلسطيني وامتداداتها، إلى لفظ الكثير من تجسيدات الاحتلال، ومؤسساته الثقافية والإعلامية، ومنها صحيفة "الأنباء"، التي خلص القائمون عليها أن ما يبذل من جهد وما يصرف من مال لإنتاج هذه الصحيفة لا يساوي البتة النتائج التي تحققها، بل أن هذه الصحيفة قد لاقت عزوفا جماهيرياً مقابل الاهتمام الذي حظيت به الصحف الوطنية الفلسطينية، فتقرر وقفها. وهذا أعطى حافزا آخر للمعتقلين لتركيز مطالبهم على ضرورة السماح بإدخال صحف فلسطينية. فجاءت الموافقة في وقت لاحق على صحيفة القدس، التي ظلت عدة سنوات الصحيفة الفلسطينية الوحيدة المسموح فيها بالمعتقلات(21). لكن من المهم الإشارة ان المعتقلين استثمروا صحيفة "الأنباء"، بأسلوبهم الانتقائي، وبإخضاعهم المادة المنشورة للتحليل، في التعامل لاحقاً مع الصحف الصادرة باللغة العبرية.(22)

ب- <u>صحيفة "القدس":</u>

ان سماح ادارة السجون بإدخال صحيفة القدس إلى المعتقلات جاء تتويجا لنضالات المعتقلين، وقد شكلت هذه الصحيفة قناة إخبارية محلية، رغم تعمد ادارة هذا المعتقل أو ذاك تأخير توزيعها على المعتقلين عدة أيام، حتى لا تصل الأخبار طازجة، لكن ذلك لم يقلل من أهمية هذا الإنجاز. وفي العام 1980"سمحت السلطات للأسرى الاشتراك في جريدة القدس العربية وجريدة معاريف ويديعوت احرنوت العبريتين على حسابهم الخاص، إضافة إلى مجلتي التايم وناشينال جيوغرافيك اللتين يحضرهما الصليب الأحمر".(23)

استمرت نضالات المعتقلين للاستفادة من سابقة صحيفة القدس وإدخال بقية الصحف الفلسطينية الأخرى. إلا أن ذلك تأخر بضع سنوات، ما اضطرهم لاستعمال وسائل كثيرة لتهريب صحف أخرى محسوبة على"فتح" كالفجر

و"الشعب" أو "الطليعة" الناطقة باسم الحزب الشيوعي و"الميثاق" و"الشراع" المقربتين من الجبهة الشعبية، وتمكنوا من إدخال أعداد منها بوسائلهم الخاصة إلى أن تسنى لهم في الانتفاضة الأولى الحصول على موافقة بإدخال صحيفتي "الفجر" و" الشعب" إلى المعتقلات، وقد مثّل هذا الإنجاز خطوة أخرى كبيرة على طريق كسر الحصار وتوسيع دائرة المعلومات(24). وبدخول الصحف الفلسطينية إلى المعتقلات لم يعد"صوت إسرائيل باللغة العربية" هو المصدر الوحيد للأخبار، خصوصاً وأن الصحف الفلسطينية اتاحت للمعتقلين رواية اخبارية وتحليلية متحررةً من البصمات الاستخباراتية. وحتى وإن كانت هذه الصحف خاضعة للرقابة الإسرائيلية، فان الرواية الفلسطينية، كان يستقرؤها ويستشفها المعتقلون من بين السطور، وبالاستفادة من خبرات المحررين في الصحف الفلسطينية الذين أصبح لديهم مقدرة تمويهية على الرقيب العسكري، من خلال التلاعب في الكلمات أو اللجوء إلى أساليب غير مباشرة.

الصحف والمجلات العبرية

يعتبر دخول الصحف العبرية إلى المعتقلات احد الإنجازات المهمة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين والعرب، لأنها وفرت مادة إخبارية ما كان حتى للصحف العربية الخاضعة للرقابة الاحتلالية ان توفرها، كون هذه الصحف موجهة في الأساس إلى الجمهور الإسرائيلي، وبالتالي فإن الرقابة المفروضة عليها محدودة، مقارنة مع صحف محاصرة بإجراءات ومقاسات الرقابة العسكرية الإسرائيلية. وتحقيق هذا الإنجاز لم يكن منّة أو هبّة من ادارة السجون، وإنما ارتبط بإضراب نفحة في العام 1980، حيث أصبح عندما يذكر الإضراب، يتبادر إلى أذهان المعتقلين والمهتمين بالتجربة الاعتقالية، الصحف والمجلات العبرية، التي وفر السماح بها مادة إخبارية ومقالية متنوعة(25). وبإطلاع المعتقلين على ما ينشر في الصحف العبرية مثل "يديعوت احرنوت"، "هآرتس"، "معاريف" ومجلة"هعولام هزة"، توفرت فرصة يومية ثمينة لمتابعة التطورات على الساحة الإسرائيلية سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافياً فكرياً، وأتيحت لهم متابعة التطورات في المجتمع الفلسطيني. صحيح ان هذه الصحافة تقوم بمعالجة القضايا الفلسطينية من منظور إسرائيلي، لكن ذلك لم يشكل عقبة أمام المعتقلين، الذين تعلموا بتجربتهم الخاصة،

كيف يدققون ويحللون ويستخلصون الأفكار والاستنتاجات.(26)

قضية أخرى يجب ان لا نغفلها ونحن بصدد الحديث عن هذه القناة الإخبارية المعلوماتية، وهي ان الصحف العبرية كانت تصل إلى المعتقلين يوميا، أي ان أخبارها حديثة، وليس على غرار ما اعتادت ان تفعله رقابة السجون وضباط الأمن مع الصحف العربية التي كانوا يتعمدون تأخيرها عدة أيام لتصل إلى المعتقلين وقد تقادمت أخبارها (27). ولم ينحصر اهتمام المعتقلين في متابعة الشأنين الفلسطيني والإسرائيلي من خلال ما تنشره الصحف العبرية، بل تعدتهما إلى الشأن الدولي، بعد ان تعمق الوعي السياسي والفكري في المعتقلات. وصار المحللون يخضعون تطورات عالمية معينة للتحليل، لتبيان مدى تأثيرها وانعكاساتها على القضية الفلسطينية.

حفز وجود الصحف العبرية في المعتقلات مئات المعتقلين إلى تعلم اللغة العبرية، حتى يتسنى لهم القراءة والمتابعة. أما القسم الآخر من المعتقلين فقد تعلموا اللغة العبرية، لكنهم لم يصلوا إلى مرحلة إتقان القراءة في الصحف وفهم الكلمات والمصطلحات السياسية، أو من الذين لم يتعلموا العبرية فقط، واكتفوا بما تنتجه "لجان الترجمة" في نشراتهم اليومية، التي تتضمن الأخبار والمقالات التي قدرت هذه اللجان المختصة أنها تهم المعتقلين.(28)

ويعتقد قسم من المعتقلين ان إدخال الصحف العبرية، انتزع انتزاعاً من ادارة السجون بفعل نضالي إلا ان هناك عددا من الذين خاضوا التجربة يعتقدون ان ادارة السجون راهنت من خلال هذه الصحف العبرية على التأثير في القناعات، وجعل المعتقلين بالتدريج واعتمادا على تركيم المعلومات والمفاهيم، يبهرون بالنموذج الإسرائيلي. وما يمكن قوله هنا، ان رهانهم قد سقط الى حد كبير، بعد ان برهن المعتقلون بأنهم محصنون بالوعي الذي كان صمام أمان ومصفاة لتنقية المعلومات.(29)

إذن كان هناك ارتباط وثيق بين تعلم اللغة العبرية وبين وجود الصحافة العبرية في المعتقلات. ومع ان تعلم اللغة سبق زمنياً السماح بالصحف العبرية، إلا أن تعلم هذه اللغة كان فرديا ولا يخضع لمنهجية معينة. أما بعد

دخول الصحف، فان ترابطا وثيقا بين تعلم اللغة والصحف بدا واضحا للعيان(30). ويمكن القول ان الإقبال على تعلم اللغة العبرية في ظل وجود الصحف مهّد الطريق تماما لولادة حركة ترجمة، بدأت جنينية وعفوية، ثم سرعان ما تبلورت وتطورت وصارت اقرب إلى المنهجية، وأكثر تعبيرا عن حاجات المعتقلين إخباريا ومعرفيا، ليصل النشاط على هذا الصعيد حد ترجمة كتب فكرية وروايات أدبية.

الصحافة العبرية قناة معلوماتية للصحافة الاعتقالية

المقصود بالصحافة الاعتقالية، المجلات والنشرات والصحف الخاصة بالفصيل أو العامة "الفصائلية" التي يصدرها المعتقلون بشكل منتظم أو متقطع، وتكتب بخط اليد، وعلى دفاتر يتم قصها وترتيبها لتأخذ أشكالا جميلة، وتصدّر بلوحات فنية من نتاجات فنانين معتقلين. ودرجت العادة ان تتضمن المجلات الاعتقالية والتي كانت أكثر شيوعا من الصحف، زوايا سياسية وتنظيمية وتربوية وأدبية واجتماعية ونضالية حول تقييم نتائج اضرابات عن الطعام ورصد العلاقة مع ادارة المعتقل. ولم تكن الصحافة الاعتقالية مجرد كتابة مقالات، ولم تهدف الى تزجية الوقت والتحايل على الزمن الثقيل، وإنما كانت ذات رسالة سياسية وتعبوية وفكرية وتنظيمية وكفاحية. وقد مرت في تطورها بعدد من المراحل، وهي نتاج التجربة الاعتقالية الكلية، وتشكل إحدى تجسيدات حرية المعتقلين في معتقلات الاحتلال، الحرية التي انتزعوها بوعيهم وإصرارهم على الكتابة (31).

أسهمت مجموعة من العوامل في التأسيس للصحافة الاعتقالية وبلورتها، منها توافر الخبرات لدى المعتقلين، فقد افرزت التجربة كفاءات ثقافية وفكرية وإبداعية وأفرزت أيضا تخصصات، في السياسة والثقافة والفكر والاقتصاد....الخ. وفرت المواد السياسية والتنظيمية والثقافية المهربة من الفصائل في الخارج إلى المعتقلين، معلومات أغنت الكتابة الصحفية ووضعت الكتاب في صورة ما يجري في الخارج، ما أفادهم في كتابة مقالاتهم وتحليلاتهم. استفاد المعتقلون من تهريب بعض اجهزة الراديو وتحديدا في معتقل السبع وبعد ذلك بسنوات في معتقل

النقب الصحراوي، حيث أسهم ذلك في توفير قنوات معلومات إخبارية يومية، ليزج في التجربة لاحقا بعدد من الصحفيين الفلسطينيين الذين عملوا في الصحافة في الوطن والخارج، وتخصصوا أكاديميا في هذا المجال، ليفيدوا بخبراتهم ومعارفهم المعتقلين الآخرين(32).

خرجّت الصحافة الاعتقالية مجموعة كبيرة من الكتاب والصحفيين وصقلت الأقلام الشابة وجعلت منها أقلاما قوية مجرّبة من خلال تحفيزها لكي تكتب وتكتب، برعاية تامة من النقاد وذوي التجربة الذين طالما تابعوا بالتوجيه والإرشاد والأخذ بيد هذه الأقلام لتشتد وتنضج. واليوم يفاخر كثير من المعتقلين الذين عملوا في الصحافة بعد تحررهم بالقول انهم تخرجوا من مدرسة الاعتقال، "فاكاديميتهم" اقتصرت على التجربة خلف القضبان ولولا المجلات والصحف والنشرات التي أبدعها المعتقلون، ما كان لهؤلاء ان يلتحقوا كعاملين في مهنة الصحافة.(33)

أما إصدار الصحف والمجلات في تجربة المناضلات الفلسطينيات فكان اقل زخما من تجربة إخوتهن ورفاقهن في المعتقلات، وذلك بسبب قلة عددهن من جهة، واضطرار القادرات على الكتابة ببذل جهود مكثفة في تعليم الأخريات أصول الكتابة والقراءة وتثقيفهن، بمعنى ان صدور المجلات كان متباعدا ومتقطعا ولم يشهد انتظاما يذكر في أي مرحلة من مراحل التجربة. أما الكتابة الأدبية والثقافية والتنظيمية، فقد تفاوتت في مستواها من فصيل إلى آخر، وكان العامل الحاسم على هذا الصعيد، هو مدى وجود وحضور الكوادر النسوية المعتقلة. وغالبا ما كان مستوى وعي هذه الكوادر يعكس نفسه على مجمل العملية الثقافية والكتابية والسياسية والتنظيمية(34). ورغم عدم انتظام إصدار المجلات والصحف لدى المناضلات الفلسطينيات، فان التجربة خرّجت عددا من اللواتي نضجت أقلامهم في الاعتقال، وأصبحن قادرات على كتابة المقالات والبحوث وحتى الخواطر والقصائد والقصص القصيرة. ومن بين هؤلاء برزت في مجال كتابة المقالة السياسية والاجتماعية والتنظيمية كل من:عائشة عودة، ربيحة ذياب، تريز هلسه، مريم الشخشير، رسمية عودة، وفاطمة البرناوي... أما في المجال الأدبي فبرزت لطفية الحواري(35). وفي المراحل التالية من تجربة المعتقلات الفلسطينيات برزت في مجال الكتابة، عبير الوحيدي، رلى ابودحو، زهره

قرعوش، وكان لهؤلاء نشاطهن المميز على هذا الصعيد، حيث استثمرن تجربة الاعتقال استثمارا جيدا في تطوير قدراتهن الكتابية.(36)

والآن بعد هذه السنوات الطوال التي مرت على التجربة الاعتقالية، فان الزائر ل"مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة" يجد عشرات المجلات الاعتقالية التي تمثل مراحل التجربة المختلفة ولكل الفصائل. ويمكن للقارئ المتمعن لهذه المجلات ان يلحظ التطور في الكتابة والمضمون والإخراج الفني من مرحلة إلى أخرى، كما يمكن الخروج بالملاحظة الآتية: ان لكل فصيل طريقته في الأولويات الكتابية والمعالجات وأيضا في طريقة الإخراج، لكن لا يخلو عدد واحد من هذه المجلات، من مقالات تمجد الفصيل ونضالاته، وتؤكد صوابية مواقفه وجذريته وكفاحيته إذا ما قورن بالفصائل الأخرى، ما يعكس فئوية وعصبوية تنظيمية. أما ما يسجل لصالح هذه المجلات، اهتمامها بالأقلام الشابة وتشجيعها للأدب، حيث غدت الزوايا الأدبية ثابتة في المجلات كافة.* إن إصدار المجلات الاعتقالية، يمثل إحدى العلامات المهمة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين. ولا يمكن لأي دارس لهذه التجربة إلا ان يتوقف ويتأمل مليا هذا الإبداع الصحافي الذي طالما أدهش بل وصدم السجان، وطالما في المقابل، ما اشغل أوقات المعتقلين المهتمين بعمل منتج مفيد شكل احد العلامات المضيئة في التجربة.

أما حول استفادة الصحافة الاعتقالية من الصحف العبرية، فقد أشار عدد من ذوي التجربة، ان الاستفادة كانت كبيرة، من حيث الأخبار والتحليلات، أسلوب كتابة التقرير والمقال. وقد شكلت الصحافة العبرية للصحافة الاعتقالية قناة معلوماتية مهمة. ** كان المعتقلون الفلسطينيون يستقون الأخبار والمعطيات الحديثة من الصحف العبرية ويخضونها للتحليل في مجلاتهم الخاصة، يردون عليها ويبينون للقراء من المعتقلين كيف يفكر الإسرائيليون وكيف ينظرون للفلسطينين على المستويات المختلفة، من سياسية وعسكرية واقتصادية.

---

* يحتوي مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة على عشرات المجلات الاعتقالية و مئات و ربما آلاف الكراسات و الدفاتر التنظيمية التي تم تجميعها من معظم المعتقلات و إمكانية الإطلاع من هذا التراث متاحة للباحثين و المهتمين.

** بين كل عدد من المعتقلين السابقين الذين واظبوا على قراءة الصحف العبرية في مقابلات خاصة بهذا البحث بأنهم استفادوا كثيراً من ما كانت تنشره الصحف العبرية ، لا سيما على الصعيد المعلواتي ، و منهم عطا القميري ، ناصر اللحام ، عماد النتشة ، صالح أبو عين ، صالح أبو لبن ، سعيد عياش .....

تبلور حركة الترجمة في المعتقلات
لاسيما عن اللغة العبرية :

ان تحول اللغات من مبادرات فردية إلى فعل جماعي منظم، شكل نواة لحركة ترجمة في المعتقلات، فتعلم اللغات كان ضروريا، فلا ترجمة دون لغات. جاء التوجه إلى تعلم اللغات استجابة إلى ضرورات موضوعية وجدت صداها في استعداد العامل الذاتي واستجابته لمتطلبات ظروف الاعتقال. وعندما تبلورت حركة ترجمة ذات أسس وأهداف وتجليات، فإنها "كانت رداً ثقافياً ونضالياً على سياسة العزل التي فرضها الاحتلال على المعتقلات"(37)، إذ احتاج المعتقلون تعلم اللغة العبرية في البداية من اجل مخاطبة السجان، فتعلمها ممثل المعتقل لكي ينقل مطالب المعتقلين إلى الإدارة وتعلمها المعتقل العامل في المطبخ للتفاهم مع السجان المناوب.. وهكذا. لكن تعلم اللغات لم يبق مقتصراً على الجانب المعلوماتي الحياتي اليومي، وإنما تعدى ذلك حينما أصبح المناضل المعتقل يعي ان تعلم لغة الضد هي قضية وطنية ونضالية، كما ان تعلم اللغات بشكل عام قد انتقل من حالات فردية ليتحول إلى ظاهرة جماعية تدخل في صميم تشكيلة البرامج الثقافية. (38)

وحقيقة الأمر اننا نظلم حركة الترجمة في المعتقلات إذا ما حددناها في اللغة العبرية فقط، لأن اللغات التي استهوت المعتقلين كانت عديدة، إذ استقطب تعلم اللغة الإنجليزية عددا كبيرا، فيما كان للغة الفرنسية حصة لا بأس بها من التعلم، وكذلك اللغة الأسبانية. ولما كان الاتحاد السوفيتي السابق يمثل دلالة وإنموذجا سياسياً وفكرياً لفئات من المعتقلين، فقد تحمس عدد منهم لتعلم اللغة الروسية، إلا ان تعلم اللغة العبرية كان أكثر شيوعاً(39). ومن العوامل التي ساعدت في تعلم اللغة العبرية، ان بعض المعتقلين خاضوا تجربة الاعتقال في بداية ومنتصف السبعينيات وهم يتقنون اللغة العبرية، بعد ان تعلموها عن طريق العمل والاحتكاك في الخارج، أو من خلال مراكز متخصصة في تعليم اللغات. لكن عددا من معتقلي مناطق 48، من الذين اعتقلوا وزج بهم في معتقلات مختلطة مع معتقلي الضفة والقطاع، أسهموا في تعليم الآخرين أصول اللغة العبرية. ومعلوم ان نسبة كبيرة في مناطق 48 تتقن

اللغة العبرية، نظراً لتعلمها في المدارس وظروف الاختلاط المرتبطة بتجربتهم الخاصة. وهناك مناضلون أسهموا بشكل جدي في تعليم اللغة العبرية للمعتقلين، بعد أن دخلوا المعتقلات وقد أتقنوها تماماً، ومن بين هؤلاء تيريز هلسة التي علمت اللغة لعشرات المعتقلات. (40)

شكل تعلم اللغات وإتقانها تربة خصبة ملائمة لولادة حركة ترجمة،أصبحت ذات قسمات واضحة في بداية الثمانينيات. وتركزت الجهود على ما تصدره الصحف العبرية، بترجمة الأخبار اليومية لمواكبة الحدث أولاً، ثم ترجمة المقالات ذات المعلومات، التي يمكن لها ان تعيش فترة أطول. وامتد ذلك إلى ترجمة كتب عن العبرية في التاريخ والدين والسياسة والعلوم الاجتماعية والأدب، أما عن الإنجليزية فقد نجح بعض المترجمين المتخصصين في ترجمة كتب عن حركات تحرر ورموز ثورية عالمية(41). وأسهمت حركة الترجمة في كل مراحل التجربة الاعتقالية في كسر الحصار، والاضطلاع بدور إخباري ومعلوماتي، وليس أدل على ذلك من تجربة المعتقلين الفلسطينيين في معتقل النقب الصحراوي، الذي أرادته الحكومة الإسرائيلية عند افتتاحه منفىً يعزل المعتقلين عن مجتمعهم، ويحول دون تواصلهم مع أبناء شعبهم ظناً منها بأن هذه الطريقة ستقصي النشطاء والقياديين عن التأثير في المجتمع، ما يسهم تدريجياً في إخماد النار الانتفاضية وصولا إلى إطفائها. لكن المعتقلين الذين يستندون إلى تجربة غنية، بدأوا من حيث ما انتهت إليه التجربة في المعتقلات التقليدية، خصوصاً وان المئات من الذين زج بهم في معتقل النقب الصحراوي هم من ذوي تجارب اعتقالية سابقة.

أبدع المعتقلون في النقب أشكالا في اختراق الحصار، من خلال إحضار صحف عبرية، كان يتم تهريبها من حاويات النفايات إلى الخيام بعد أن يقذفها الجنود بها ملفوفةً ببقايا الطعام. وكانت بعض هذه الصحف تحمل تاريخ نفس اليوم، لتتلقفها لجان خاصة كلفت من قبل قيادة المعتقلين بالترجمة، لتنقل المادة المترجمة سراً من قسم إلى آخر. ولما نجح المعتقلون من خلال اضراباتهم ومطالباتهم المستمرة، في جعل ادارة المعتقل تسمح بإدخال الصحف العبرية، صار بمقدور المترجمين العمل والإنتاج في ظروف أفضل. ولولا الترجمة عن الصحف العبرية

لعاش المعتقلون في معتقل النقب الصحراوي، في عزلة تامة عما يجري في الخارج.(42)

ومن المهم ان نشير ونحن نتحدث عن حركة الترجمة ان ثقافة المترجم وخلفيته الثقافية وتوجهاته، غالباً ما كانت توجه بعض المترجمين، حيث تعددت أوجه اهتماماتهم من ثقافية واقتصادية واجتماعية، في حين تخصص عدد من المترجمين في المقالات السياسية، وأصبح لديهم رصيد غني من المفردات والمصطلحات، إضافة إلى الخبرة في التعامل مع الكتاب والمحللين الإسرائيليين، الذين تتكرر مقالاتهم وأعمدتهم في الصحف(43). وعليه، يمكن اعتبار ان حركة الترجمة قد فتحت ثغرات شديدة الأهمية في الجدار. وأمدت المعتقلين بمعلومات وطروحات، عملت على اغناء معارفهم وتوسيع نطاق تفكيرهم.

النتاجات الإبداعية:

الحركة الإبداعية في المعتقلات هي نتاج جدلية العلاقة المعقدة ما بين العاملين الذاتي والموضوعي في المعتقلات، ونتاج العلاقة التفاعلية مع الحركة الإبداعية في الوطن وخارجه، خصوصاً وان أسوار المعتقلات والأسلاك الشائكة المحيطة بها، لم تحل دون التواصل الثقافي والإبداعي بين المعتقلين الفلسطينيين وحركة الإبداع في الخارج. كانت البدايات قصائد شعرية مباشرة ذات جرس عال ولغة خشنة. وكانت القصيدة في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات أسلوبا نضالياً، يهدف إلى تأكيد الذات، والتعبير عن المشاعر الوطنية، وإظهار الصوت الرافض للاحتلال وممارساته، وإعلان الصمود في وجه السجان، وعدم الانكسار أو الخنوع مهما بلغت درجة قسوة وقمعية الإجراءات العقابية. وكانت باكورة النتاجات الشعرية، تلك التي أنتجها المعتقلون في السنوات الأولى من التجربة، واستطاعوا تجميعها في ديوان صدر في معتقل السبع في أيار من العام 1975 (50 نسخة كتبت بخط اليد)، ليصدر بعد ذلك عن دور نشر في بيروت والقدس (44). ومع رسوخ ركائز التجربة النضالية والثقافية والفكرية، ارتقى الإبداع في المعتقلات بأشكاله وتجلياته المختلفة إلى مراحل أكثر تطوراً، وخرج على قالب الكلمات والجمل والمصطلحات المباشرة الصدامية، إلى عالم الإبداع الحقيقي القائم على التأمل والعمق والتحليل والربط والتوقع والاستشراف،

وأسهمت مجموعة من العوامل في بلورة الحركة الثقافية والإبداعية في المعتقلات منها: سيرورة التجربة ومخزون الخبرات بشكل عام، واشتداد عود الأطر التنظيمية، مع رسوخ المؤسسات الاعتقالية على صعيد الفصيل الواحد، والفصائل مجتمعة مثل (اللجنة النضالية العامة، الصندوق الاعتقالي)، وانتظام صدور النشرات والمجلات، وزيادة عدد الكوادر التنظيمية والثقافية التي أغنت التجربة. كما ان التقاط المعتقلين بشغف ما يصدر في الخارج ويتم إيصاله إلى المعتقلات بالطرق المعروفة المسموح بها، أو المعتمدة على وسائل المعتقلين الخاصة، جعل في متناول اليد مئات الكتب الثقافية والروايات والمسرحيات والقصص القصيرة والدواوين الشعرية، الفلسطينية المحلية، والعربية، والعالمية المترجمة إلى اللغة العربية، أو التي هي بلغاتها الأصلية(وتمت ترجمتها في المعتقلات). كل ذلك أسهم في اغناء التجربة، وفتح آفاقاً رحبة أمام المثقفين والمبدعين لينهلوا من التجارب الإبداعية خارج المعتقلات.(45)

كان للقراءة والكتابة في المعتقلات مذاق مختلف، فقد تحولت إلى أسلوب حياة، فالكتاب صديق يلازم كل واحد من المعتقلين، لا يبرحه سوى ساعات النوم. وأدرجت القراءة في برامج الفصائل كمهمات يومية للأعضاء، من "باب ان التثقيف هو من مقومات العملية النضالية، والعضو أو الكادر المثقف هو أفضل من الساذج البسيط، الذي يعزف عن القراءة، حتى أصبح المثقفون والمبدعون يحظون باحترام خاص في المعتقلات كافة، ولا غرابة إذا قلنا ان المثقفين والمبدعين شكلوا مركز استقطاب وثقل حقيقي في التجربة".(46)

كان الإبداع المرهم الذي يشفي جروح الجسد والروح. وكان مقوّم صمود وعيون يخترق بريقها عتمة الغياهب المظلمة ويحلق بعيداً يرنو إلى حياة إنسانية لا أسلاك فيها ولا قضبان شائكة، إلى ان تبلورت وتجسدت العملية الإبداعية كظاهرة ذات مواصفات خاصة "نضجت نتيجة لمسيرة تثقيفية طويلة وشاقة، شارك في إبرازها_ كظاهرة فريدة وملفتة للنظر _ التفاعل الاجتماعي والفكري والتربوي مع واقع الأسر كحاجة فرضتها ظروفه والضرورة لخلق حركة أسيرة وطنية عالية التنظيم والتماسك".(47)

لفتت النتاجات الإبداعية للمعتقلين الفلسطينيين والعرب انتباه ليس النقاد والمهتمين والمحللين

الفلسطينيين والعرب فحسب، وإنما بعض الأكاديميين والنقاد العالميين مثل: الدكتورة ناديا هارلو، الأستاذة في جامعة تكساس التي تناولت الفن القصصي للمعتقلين الفلسطينيين، وتطرقت للظروف التي ولدت فيها النتاجات الأدبية معتبرةً ما كتب في المعتقلات قد شكل رافداً مهماً للأدب المقاوم. واستشهدت هارلو بالمحامي وليد الفاهوم الذي له تجربة في متابعة عشرات القضايا لمعتقلين فلسطينيين، حينما ذكر، ان العديد من الكتاب المعتقلين مزقوا أو اتلفوا نتاجاتهم الإبداعية والثقافية أثناء عمليات التفتيش إلى جانب مصادرة عشرات المخطوطات والنصوص الأدبية في حملات الدهم البوليسية المباغتة التي كانت تستهدف ما ينتجه المعتقلون على هذا الصعيد، لأن الحكومة الإسرائيلية تخشى ان يتسرب أي نتاج أدبي من الزنزانة، وكأنها تتعامل مع النصوص الأدبية من منطلق انها تخفي بين سطورها قنابل وبنادق وطائرات مقاتلة(48). وجاء اهتمام هارلو بإبداعات المعتقلين الفلسطينيين في إطار اهتمامهم بالأدب المقاوم على مستوى عالمي، حيث جمعت في دراسة مقارنة العديد من النماذج الإبداعية التي أنتجتها أقلام مقاومة انصهرت في القضايا التحررية لشعوبها.(49)

رفد المعتقلون الحركة الإبداعية الفلسطينية بنتاجات أغنت التجربة في الشعر، الخاطرة، القصة القصيرة، الرواية، المقالة، النص المسرحي، اللوحة الفنية، لذا ليس غريبا ان يكون للأقلام الأدبية التي تعمدت في تجربة الاعتقال حصة لا بأس بها، في إصدارات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وفي الملاحق الأدبية والثقافية في الصحف والمجلات المحلية وحتى في الكتب المترجمة إلى لغات أجنبية مثل إصدار اتحاد الكتاب باللغة الإنجليزية(نصوص قصة قصيرة)، حيث مثل عدد المشاركين من الأدباء في هذا الإصدار الذين تخرجوا من تجربة الاعتقال(15) من اصل (44) أي ما يقارب الثلث(50). وما كان الإبداع في التجربة الاعتقالية ان يتطور ويستقطب الانتباه إليه، لولا إطلاع المعتقلين على التجارب الإبداعية في الخارج، من خلال قراءة وهضم إبداعات فلسطينية وعربية بترجمة روايات وقصص وكتب ثقافية منتقاة من اللغتين الإنجليزية والفرنسية. يؤكد علي جدة بأنه ترجم خلال اعتقاله أي على مدى خمسة عشر عاماً مقالات ثقافية وإبداعية عن مجلات عالمية كان يحضرها الصليب الأحمر كما ترجم

أشعاراً لمبدعين فرنسيين و إنجليز. (51)

ان التجربة الثقافية والإبداعية في المعتقلات حققت إنجازات لفتت انتباه عددا من الباحثين والدارسين والاكاديمين، حيث أصبحت مادة لرسائل ماجستير ودكتوراه حتى في بعض الجامعات الأجنبية. اختار إسماعيل الناشف رسالة الدكتوراه حول نتاجات المعتقلين الإبداعية (52)، فيما كانت رسالة ثانية لنيل شهادة الدكتوراه تقدمت بها هديل القزاز حول تجربة التعليم في المعتقلات(53)، وهناك رسالة دكتوراه على هذا الصعيد قيد الإنجاز للطالبة رباب طميش (54). وتناولت رسالة أكاديمية اخرى التفاعلات النفسية للفنانين الفلسطينيين المعتقلين السياسيين، تقدم بها شادي جابر لنيل شهادة الماجستير(55). وفي الإطار ذاته لفتت بعض النتاجات الإبداعية التي ترجمت إلى اللغة العبرية انتباه بعض المثقفين والصحفيين الإسرائيليين، كقصة بشير الخيري (خفقات ذاكرة) التي ترجمت إلى اللغة العبرية تحت عنوان(رسائل إلى شجرة الليمون).كتب حول قصة الخيري الصحفي الإسرائيلي جدعون ليفي:"ان القصة مكنت القارىء الإسرائيلي للمرة الأولى تقريبا، من الإطلاع على قصة اللاجيء الفلسطيني كقصة إنسانية مأساوية". إسرائيليون قليلون جداً أولئك الذين سمعوا كيف يستمر اشتعال حنين الفلسطينيين في المخيمات إلى قراهم ومدنهم.(56)

أما ميخائيل وارشوفسكي مدير مركز المعلومات البديلة، كتب في تقديمه لقصة بشير الخيري، انه بعد نشر القصة باللغة العبرية كتبت حولها العديد من المقالات الصحفية، وتناولتها بعض برامج التلفزة، ما شكل حالة من الجدل في الشارع الإسرائيلي حول القضية التي أثارتها قصة هذا المعتقل الفلسطيني الذي أمضى ستة عشر عاما في الاعتقال قبل ان يتعرض للنفي عن ارض وطنه، ألا وهي قضية اللاجئين الفلسطينيين وتطلعاتهم للعودة.(57)

ما كان لإبداعات المعتقلين الفلسطينيين ان تصل إلى المستوى المتطور الذي حققته بمعزل عن سياق تجربة ثقافية وتنظيمية طويلة في ظل إصرار المعتقلين على الانفتاح على التجارب الثقافية والإبداعية الفلسطينية والعربية والدولية وحتى عند عدوهم رغم كل إجراءات المنع والإعاقة، لتتسلل هذه الإبداعات إلى الصحف العبرية، ليكتب حولها، ويناقشها الكتّاب الإسرائيليون يخضعونها للتحليل والنقد، كما حصل مع قصة بشير الخيري.

الاهتمام بالحركة الثقافية والإبداعية الإسرائيلية

اهتم غالبية المعتقلين بالتفاعلات والتطورات السياسية والاقتصادية الإسرائيلية، لكن الاهتمام بالجوانب الثقافية والإبداعية اقتصر على النخبة، أي المثقفين والمبدعين من بين المعتقلين. كان الدافع الرئيس لذلك الإطلاع على النتاجات الإسرائيلية على هذا الصعيد، وكيف تناول الكتاب القضايا المتعلقة بالصراع العربي– الإسرائيلي في أعمالهم الأدبية، وكذلك المواضيع التي استحوذت على اهتمام المثقفين والكتاب الإسرائيليين.

اهتم المثقفون والمبدعون الفلسطينيون والعرب في معتقلات الاحتلال بمعرفة صورة العربي في نتاجات الشعراء والروائيين وكتاب القصة الإسرائيليين. بيْد أن البعض انشد إلى مقارنة المستوى الثقافي والإبداعي الفلسطيني بما يناظره إسرائيليا.يقول عطا القيمري: "بعد أن تمكنت من اللغة العبرية، وأصبح بمقدوري ليس التعامل مع ما تنشره الصحف العبرية من اخبار ومقالات وحسب، وإنما أيضا مع النصوص والنتاجات الإبداعية، حيث أعطيت اهتماماً معيناً لقراءة وترجمة بعض النصوص الشعرية والقصصية ومقالات ثقافية من ملاحق يديعوت احرنوت وهآرتس".(58)

قرأ بعض المهتمين نصوصاً أدبية باللغة العبرية وتمعنوا فيها لغوياً، واكتشفوا إيقاعات اللغة، وقارنوا ذلك بإيقاعات ودلالات اللغة العربية. إلا أن الأهم من البعد الجمالي هو المضمون، فمعرفة ماهية ما يكتب وينتج الإسرائيليون، كان لها دوافع معرفية أملاها الواقع وطبيعة الصراع وملحاحية الرغبة في الإطلاع على تفاصيل حياة العدو. وهذا ما رمى إليه علي جده على سبيل المثال، من قراءة نصوص أدبية وشعرية وقصصية لكتاب يساريين ويمينيين قبل أن يكتشف أن الغالبية العظمى من الكتاب والمثقفين الإسرائيليين، يزيفون الواقع ويقولبونه خدمة لتكريس وضع سياسي معين، باستثناء قلة حاولوا تصوير جوانب من الواقع بأسلوب نقدي. ان القسم الأكبر من الكتاب الإسرائيليين صوَّروا العربي كعدواني ومتخلف يسعى لتدمير إسرائيل. أما الاستثناء منهم فقد تطرقوا إلى ممارسات الاحتلال وقمعه، مثل كتابات ديفيد غروسمان(59). يوضح علي جده ان هناك عدداً قليلاً بين المعتقلين الفلسطينيين قرأوا رواية ابتسامة الجدي عن العبرية، وجرت محاولات لترجمة أجزاء منها إلى اللغة العربية، من منطلق

أن ما ورد فيها كان إدانة للاحتلال، قبل أن تصدر فيما بعد مترجمة إلى اللغة العربية، ليتناولها المهتمون في فلسطين على نطاق أوسع.(60)

اجتهد مثقفون وكتاب معتقلون لمعرفة صورة العربي في الأدب العبري. وكانت الصدمة كبيرة عند بعضهم حينما وجدوها موشحة بالسواد، في حين لم يفاجأ الآخرون الذين فهموا واستوعبوا التركيبة الأيدولوجية والسياسية للمثقفين والكتاب الإسرائيليين الذين في غالبيتهم يلتفون حول النظام الرسمي ويؤيدون توجهاته،فيما استمرت نسبة ضئيلة منهم تغرد خارج السرب وتلقى الرفض والنفور. لفت هذا انتباه الشاعر والباحث أحمد أبو غوش خلال اعتقاله، رصد التغيرات التي طرأت على صورة العربي في الأدب العبري، اذ أنه مع بداية الهجرات اليهودية إلى فلسطين،كانت الصورة السائدة للعربي وهو يمتطي حصانه ويثبّت خنجره على جنبه، يجوب البراري والصحراء، وعندما بدأ اليهود يضعون نواة دولتهم على الأرض الفلسطينية، راح كتابهم يصفون العربي بالمتخلف غير القادر على مواكبة الحضارة والتطور حتى إذا جاء العام 1948، وحلت النكبة بالشعب الفلسطيني، بعد أن تمكن اليهود من إقامة دولة خاصة بهم على الجزء الأكبر من فلسطين، صار الأدب العبري يصور العربي بأنه جبان رعديد لا يتقن فنون الحرب والصمود. وبعد العام 1967 وانطلاق المقاومة الفلسطينية وتبنيها الكفاح المسلح، أخذت صورة العربي في الادب العبري منحى آخر، حينما التصق بها نعت الإرهابي الذي يسعى الى تدمير إسرائيل وأبادتها لإقامة دولة فلسطينية خالصة عليها. استخلص أبو غوش التغيرات في صورة العربي من قراءاته ومتابعته خلال اعتقاله. وعندما تحرر والتحق بجامعة القدس وتخصص في الدراسات الإسرائيلية، حاول دراسة هذه القضية بأسلوب أكاديمي ممنهج، ليقدم محاضرة حول ذلك في أطار متطلب أكاديمي، حيث شخص وحلل صورة العربي في الأدب العبري بين النمطي واللانمطي، وظروف وحيثيات التغييرالذي طرأ عليها، لكن في نطاق التصنيف السلبي للعربي.(61)

تجاوز اهتمام بعض المثقفين والمبدعين الفلسطينيين حدود الإطلاع على ما كتبه ويكتبه الضد، إلى خوض تجربة الكتابة باللغة العبرية، كما فعل عبدالله اسكافي الذي كانت له محاولات في كتابة الشعر باللغة العبرية.

أما بالنسبة إلى تجربة المناضلات الفلسطينيات فان عددا منهن أتقن اللغة العبرية وقرأن الصحف وبعض النتاجات الثقافية التي أتيح لهن الإطلاع عليها. لكن هناك حالات استثنائية تجاوزت القراءة والإطلاع إلى ما هو أبعد من ذلك مثل زكية شموط التي كتبت الشعر.

ما ذكرنا من أمثلة واستشهادات، يشير إلى أن الإطلاع على الأوضاع الثقافية والإبداعية باللغة العبرية ظل محصورا في نخبة المعتقلين، بل في جزء من النخبة، أي الذين اتجهوا لتعلم اللغة العبرية والتعمق في دراسة المجتمع الإسرائيلي. وهذا الأمر ليس غريباً، إذا ما قورن بالوضع خارج الاعتقال، فعدد المهتمين من الكتاب والمثقفين الفلسطينيين بالحركة الثقافية الإسرائيلية يظل قليلاً. ويمكن قياس المسألة بمحدودية ما ترجم إلى اللغة العربية من نصوص ثقافية وإبداعية عبرية.

هوامش الفصل الثاني

1. احمد أبو غوش، **ثقافة تحدت القيد(ورشة عمل)**، مرجع سابق، ص16.
2. عطا القيمري، **السجن ليس لنا**، مرجع سابق، ص119.
3. المرجع السابق، ص 120.
4. منصور ثابت، **ثقافة تحدت القيد(ورشة عمل)**، مرجع سابق، ص13.

5. حسن عبد الله، **أثر الرسالة**، مرجع سابق، ص 22.

6. حلمي العنقاوي، مرجع سابق، ص 26.

7. عطا القيمري، مرجع سابق، ص 26.

8. علي جده، مقابلة، القدس: 2003/12/5.

9. المرجع السابق.

10. عطا القيمري، مقابلة، القدس: 2/ 2004/1.

11. علي جده، مرجع سابق.

12. **جريدة الصنارة(الملحق)**، 2\2\1999.

13. ريموندا طويل، **سجينات الوطن السجين**، عكا: دار الاسوار، 1988، ص102.

14. عطا القيمري، (مقابلة) مرجع سابق.

15. عماد النتشة، مقابلة، بيت لحم: 2004/2/15.

16. **الصنارة**، مرجع سابق.

17. عبد الرحمن الترك، مقابلة، رام الله: 2004/2/12.

18. علي جده، مرجع سابق.

19. جاد الله سلمان، مرجع سابق، ص 67.

20. المرجع السابق، نفس الصفحة.

21. محمد مناصرة، مقابلة، بيت لحم: 2003/12/14.

22. عاهد الخواجا، مقابلة، رام الله: 2004/3/7.

23. عطا القيمري، **السجن ليس لنا**، مرجع سابق، ص 123.

24. عاهد خواجا، مرجع سابق.

25. علي جدة، مرجع سابق.

26. عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

27. صالح أبو لبن، مقابلة، بيت لحم: 2003/12/7.

28. صالح أبو لبن، عماد النتشة، مقابلتان، مرجعان سابقان.

29. إبراهيم أبو كامش، مقابلة، رام الله: 2004/1/13.

30. تلفزيون وطن، **برنامج حصاد الأسبوع**، 12\2\2004.

31. حسن عبد الله، **سطور من ذاكرة التجربة(ورشة عمل)**، رام الله: المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، 2002/12/30، ص5.

32. المرجع السابق، ص6.

33. عمر عساف، **تلفزيون وطن، أسبوع الثقافة الاعتقالية**،1999/7/7.

34. لاحظ شهادة حليمة أبو صلب، حسن عبدالله، **النتاجات الأدبية الاعتقالية**،مرجع سابق، ص 148.

35. حسن عبدالله ،**دراسة تأريخية تحليلية في الصحافة الاعتقالية**، رام الله: مركز المشرق،1996، ص 95.

36. **اسبوع الثقافة الاعتقالية** ،(الحلقة الثانية)، تلفزيون وطن 1999/7/8 .

37. حسن عبدالله، **دراسة تأريخية تحليلية في الصحافة الاعتقالية**، مرجع سابق، ص 35.

38. المرجع السابق، ص 36.

39. محمد نزال، مقابلة، رام الله: 2003/12/15.

40. عائشة عودة، عطاف يوسف، مقابلتان، رام الله: 2004/3/1.

41. عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

42. لاحظ حسن عبدالله **دراسة تأريخية تحليلية في الصحافة الاعتقالية**، مرجع سابق، من ص 42، ص 33+44 وحسن عبدالله، **صحفي في الصحراء**، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1995، من ص65-72.

43. عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

44. محمد عبد السلام واخرون، **ديوان كلمات سجينة**، صدر بخط اليد في معتقل السبع في العام 75، ثم صدر في بيروت، وصدر لاحقاً في القدس: بلا ناشر، 1977.

45. فهد ابو الحج، مقابلة، رام الله: 2003/7/13.

46. محمد نزال، مقابلة، مرجع سابق.

47. سلمان جاد الله، مرجع سابق، ص34.

48. باربرا، هارلو، **الآداب**، العددان 5+6، الناصرة: تموز 1990، ص32-50.

49. Barbara Harlow, **Resistance literature**, New Yourk: Methuen inc and methuen an co, 1987.

50. **Modern Palestinian Short Stories in Translation**, 44 Authors, (edited by Izzat Ghazzawi, Claire Peak), Jerusalem: The Palestinian Writers Union, 1998.

51. علي جده، مرجع سابق.

52. Esmail Nashif, **Identity, Community, and Text: The Production of Meaning among Palestinian Political Capitives**, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Texas at A Ustin, 2004.

53. Hadeel Alkazaz, **The role of non-formal Education in Development: The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons**, for the degree of Doctor of Education, university of Leeds, 1994-1997.

54. Rabab Tmesh, **Pain Violence in Palestinian War_ Prisoner Narrative**, for the degree of Doctor of Philosophy (under preparing), University of Michigan.

55. Shadi Jabber, **Artistic Expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisons**, for the degree of Master of Art is Expressive Arts Therapy, European Graduate School EGS, 2003.

56. جدعون ليفي، **هآرتس**، 25\5\1997.

57. بشير الخيري، **خفقات ذاكرة**، القدس– بيت لحم: مركز المعلومات البديلة، 1997، ص5.

58. عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

59. علي جده، مرجع سابق.

60. ديفيد غروسمان، **ابتسامة الجدي**، ترجمة حسن خضر، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1996.

61. أحمد أبو غوش، مقابلة، رام الله: 2004/3/1.

الفصل الثالث

التفاعلات الداخلية التي أحدثتها الصحف العبرية

كما بيَّنا في موقع سابق من هذا البحث، كان إدخال الصحف العبرية إلى المعتقلات، نتيجة لنضالات، توّجت بإضراب نفحة في العام 1980، الذي على أثره سمحت ادارة السجون للمعتقلين بالاشتراك في الصحف العبرية. لقد سعى المعتقلون إلى تحقيق هذا الإنجاز إدراكا منهم، أن هذه الصحف من شأنها أن تشكل لهم قناة إخبارية وتحليلية وثقافية، تسهم في اختراق الحصار المشدد المفروض عليهم، وتفتح لهم بوابة معرفية يومية على أوجه الحياة في المجتمع الإسرائيلي.

ومن الطبيعي أن تحدث الصحف العبرية تفاعلات في أوساط المعتقلين، ليس على مستوى الذين تعلموا اللغة العبرية وكان بمقدورهم التعامل مع هذه الصحف، وإنما على مستوى المعتقلين بشكل عام. لأن الذي لم يتعلم اللغة العبرية، كان يستفيد من جهود المترجمين (لجان الترجمة، النشرات المترجمة التي كانت تعمم يومياً على المعتقلين). كانت القاعدة عامه وشملت فئات المعتقلين وطالت جميع مستوياتهم، إلا أن درجات الاستفاده قد تباينت، نظراً لخضوعها إلى مجموعة من العوامل، مثل المستوى الثقافي للإنسان المعتقل، استعداده للتعلم والمعرفة، مدى قدرته على التعامل مع ما ينشر في الصحف العبرية بعين تحليلية ونقدية. ان غياب مثل هذه العين، سيؤدي في النهاية إلى التوافق بشكل أو بآخر مع توجهات هذه الصحيفة أو تلك، بما يخلخل بعض القناعات الفكرية أو السياسية. إذ تنطلق هذه الصحف في الأساس من توجهات إسرائيلية، وهي تخدم أفكارا معينة وتعبر عن فئات وأحزاب أو تجمعات أو مصالح اقتصادية أو أثنية.

1- كيف تعامل المعتقلون مع هذه الصحف:

أدرج المعتقلون منذ منتصف السبعينيات مطلب السماح بادخال للصحف العبرية في قوائم مطالبهم المقدمة إلى إدارة السجون، وكان الرد سلبياً دائماً، لكن المعتقلين لم يسلموا للأمر واستمروا يطالبون ويلحون ويشددون على ذلك في الاضرابات المفتوحة عن الطعام. أثمرت نضالاتهم ومطالبهم بتحقيق هذا الإنجاز في إضراب نفحة الشهير. قابل المعتقلون إدخال الصحف العبرية باحتفالية كبيرة، من باب أنها ثمرة نضال، وأنها خطوة كبرى في مجال كسر الحصار. يقول جورج كرزم: " لقد تلقفنا الصحف العبرية في المعتقل، وانكب الذين يعرفون اللغة على قراءة كل ما يستحق القراءة والتحليل وكوني من مناطق 48 وأنهيت دراستي الأكاديمية في الجامعة العبرية، كان لزاما علي أن أقرأ وأترجم وأوصل ما قرأت واستوعبت إلى إخوتي ورفاقي".(1)

أدخل المعتقلون موضوع الترجمة عن الصحف العبرية في البرنامج اليومي. فلا يمر يوم واحد دون أن تصدر نشرة داخلية مترجمة، يمررها المعتقلون من غرفة اعتقالية إلى أخرى. ولم يكن الحماس للصحف العبرية

متساوياً عند جميع المعتقلين بنفس المستوى، حيث رأى البعض أن الإفراط في الاعتماد على هذه الصحف كمصدر إخباري تحليلي، من شأنه أن يكون على حساب البحث عن مصادر إخبارية فلسطينية وعربية أخرى وإبداع الوسائل الجديدة، بيْد أن ذوي هذه النظرة كانوا قلائل، ولم يستطيعوا تعميم اعتقادهم على الآخرين. لأن من تحمسوا للصحف العبرية وتعاملوا معها كإنجاز لم يهملوا المصادر الإخبارية الأخرى، كأجهزة الراديو المهربة، ثم أجهزة الراديو التي سمح بها بعد العام 1985، ما سهل التقاط محطات عربية وأجنبية. وكان(راديو مونتي كارلو) شكل مصدراً إخباريا مهما للمعتقلين، وتحديداً حول الأوضاع في المناطق المحتلة في أواخر السبعينيات وحتى سنوات الانتفاضة الأولى في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات.(2)

شرعت الفصائل في وضع تعلم وتعليم اللغة العبرية في برامجها، فالصحيفة العبرية أصبحت في المعتقلات حقيقة قائمة، واستثمار ذلك، هو مطلب نضالي ليس في الإطار الإخباري فقط وإنما في معرفة كيف يفكر من يحتل الأرض، وكيف يصوغ توجهاته، وكيف يعرض روايته، وأين تكمن الثغرات في هذه الرواية، وأين أوجه التناقض فيها، وفي أي إطار يمكن الاستفادة من هذا في بناء خطاب سياسي فلسطيني متماسك ومتكامل، يحمل في طياته تكذيباً تلقائياً، لما يكتب الإسرائيليون ويصيغون ويقولبون(3). لقد دخل المعتقلون من الباب الإعلامي لعدوهم، وتعاملوا مع التقنيات المستعملة في صحافتهم، وتسللوا إلى الساحة الإسرائيلية، مستفيدين من انفتاح الصحافة على جمهورها واحترامها للقارىء الإسرائيلي. التقط قراء الصحف العبرية والمترجمون ما يمكن التقاطه من أخبار ومقالات وتوجهات تم صياغتها بنوع من الانفتاح والمصداقية كونها صحافة تكتب في الأساس للجمهور الإسرائيلي وليس الفلسطيني، فأن يصطاد المعتقلون بعض إنجازات عدوهم ويفتحون بها بعض الثغرات في أسوار الحجز، فهذا يشكل ضرباً من ضروب الإّبداع.

2-الرقابة الداخلية:

قطع المعتقلون الفلسطينيون والعرب شوطاً ايجابياً على صعيد ممارسة الديمقراطية، وتحديدياً فيما يتعلق

بممارسة النقد والنقد الذاتي، واختيار قيادتهم من خلال الانتخابات المباشرة. وشكلت المؤتمرات الداخلية تطوراً ديمقراطياً نوعياً، فقد أسهم عقدها في دراسة التجربة وتحديد مواطن الضعف والقوة في الجسم التنظيمي والتجربة الاعتقالية، بغية تصويب المسار وتصليب المواقف في هذه الساحات المغلقة. ومن المفارقة، أن تجربة المعتقلين تقدمت ديمقراطياً على تجربة الحركة الوطنية في الخارج.(4)

تحمس في السنوات الأخيرة عدد من الباحثين لدراسة جوانب من التجربة الاعتقالية. وجاءت معظم الدراسات أقرب إلى الانبهار بالتجربة، انطلاقاً من حقيقة وجود إنجازات كثيرة تحققت، أو بفعل التعاطف الشديد مع أولئك الذين صمدوا في ظروف مأساوية، ولم تكسرهم إجراءات السجان، التي استهدفتهم وطنياً، وتنظيمياً، وثقافياً، وفكرياً، واجتماعياً، ونفسياً. لكننا نظلم التجربة البحثية إذا وقعنا في خطأ التعميم ولم ننتبه إلى بعض الدراسات التي أبرزت الكثير من السلبيات في التجربة. ولم يخرج الباحث خالد الهندي على الموضوعية حينما اعتبر على سبيل المثال أن من أبرز السلبيات التي اعترت التجربة الديمقراطية لدى المعتقلين الفلسطينيين" التضييق على بعض الحقوق والحريات العامة التي كفلتها الشرائع والقوانين للإنسان بوصفه إنساناً. ومن ذلك، التضييق على حرية الانتماء والتنظيم، وحرية التعبير، وحرية الفكر والإطلاع..".(5)

خضع المعتقلون لرقابة فصائلهم ورقابة المؤسسات الاعتقالية الفصائلية العامة، ففرضت رقابة مشددة على الرسائل الخاصة بالمعتقلين من قبل الفصيل. ودوافع قراءة وتمحيص الرسائل الصادرة والواردة للمعتقلين من قبل فصائلهم هي أمنية بالدرجة الأولى. "فقد استغلت ادارة السجون والجهاز الاستخباراتي التابع لها الرسالة للاتصال ببعض المدسوسين بين المعتقلين الذين أُسقطوا قبل اعتقالهم أو أثناء التحقيق، من أجل الحصول على معلومات حول الوضع التنظيمي والاجتماعي والنفسي للمعتقلين، ومتابعة النشطاء والقياديين في المعتقل، ورصد التحركات والتحضيرات لخوض الخطوات النضالية"(6). وورد في الأنظمة واللوائح الداخلية للفصائل نصوص تشرِّع رقابة الرسائل وتحدد أوجه هذه الرقابة وإطارها، أي متى يكتب الرسالة ولمن، وكيف يخرجها في الحالات الطارئة، ودور المسؤول

التنظيمي أو الأمير في الإشراف على حركة المراسلات(7). وشملت الرقابة سهر المعتقلين، وحتى خروجهم إلى الحمام ليلاً، وكان ذلك يتم بإلحاح الهواجس الأمنية، لدرجة أن أحد الفصائل الفلسطينية فتح نقاشاً داخلياً حول خروج المعتقل من الخيمة ليلاً لقضاء الحاجة في المرحاض الذي يبعد عدة أمتار عنها، أي هل يذهب بمفرده أم يرافقه آخر.(8)

تعددت أشكال الرقابة حسب مراحل تطور التجربة. وفي فترة لاحقة، ومع دخول التلفاز إلى المعتقلات، حاولت بعض الفصائل فرض رقابة على البرامج والأفلام، وحددت رقيباً مختصاً يقوم بإقفال التلفاز مباشرة عند مشاهد التقبيل أو التعرية. ودارت الكثير من النقاشات حول هذا السلوك الرقابي، على اعتبار أنه يسيء للمعتقلين ويستخف بقدراتهم على الصمود أمام مشهد غرامي، أو أمام مشهد فتاة بان بعض من مفاتنها. وبينما ألغت بعض الفصائل الرقابة تماماً على التلفاز وسمحت بمشاهده مفتوحة، فإن بعض الفصائل وربما من منطلقات دينية أبقت على شكل معين من الرقابة.(9)

وتعتبر الرقابة على قراءة الكتب التي استمرت عند بعض الفصائل حتى الثمانينيات من أشد أنواع الرقابة، بخاصة تلك الفصائل التي فرضت في بعض المعتقلات رقابة على قراءة كتب معينة ففي "حركة فتح تحديداً.. وكانت التنظيم الأكثر عدداً.. كان التعمق الفكري يؤدي حسب رؤية بعض الكوادر الأوائل في المعتقلات إلى الانحراف اليساري أو الديني. أما في التنظيمات اليسارية الماركسية فقد كانت دراسة الفكر الغربي تؤدي أيضاً إلى الانحراف الفكري، وهذا أدى إلى إعاقة البحث العلمي".(10)

لم تستثن الرقابة الداخلية الكتب والمجلات والنشرات الخاصة أو الوطنية العامة، فالمقال حسب التوجهات الرقابية، يجب أن يخضع إلى تدقيق هيئات التحرير التي ترتبط بالضرورة وبشكل مباشر بالهيئات المسؤولة. علماً أن أحد المسؤوليين التنظيميين، غالباً ما كان يرأس هيئة التحرير، لضبط ما يكتب وجعله على مقاس موقف وسياسة وتوجه الفصيل. يقول إبراهيم أبو كامش" اضطررت في إحدى المرات أن أعيد مقالاً كتبته في معتقل الجنيد خمس

مرات، وفي كل مرة يدعي مسؤول هيئة التحرير، الذي هو مسؤول المنظمة في المعتقل، أن المقال لم ينطبق في هذه الفقرة أو تلك مع سياسة الفصيل" (11). ولم يكن أبو كامش هو الوحيد من بين الكتاب الذي عانى من الرقابة الصحافية الداخلية، فكثير من الكتاب عزفوا عن الكتابة في المجلات الاعتقالية هروباً من الرقابة، واكتفوا بتدوين ما يكتبون في دفاترهم الخاصة، كما لو أنهم يكتبون مذكراتهم. وقد دفعت الرقابة الشاعر والباحث أحمد أبو غوش، إلى الاستقالة من هيئة تحرير إحدى المجلات خلال وجوده في معتقل طولكرم، احتجاجاً على تدخل أحد المسؤولين التنظيميين في ماهية المواد المنشورة، ومحاولته فرض رؤية معينة. أما رد المسؤول وبالاستناد إلى الهيئة التنظيمية التي يعمل فيها، فتمثل في إيقاف المجلة، تماماً مثلما تفعل جهة حكومية عندما توقف ترخيص مجلة، لأن مقالاً أزعج النظام، أو لأن محرراً لم يشنق نفسه بحبل المنع والقمع.(12)

أما قصة الصحف العبرية فهي مختلفة، والاختلاف هنا في مستوى الرقابة، التي بلغت أقصى درجاتها، فقد تعامل المعتقلون مع هذه الصحف بمنهجية ووفق رؤية مفادها، استثمار هذه الصحف إلى أبعد الحدود، دون الوقوع فريسة سهلة لتنظيرات الكتاب والمحللين الإسرائيليين، المنطلقة من مصالح وتوجهات إسرائيلية – سياسية وحزبية. لقد اتخذت الرقابة أشكالا متعددة، أولها اختيار أعضاء لجان الترجمة من الموثوقين بقدراتهم السياسية وبعمق انتمائهم الوطني وبامكاناتهم التحليلية العميقة. وثانيا من خلال اختيار المواد التي ستخضع للترجمة، أي ماذا تفيد الإنسان المعتقل إخباريا وسياسيا وتحليليا، وماذا تقدم له من معارف ومعطيات. وثالثا هل المادة المترجمة إذا تعلقت بالشأن الفلسطيني ونقلت عن الصحف العبرية، ستكون بالنظر إلى تناولها القضية ذات دور إحباطي، خصوصاً بالنسبة إلى ذوي الثقافة والامكانات البسيطة. أما النقطة الرابعة وترتبط بالقالب اللغوي، بالوعاء الذي تقدم فيه المواد المترجمة للمعتقلين، وما إذا كان الوضع يحتاج إلى تدخل بجملة أو تعليق أو إشارة، إضاءة، لضمان عدم الأخذ بالمعطيات والمواقف الإسرائيلية كما هي. وكانت خشية المسؤولين تنصب على المعتقلين الجدد وذوي القدرات السياسية التحليلية المتواضعة. أما المتمكنون من المعتقلين ويتقنون اللغة العبرية، كان معظمهم لا ينتظر ما تعممه لجان الترجمة، وإنما

يقوم بالقراءة مباشرة، دون الحاجة إلى مثل هذه المحاذير الكبيرة.(13)

رافق رقابة المضمون نوع آخر من الرقابة، ألا وهي رقابة الصور. ومعروف أن الصحافة العبرية تنشر إعلانات وتستعمل فيها صور فتيات يلبسن ملابس البحر، وهناك صحف ومجلات لا تتورع عن نشر لقطات فيها شبه تعرية، وأحيانا تعرية كاملة. وهذا جعل الصور هدفا ل"مقص الرقيب"، والمقصود بالرقيب المسؤول التنظيمي، الذي حسب الصلاحيات "المخولة" له يستطيع أن يمرر هذه الصورة أو يشطبها. وتعتمد درجة التشدد من الصورة، على المسؤول الرقيب، ثقافته، لبراليته، خلفيته الدينية، وبذلك قد تشطب صورة معينة في صحيفة ما في هذا المعتقل، بينما يمررها مسؤول في معتقل آخر.

ويفترض المعتقلون في المسؤول، أو يفترض هو في نفسه أنه محصن، لا تشغله هذه الصورة، ولا تهز قناعاته، ولا تجعله يخرج عن طوره، ويضع كل اهتمامه في التفكير في النساء والحياة في الخارج!!. والافتراض هذا خاطىء، فالمسؤول أولاً وقبل كل شيء إنسان، والمرأة لها حضورها في خيال وتفكير أي معتقل مهما كانت خلفيته، وبخاصة في واقع كله حرمان. وقد يكون أحد المعتقلين العاديين أقل انشدادا لهذا الموضوع، لأسباب دينية أو اجتماعية أو شخصية من مسؤول معين، بمعنى أن الرقابة هنا غير موضوعية وليست ذات جدوى، ومن شأنها أن تثير اهتمام وفضول المعتقلين، الذين لا بد وأن يتساءلوا بينهم وبين أنفسهم عن ماهية هذه الصورة المقصوصة أو المدموغة بالحبر. وإذا كان المسؤول هو الذي يراقب الصور سعيا إلى كبح جماح الانشداد للمرأة وما تمثله، خشية أن تشكل نقطة ضعف، يتسلل منها السجان، فمن يراقب الرقيب في هذه الحالة؟!

ومع كل الاحتياطيات، ومع كل أشكال الرقابة، فإن بعض المصطلحات والتوجهات الإسرائيلية قد تسللت إلى بعض المعتقلين، من المثقفين والسياسيين، الذين أخذوا ينظرون إلى الصحافة العبرية كنموذج، وكنمط متقدم من الصحافة. ويؤكد عدد من ذوي التجربة أن الصحافة العبرية بمصطلحاتها وتوجهاتها قد أوقعت في شباكها عددا محدوداً جداً من المعتقلين الذين شغلت الصحف العبرية الجزء الأكبر من حياتهم في الاعتقال، من خلال الانبهار

بالمجتمع الإسرائيلي، وطريقة عمل أحزابه وبرلمانه، وهذا أثر فيما بعد بشكل أو بآخر على مواقفهم السياسية. أما الغالبية العظمى من المعتقلين ظلت تقرأ الصحف العبرية وتتابع الترجمات من أجل المعرفة والإطلاع على ما يجري في الخارج دون انبهار، ربما بسبب أفكار مسبقة، أو انطلاقا مما هو مخزَّن في العقل الباطني، أو بسبب عملية التحصين الفصائلية المستمرة في المعتقلات من الأفكار والتوجهات الإسرائيلية، بأن هذه الصحف تُنتج للإسرائيليين وليس للفلسطينيين، وأنها تدافع عن آراء ومفاهيم تدور في إطار دولة تحتل الأرض الفلسطينية.(14)

لقد كان التشدد في الرقابة كان سلاحا ذا حدين، قد يكون تطعيم بعض المواد المترجمة بآراء وتعليقات معينة ضرورياً للحؤول دون جعل المعتقلين الجدد من العيش "أسرى" للتحليلات الإسرائيلية، في غياب الخلفية الثقافية والسياسية. أما الحد السلبي، فإن الرقابة، وأية رقابة هي مرفوضة، فالمعتقلون ناضلوا ضد الاحتلال لأنهم رفضوا كل تجسيداته، ومن ضمنها رقابته على الصحف والمجلات الفلسطينية، وبالتالي فإن تمسكهم بالرقابة وتعميمها على المعتقلات، فيه نوع من التناقض، بين ما تناضل ضده وتمارسه. يضاف إلى ذلك أن الرقابة لم تمنع في الأساس البعض بصرف النظر عن النسبة، من التأثر بما تطرحه الصحافة الإسرائيلية.*

كما ان رقابة الصور فيها استخفاف بالإنسان وبقدرته على التماسك والصمود أمام صورة، فما دام المناضل قد صمد في ظروف اعتقال صعبة، وتخطى التحقيق بكل إجراءاته وقمعه وهمجيته، واستوعب أن يمضي سنوات من عمره في الاعتقال، من أجل قضية معينة، كيف نشكك في عدم قدرته على الصمود ليس أمام امرأة من دم ولحم وإنما أمام صورة!!!

3-المكانة الثقافية والاجتماعية للعاملين في الترجمة:

تمتع المعتقلون الذين أتقنوا اللغات ومارسوا تعليمها وانخرطوا في لجان الترجمة، باحترام شديد بين زملائهم،

* و استنادا إلى تجربة الباحث نفسه في الاعتقال فإنه يعرف عن قرب عدداً من المعتقلين الذين قرأوا الصحف العبرية و أدمنوا عليها و تأثروا بها و أصبحوا يستعملون مصطلحاتها في كتاباتهم، وهناك أسماء كانت تتردد على ألسنة المعتقلين لأولئك المبهورين بالصحف الإسرائيلية.

وكان الآخرون ينظرون إليهم بعين الإعجاب، من باب أنهم مميزون. لكن الذين عملوا في لجان الترجمة عن اللغة العبرية تبوأوا مكانة خاصة في أوساط المعتقلين، كون الترجمة عن العبرية تحولت إلى حاجة يومية وفعل ملازم للتجربة، " أولاً بسبب أن المتميزين في أية جماعة بشرية غالباً ما يلقون معامله خاصة من قبل الآخرين، ويحظون بالود والإعجاب. وثانياً لأن الصحافة العبرية أصبحت مثابة مصدر معلومات ضروري للإطلاع على ما يجري في الخارج، ولمتابعة ما يدور على الساحة الإسرائيلية. وهذه قضية نضالية من الدرجة الأولى في حالة المعتقلين الفلسطينيين والعرب".(15)

كان المترجمون عن الصحف العبرية يوضعون في مركز الاهتمام، خصوصاً في الأحداث الساخنة التي تتطلب متابعة جدية لما يجري، وكان المعتقلون يتحلقون حول المترجمين يستعجلونهم للانتهاء من نشرتهم اليومية، وينهالون عليهم بالأسئلة الملحة التي تبحث عن إجابات سريعة. وعند الانتهاء من النشرة المترجمة وتعميمها، سرعان ما كان المعتقلون يتلقفونها من غرفة اعتقالية إلى أخرى. وبعد الاستماع إلى المعطيات المعممة في النشرات، يأتي دور النقاشات والمداخلات التحليلية التي يكون المترجمون في الغالب نجومها، حيث يصغي الآخرون لآرائهم وتحليلاتهم، وهذا عمل على رفع مكانتهم الاجتماعية في المعتقل(16). وكان المعتقلون يقدرون جهود العاملين في لجان الترجمة الذين يكدون وهم يمضون الساعات الطوال، يدققون ويمحصون في الأخبار والمقالات لاختيار ما يعتقدون انه مناسب للترجمة. ويحدد صالح أبو لبن تجليات وتجسيدات هذا التقدير، بالمعاملة الطيبة، وبكلمات التشجيع والتثمين، وبالإشادة الفصائلية والوطنية بدور العاملين في لجان الترجمة، خصوصاً في ظل الأحداث والتطورات المفصلية، التي تتطلب عملاً دؤوبا يستجيب لحاجة المعتقلين إلى المزيد من الأخبار والمقالات المترجمة.(17)

إن مكانة المترجمين والملمين باللغات، ليست مفصولة عن مكانة المثقفين والمبدعين في المعتقلات على وجه العموم، فاحترام هؤلاء جميعاً، ارتبط إلى حد كبير باحترام المعتقلين وانشدادهم للثقافة والفكر. ففي حياة الاعتقال

هناك دلالات كبيرة للثقافة والإبداع واللغات، خصوصاً عندما تتماهى الثقافة في النضال ويصبحا قضية واحدة. بمعنى"أن تقرأ، وأن تثق بنفسك، وأن تتعلم اللغات وتعلمها، وتعي وتستوعب ما يكتبه عدوك وتحصن ذاتك..إذن أنت تستثمر وقتك جيداً وتناضل في موقعك هذا".(18)

وفي التجربة الاعتقالية، طالما اقترنت أسماء الذين يتقنون اللغات بالمثقفين وأحيانا بالمسؤولين التنظيميين، أو العاملين في المؤسسات الاعتقالية (اللجنة النضالية، لجنة الحوار، الصندوق الاعتقالي.. الخ). وأحيانا كان يجمع احدهم بين الترجمة عن العبرية أو الإنجليزية والإبداع الأدبي والمسؤولية التنظيمية، وعضوية اللجنة النضالية، إذ أن المسؤولية(التنظيمية أو الفصائلية العامة)، كانت حافزا على تعلم اللغات بخاصة العبرية، من أجل تدبر أمور الحياة اليومية مع السجانين وإدارة المعتقل، أما الإنجليزية فللحديث الى ممثلي الصليب الأحمر في زياراتهم الدورية الى المعتقل. ان مكانة المترجمين عن اللغة العبرية بشكل خاص، واللغات الأخرى عامة، كانت ظاهرة للعيان في التجربة الاعتقالية، حيث الرعاية والترحيب والنظر إليهم كأناس مبدعين، وجودهم ضروري وحيوي في حياة الاعتقال. لذا فالمترجم، كاتب القصة، الشاعر، الرسام، طالما حظي بالترحيب في فصيله، وبين الجماعة المعتقلة، وفي أي معتقل تواجد فيه.(19)

عوَّلت الفصائل كثيراً على العاملين في الترجمة وانتقتهم بعناية، وحرصت على أن يكونوا على قدر كبير من الوعي السياسي والإعلامي. فالمترجم ليس هو من ينقل الأخبار والتعليقات حرفياً بقدرة لغوية عالية فقط، وإنما إلى جانب ذلك من يكون قادراً على الربط والتحليل. وقد كانت الفصائل تفاخر بامكانات هذا الكادر أو ذاك في المجال اللغوي والسرعة في الترجمة وسلامة الصياغة، لذا حرصت الفصائل على أن تكون ممثلة في لجان الترجمة بأفضل ما لديها من كادر تنظيمي وسياسي ولغوي، وفي المقابل فان الكثير ممن تملكوا اللغة العبرية ومفاتيح الترجمة، حرصوا بدورهم على أن يعملوا من خلال لجان الترجمة، ففي ذلك شكل من أشكال تحقيق الذات وتعزيز الموقع(20). لقد تحولت اللغات في حياة الاعتقال الى مفاتيح علاقات اجتماعية، ودلالات تميز، وعناوين ثقافية وإبداعية.

وأصبحت إحدى المفاعيل النشطة في التشكيل الاجتماعي.

هوامش الفصل الثالث:

1 – جورج كرزم، مقابلة، رام الله: 2004/4/1.

2– ناصر اللحام، مقابلة، بيت لحم: 2003./12/30

3– سليمان جاد الله، مرجع سابق، ص67.

4– خالد الهندي، ص 185،90.

5–المرجع السابق، ص.88

6– حسن عبدالله، **أثر الرسالة**، مرجع سابق، ص.34

7– خالد الهندي، مرجع سابق، ص 21, 42, 43, .44

8–المرجع السابق، ص.29

9- غسان جرار، مقابلة، رام الله: 2003./7/1

10- أحمد أبو غوش، مرجع سابق، ص .19

11- إبراهيم أبو كامش، مقابلة، مرجع سابق.

12- احمد أبو غوش، مقابلة، مرجع سابق.

13- عدنان ضميري، مقابلة، رام الله: 2004./4/15

14- محمد نزال، مقابلة، مرجع سابق.

15- سعيد عياش، مقابلة، رام الله: 2004./4/2

16- فهد أبو الحج، مقابلة، مرجع سابق.

17- صالح أبو لبن، مقابلة، مرجع سابق.

18- عزت الغزاوي، برنامج لقاء، تلفزيون وطن بتاريخ 1997./6/1

19-المرجع السابق.

20- عدنان الضميري، مرجع سابق.

الفصل الرابع

صحف أسهمت في كسر الحصار

مما تقدم يتضح أن المعتقلين الفلسطينيين قد استعملوا الصحف العبرية كقناة إخبارية مهمة، وكنافذة لهم على الساحتين الفلسطينية والإسرائيلية، وعلى العالم أيضا، في ظل قلة المصادر التي يمكن أن تسعف في ذلك. وارتبط دخول الصحف العبرية في المعتقلات، بشروط موضوعية معينة، من حيث استكمال البناء التنظيمي ووجود مؤسسات اعتقالية، وقدرة المعتقلين على بلورة جسم موحد قادر على خوض الاضرابات والدفاع عن نفسه، وعدم التسليم باملاءات إدارة السجون. وما كان لدخول الصحف العبرية أن يتحقق في أواخر الستينيات أو منتصف السبعينيات، إذ احتاجت التجربة إلى مستوى معين من النضج، أسس لطرح هذا المطلب والإصرار عليه، وبالتالي

تحقيقه.

جعلت حصيلة تفاعل العامل الذاتي مع الشروط الموضوعية، المعتقلين الفلسطينيين والعرب يضعون كل يوم لبنات جديدة في هيكل بناء التجربة، وكلما ازداد فهم واستيعاب وهضم الظروف الموضوعية في المعتقلات، التي أسهم العامل الذاتي في تحديد الكثير من عناصرها، ارتد ذلك في علاقة تفاعليه تأثيرية على العامل الذاتي وارتقى به وطوره، ليمارس العامل الذاتي بدوره تأثيره الأكثر نضجا على العامل الموضوعي. وفي الإطار ذاته وعلى قاعدة التركيم المعرفي والثقافي والنضالي والاجتماعي والمؤسساتي والأخلاقي، كانت برامج الفصائل الثقافية والتعليمية تفعل فعلها وتضيف إلى التجربة باستمرار ما هو جديد.

عمل قانون التراكم الكمي في سياق التجربه، على خلق حالة من التغير النوعي في الفكر والسلوك. ويمكن اعتبار إدخال الصحف العبرية إلى المعتقلات انه جاء وفق ما أفضى إليه التراكم الكمي، الذي أدى بعد بضع سنوات الى تغير كيفي، بمعنى أن ادارة السجون لو سمحت بصحف عبرية في أواخر الستينيات، لما جرى الاستفادة منها على نحو جيد. نظرا لأن الذين كانوا يعرفون اللغة العبرية قلة، وكذلك كان الوعي السياسي ضعيفا، إضافة إلى الامكانات الثقافية والفكرية المتواضعة، وعدم التنبه لأهمية الصحف العبرية، والدليل على ما رمينا إليه، أنها لم تكن تدرج في مطالب المعتقلين في السنوات الأولى. وهذه مسألة يمكن تفهمها، فالجائع من الطبيعي ان يطالب بكسرة خبز، والمريض الذي كان يترنح خلف القضبان في بدايات التجربة دون علاج، فان مطلبه المُلح الدواء، والمعتقل الذي كان ينام على بطانية ويلتحف أخرى، فان الفرشة تصبح بالنسبه اليه مطلبا حلما. إن التأسيس لحياة تضمن استمرار الإنسان المعتقل، وتحافظ عليه، تطلّب في ظل صراع البقاء، النضال من اجل توفير الطعام وتحسين ظروف النوم والحصول على بعض العلاج حتى لو كان محدودا. وعندما تم تحقيق بعض من شروط الحياة هذه، انتقل المعتقلون في مطالبهم إلى جوانب ثقافية، وإلى السعي لتوفير وسائل اتصالات، لكي يتفاعلوا مع العالم الخارجي بشكل أوسع وأشمل. من هنا جاء إدراجهم الراديو والتلفاز كمطلب محوري في إضراب الجنيد في العام 84.

هناك نظرتان متناقضتان لواقع المعتقلين الفلسطينيين، بين السجان وبين الإنسان المعتقل؛ السجان ينظر إلى المعتقل الفلسطيني كرقم، أو كجسم مطلوب عزله عن مجتمعه، ومنعه من التفاعل، واستعمال كل الأساليب من اجل تجميده والحؤول دون تطوره، من خلال تشديد حصاره، ومحاربته بالزمن لاضعافه جسديا ومعنويا، ويصبح غير قادر على الإسهام في العمل الوطني. أما الإنسان المعتقل، فقد كان ينظر إلى نفسه كصاحب رسالة، وابن قضية، ومشروع نضالي يجب أن يتطور. كان المناضلون يتجهزون ويستعدون للغد، للانخراط في مجتمعهم وثورتهم، ولولا هذا الإيمان الراسخ، لما وجدنا كتبا ولا حياة ثقافية ولا تنظيمية، بل لوجدنا أجساما محيّده هامشية مغيبّة، سلمت لجبروت وهيمنة الواقع، ورفعت الراية البيضاء، وكرست جهودها للمطالبة بالطعام فقط.

إن المقولة الفلسفية القائلة "إن الحرية هي معرفة الضرورة"، يمكن تطبيقها على حياة المعتقلين الفلسطينيين والعرب. وتنبثق من صلب معرفة الضرورة، القراءة والكتابة وكل أشكال التعلم والاهتمام بالصحف والمجلات في الخارج، والحرص على التواصل الفصائلي بالرسائل والتصورات. ومن المكونات التي تشكلت منها معرفة الضرورة، تحول المنظمات في حياة الاعتقال إلى جزء لا يتجزأ من الأجسام الفصائلية، والمشاركة في المؤتمرات الحزبية العامة عبر الرسائل، وممارسة العملية الانتخابية، والترشح والفوز والارتقاء إلى أعلى المراتب، كما حصل مع أبي علي شاهين، عمر القاسم، ربحي حداد، نبيل قبلاني، مهدي بسيسو، عدنان منصور، جبريل الرجوب، فتحي البواب، هشام عبد الرازق وآخرون من القادة الفلسطينيين المعروفين، ما يؤكد أن من كان يرسف في الأغلال مكبلا بإجراءات معقدة، كان يتعامل مع نفسه أنه إنسان حر محلق، قادر على تجاوز القضبان والأسلاك الشائكة بفكره وإبداعه وإرادته.

أما حول علاقة ذلك كله بدخول الصحف إلى المعتقلات، ان هذا يقع في صميم الموضوع. فان يستعمل المعتقل الفلسطيني صحف عدوه، وأن يستفيد منها، وأن يتمحصها ويغربلها ويحللها، ويوظف مقالاتها وأخبارها في تدعيم صموده، وفي تنشيط ذاكرته وتفعيل معارفه، فذلك بلا شك ارتباط عميق بالمقولات والقوانين الفلسفية التي

تطرقنا إليها في هذا السياق: جدلية الذاتي والموضوعي، والتراكم الكمي يؤدي إلى تغير نوعي، والحرية هي معرفة الضرورة. كثيرة هي المجالات التي كسر المعتقلون فيها الحصار، من خلال الصحف العبرية، لأن ما استقوه منها، شمل جوانب وأوجه عديدة. أما في هذا البحث فقد آثرنا تناول الجوانب الأبرز التي شكلت قاسما مشتركا للاستفادة الجماعية.

أولا- إخباريا ومعلوماتيا:

بعد سلسة الاضرابات التي خاضها المعتقلون، الجزئية وكذلك المفتوحة عن الطعام، وتحديداً في السبعينيات، حدث تغير ملموس في حياة المعتقلين، كان ثمنه تضحيات جسام. وبذلك صار بمقدور المعتقلين الانتقال إلى طرح مطالب أخرى، كان من الصعب أن يتقدموا بها في فترة مبكرة من التجربة، لأن ذلك كان بحاجة إلى تأسيس وإلى مقدمات على الأرض، وهذا انطبق تماما على موضوع الصحف العبرية.

فرض المعتقلون أنفسهم قوة جماعية منظمة، واضطرت ادارة السجون الاعتراف بهذه الحقيقة، بعد تأكدها أن الاستمرار في تجاهل الأمر، ليس من مصلحتها، ما جعل المعتقلين يتقدمون خطوات إضافية إلى الأمام على صعيد المطالبة بتحسين شروط حياتهم نحو بلورة حياة ثقافية.

ويمكن القول إن جدلية الذاتي والموضوعي في التجربة وما أفرزته، حولت الكثير ممن كان حلما في السابق إلى حقيقة مجسدة في ميدان الإنجاز. إن مقولة العلاقة الجدلية بين الإمكانية والواقع قد تجلت في التجربة الاعتقالية بأنصع صورها، فكلما حقق المعتقلون شروط حياة أفضل، أصبحت أمكانية الانتقال إلى تحقيق مطالب أخرى واردة، ليفرش الواقع الجديد الطريق أمام إمكانية أخرى متقدمة. وتطلب تحول الإمكانية إلى واقع في المعتقل، وكما هو الحال في كل النشاطات الاجتماعية، جهد الإنسان ومثابرته وسعيه، لتوفير الشروط الملائمة للانتقال من الإمكانية إلى الإنجاز المحقق.

صارت الصحف العبرية في حياة المعتقلين حقيقة واقعة في العام 80، علما أن هذه الصحف كانت تصل

إلى معتقل الرملة قبل هذا التاريخ، لكن ذلك شمل جزءا قليلا منهم. كما أن دخول الصحف المذكورة لم يكن منتظما، وهذا ما أكده لنا المعتقلون السابقون: جورج كرزم، عطا القيمري، سعيد عياش، وهم من الذين مارسوا الترجمة عن العبرية بنشاط في المعتقل المذكور. كان يقبع في معتقل الرملة بضع مئات من معتقلي مناطق 48 والقدس، حيث سعت ادارة السجون في إطار عملية فصل تعسفية لإقصائهم عن معتقلي الضفة والقطاع لأنهم يحملون الهوية الإسرائيلية، أي لأسباب سياسية، في أطار توجهات التصنيف والتجزئة، وتجزئة التجزئة. وكانت شروط الحياة وهنا نتحدث بالمفهوم النسبي، أسهل في معتقل الرملة من باقي المعتقلات الأخرى.

وفر وجود السجناء اليهود الجنائيين، فرصة لدخول الصحف العبرية، وانتقالها إلى المعتقلين السياسيين بشكل أو بآخر، خصوصاً وأن المعتقلين الفلسطينيين نجحوا باستمرار في استثمار هذا الوجود لصالحهم، وطالما انبهر السجناء اليهود بسلوك وانضباط ووعي المعتقلين الفلسطينيين، لدرجة أن بعضهم لم يتورع عن تقديم خدمات معينة تراوحت بين الصحيفة والراديو، وأحيانا كان يتم مقايضة ذلك بسجائر أو بنقود يتم إدخالها مهرّبة إلى المعتقل.(1)

بدأ كسر الحصار الإخباري أولا من معتقل الرملة، ووجد المعتقلون أنفسهم أمام مهمة حساسة، إذ أنهم ينتمون إلى ثورة، وما هو في أيديهم، لا يتوافر لإخوتهم ورفاقهم، ما يعني أن عليهم تعميم الفائدة. وفي هذا الإطار عكف المعتقلون وهم قلة في أواخر السبعينيات في معتقل الرملة على ترجمة المقالات والأخبار وتجهيزها و"كبسلتها"، وإرسالها إلى المعتقلات الأخرى. وعملية الإرسال كانت سرية للغاية، وتخضع إلى إجراءات معقدة، كان المكلفون بهذه المهمة يضطرون إلى ابتلاع "الكبسولات الإخبارية" أو وضعها كما توضع "التحاميل"، حتى إذا تسنى لهم لقاء آخرين من معتقلات أخرى في غرفة انتظار تابعة لمحكمة أو زيارة أو عيادة، كان يجب عليهم أن يتصرفوا، وللمعتقلين الفلسطينيين والعرب إبداعات مشهود لها، إذ أنهم نجحوا عبر أساليبهم المختلفة في التواصل رغم الاستنفار الشرطي والاستخباراتي. استمرت الامور على هذه الوتيرة، إلى أن أنجز المعتقلون في العام 80، إدخال الصحف، حيث أصر كل من قابلناهم من ذوي التجربة، على استعمال كلمة أنجاز، بل أن بعضهم مثل سعيد عياش

وعدنان الضميري، أشار، أن ذلك الإنجاز كان حدثا شديد الأهمية لا يستقيم تناول التجربة الاعتقالية دون التوقف عنه طويلا لما مثله من اختراق(2). ويجمع كل الذين قابلناهم ووثقنا مقابلاتهم في هذا البحث، من ذوي العلاقة المباشرة باللغة العبرية، أن حركة الترجمة عن هذه اللغة تركزت في:

1. ترجمة الأخبار والمقالات ذات الصلة بالوضع الفلسطيني، أخبار سياسية ومجتمعية وممارسات الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

2. الاهتمام بالأخبار والمقالات التي تناولت قضية المعتقلين الفلسطينيين والعرب، اضراباتهم، خطواتهم الاحتجاجية، وكيف كان ينظر المحللون والمعلقون الإسرائيليون إلى تجربتهم، وإخضاع ذلك إلى التحليل من قبل لجان الترجمة في المعتقل، ومن قبل الكتاب والمحللين في النشرات والمجلات الاعتقالية.

3. متابعة أخبار الثورة الفلسطينية، وتصريحات قادة الفصائل، والردود الإسرائيلية الرسمية عليها، وكذلك متابعة تعليقات الصحف العبرية على عمليات ونشاطات الفصائل.

4. الانكباب على ترجمة الأخبار والمقالات التي كانت تنشرها الصحف العبرية في المحطات الساخنة مثل حرب 82 في لبنان. لقد أتضح لنا أن المعتقلات تحولت وقتذاك إلى خلايا نحل، إذ انكب المترجمون على ترجمة كل ما يتعلق بالحرب، ثم إخضاع ذلك للتحليل، انطلاقا من فرضية أن الجانب الإسرائيلي يطمس الكثير من الحقائق عن الصمود الفلسطيني، ويروج رواية الانتصار العسكري وهزيمة الفصائل الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية التي تحالفت معها.

5 . وعندما اندلعت الانتفاضة في العام 87، ترجم المعتقلون مئات المقالات التي تناولت هذه الظاهرة، وكيف كان ينظر إليها المسؤولون والمحللون الإسرائيليون. كما ترجموا مقالات لكتاب وصحفيين اسرائليين نقديين، من الذين تناولوا الانتفاضة من منظور مختلف عما كان سائدا لدى معظم المحللين الاسرائليين، مثل ما كتبه الصحفي الإسرائيلي دافيد غروسمان، الذي ترجمت مقالاته حول طبيعة الانتفاضة وظروفها والإبداعات الشعبية، وربط

الانتفاضة بمعاناة الفلسطينيين.*

6. متابعة أخبار حركات التحرر الوطني والدول الاشتراكية وأصدقاء الشعب الفلسطيني، ورأى عدد من المترجمين ومنهم(علي جده، سعيد عياش، صالح أبو لبن، ناصر اللحام، محمد نزال)، أن أي خبر أو مقال كان يتعلق بدول صديقة وحركات تحرر سرعان ما يصبح مشروع ترجمة.

7. ولأن النخبة الثقافية والسياسية والفنية، وسعّت من اهتماماتها، فقد أخذت تتابع حركة الإصدارات الثقافية والسياسية في الخارج، إضافة إلى متابعة الفعاليات الفنية السينمائية والمسرحية التي كانت تأتي بعض المقالات على ذكرها أو الإشارة إليها، وأحيانا تحليلها من خلال الملاحق الثقافية الفنية. يؤكد عطا القيمري، أن الاهتمام بالحركة الثقافية المحلية والعالمية عن طريق الصحف العبرية كان يمكن استشفافه بسهولة عند النخبة.

8. وجد من بين المعتقلين، مجموعة من المهتمين بالرياضة، الذين حرصوا على متابعة الحركة الرياضية العالمية، وكانت هذه المتابعة تنشط في الاولمبياد أو في مباريات كأس العالم في كرة القدم، حينما برز أنصار من بين المعتقلين لفرق عربية ودولية. كان غسان جرار وما زال من عشاق لعبة كرة القدم، وطالما أظهر في فترات اعتقاله اهتماما بمعرفة تفاصيل هذه اللعبة، من حيث الفرق، اللاعبين، المدربين. ويؤكد أنه لم يفوت فرصة الاستفادة مما كانت تنشره الصحف العبرية حول الفرق العالمية ومستوياتها، مشيرا إلى أن عددا من المعتقلين الفلسطينيين المهتمين شكلت الصحف العبرية نافذة لهم على الرياضة العالمية.(3)

9. يعكف المعتقلون الفلسطينيون في انتفاضة الأقصى والاستقلال على قراءة وترجمة الأخبار والمقالات المهمة التي تتناول المستويين السياسي والميداني في فلسطين، حيث أن نسبة الذين يتعلمون العبرية في تزايد مستمر، خصوصا في المعتقلات التقليدية.(4)

10. بعد تحقيق مطلب الالتحاق بالجامعات الإسرائيلية، لاسيما الجامعة المفتوحة، في إطار برنامج التعليم

* يوجد ترجمات حول ذلك في مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الاسيره، و في الكراسات التي نقلت من معتقل الجنيد في نابلس بعد قدوم السلطة.

عن بعد، زاد اهتمام المعتقلين بتعلم اللغة العبرية، وزادت أهمية الصحيفة في هذه العملية كوسيلة من وسائل تطوير اللغة.

يقول صلاح حبوب..."دخلت في تحد حقيقي مع اللغة العبرية، فعندما تم قبولي في برنامج الدراسة الجامعية المفتوحة، كانت لغتي التي بدأت تعلمها في المعتقل ضعيفة، لكن بعد أن أيقنت أنني أصبحت طالبا جامعيا، عملت على تطوير امكاناتي اللغوية، عن طريق الكتاب والصحيفة العبرية."(5)

وهناك من تحدى الإعاقة والمرض، ونجح في تعلم العبرية، كما فعل المعتقل جلال عبد الرحمن رمانة، المحكوم بالسجن مدة(15)عاما. ويعاني رمانة من حروق مختلفة في أنحاء الجسم وبتر أصابع اليد اليمنى الخمسة، وثلاثة أصابع في اليد اليسرى، ورغم ذلك فقد تدرب على الكتابة بإصبعين، وصار بمقدوره أن يكتب باللغة العربية، وبالعبرية عندما تعلمها. ويؤكد أنه تدرب على الكتابة، بينما كانت الدبابيس المعدنية تلف ما تبقى من أصابع اليد اليسرى، وتطلب إنجاز ذلك التدرب كل يوم على الكتابة بضع ساعات. ثم التحق بالجامعة العبرية في برنامج التعلم عن بعد، وطلب وقتا إضافيا عن الطلبة الآخرين، لكي يستطيع كتابة ما هو مطلوب منه، فأُعطي ساعة إضافية، وبالفعل قدم الامتحان الأول في علم الاجتماع، وكانت علامته 75%. أما الامتحان الثاني في العلوم السياسية فحصل منه على 82%(6). وتبين قصة المعتقل رمانة مع اللغة العبرية ومع التعلم في الجامعة رغم الإعاقة، إلى أي مدى يتعامل المعتقلون مع هذه اللغة كجسر للتحصيل الأكاديمي. وهناك عدد من المعتقلين قد تخرجوا من الجامعة العبرية في برنامج التعلم عن بعد وحصلوا على درجتي البكالوريوس والماجستير.

ثانياً- سياسيا و تحليليا:

مارس عدد من المعتقلين الصحافة خلف القضبان من خلال صحفهم ومجلاتهم ونشراتهم وأنتجت التجربة نخبة من المثقفين والصحفيين والمترجمين، الذين يمكن تصنيفهم في إطار النخبة المثقفة في المعتقل.فلا احد يستطيع أن يكتب مقالا تحليليا إذا لم يكن على مستوى معين من الثقافة، ولا احد يستطيع أن يمارس الترجمة إذا لم يكن قادرا

على التعبير بلغة عربية سليمة، تعكس خلفية سياسية وفكرية.

إن ممارسي الكتابة في الصحافة الاعتقالية، وكذلك الأدباء ومجموعة العاملين في الترجمة وأولئك الذين يشرفون على البرامج التثقيفية، ويعملون على الارتقاء بالوعي وتمتين البنية الداخلية، ويتصدون لكل مظاهر الإحباط والترهل عن طريق التعبئة والتحشيد والتحفيز. إن هؤلاء يصح أن نطلق عليهم تسمية غرامشي "المثقفون العضويون". فهم ينزرعون في الخنادق النضالية المتقدمة، ويتعرضون للقمع والاضطهاد، لكنهم يشكلون الفريق المنتمي عن فهم وقناعة، وهذا الفريق يضطلع بدور محوري في كل ثورة، وفي كل عملية بناء مجتمعي. والثورة التي لا تنتج مثقفيها العضويين، لا يمكن لها أن تسير وفق رؤية ومنهجية وأفق رحب مفتوح. إن غرامشي يفضل تسمية هذا الفريق بـ"النخبة" أو بـ" المثقفين الجدد"، الذين لا يشاركون في العمليه النضالية من الخارج أو عن طريق المشاعر والعواطف، وإنما بالمشاركة النشطة الفاعلة (7). والمثقف العضوي بحاجة مستمرة لتطوير نفسه وتعزيز معارفه وامكاناته التحليلية. وفي ظروف الاعتقال، فان وسائل التطوير محدودة، ويمكن حصرها في الكتاب الذي يتم إدخاله إلى المعتقل بصعوبة بالغة، وفي الاستفادة من الآخرين عن طريق النقاش، أو قراءة ما يكتبون ويحللون. وعندما تسنى للمعتقلين الإطلاع على الصحف العبرية ومتابعتها، فقد وظفت لتخدم مجالات عديدة تعرضنا لها في مواقع مختلفة من هذا البحث.

كان المعتقلون بشكل عام ينظرون إلى هذه الصحف كقناة إخبارية ، إلا أن النخبة تعاملت معها كأداة للتطوير" أولا من خلال المعلومات الطازجة التي تنقلها ما دامت صحفا يومية. ثانيا الاستفادة من المعلومات التي توفرها هذه الصحف للجمهور الإسرائيلي. وثالثا مواكبة الصحافة الخارجية شكلا ومضمونا، والإطلاع على أساليب تحليلية لمجموعة من الصحفيين المنفتحين على تقنيات الكتابة والصحافة الغربية الحديثة".(8)

يعترف الكثير من الذين مارسوا عملية الترجمة عن الصحف العبرية، أن استفادتهم لم تبق محصورة في الجانب الإخباري ومعرفة ما يجري في المجتمع الإسرائيلي والعالم، وإنما إلى جانب ذلك، متابعة الأساليب الكتابية

التحليلية، بخاصة وأن معظم المعتقلين تم اعتقالهم، وهم على مقاعد الدراسة أو في بداية حياتهم العملية، ما يعني أنه تنقصهم الخبرات، وتحديدا في المجال الصحفي، الذي هو متحرك ويستفيد باستمرار من التقنيات الفنية الإخراجية والمعالجات الكتابية، التي كفت في الصحافة الحديثة عن أن تكون إنشائية، تعتمد التنميق اللغوي وتتكىء على الإسهاب في الوصف. أصبحت الصحافة الحديثة تنفذ إلى عمق الموضوع وتجند عناصر مختلفة في خدمة وتدعيم الفكرة، فالكتابة في السياسة هي مفتوحة على الثقافة والفكر وعلم الاجتماع وعلم النفس، وتتطلب معطيات موثقة ومعتمدة لا عشوائية يخترعها الكاتب من بنات أفكاره. وما كان للنخبة أن تواكب ذلك اعتمادا على الصحف الفلسطينية التي أخذت تصل إليهم في بداية الثمانينيات وفي فترات متباعدة، فيما أخبارها ومقالاتها مقيَّدة وتعاني من رقابة احتلالية، تحد من الإبداع. كما أن الصحفيين الفلسطينيين كانوا يعانون من حصار وعدم قدرة على مواكبة التطور الصحفي في الخارج بسبب منعهم من السفر والمشاركة في دورات وبرامج تطويرية، نظرا للقيود المفروضة على المثقفين والصحفيين في المناطق الفلسطينية.

أمام هذا الواقع برز دور الصحف العبرية في المجال السياسي والتحليلي، فالمطالعة المستمرة لهذه الصحف ومتابعتها يوميا" تحقق تطورا في الأسلوب الكتابي لا يمكن التغاضي عنه، كما يتعرف من خلالها المتلقي على نظريات نقدية جديدة تساعد في أبراز موهبته وتحفيز وجدانه، وهذا جانب ايجابي للصحف. أما السلبي، فتتعدى خطورته–إذا ما أصبحت قراءتها عادة– أمكانية تشويش وعي المتلقي إلى النفاذ إلى طريقة تفكيره بحيث يتأثر بطريقة تحليل كاتبها بما يمكن أن يكون إعادة صياغة لوعيه بصورة مشوهة".(9)

وكنا تطرقنا في موقع سابق إلى إجراءات وسلوك المعنيين بالصحف العبرية، وكيف جنبوا أنفسهم الوقوع أسرى لأفكار وتحليلات الكتاب الإسرائيليين، عن طريق التثقيف وتعميق الوعي، والعملية الانتقائية في الترجمة، وتناول ما يترجم بشكل نقدي. ومن الصعب قبول ما جاء في الاقتباس المذكور اعلاه وتعميمه، بخصوص التأثر بطريقة التحليل، فقد يكتسب المتابع المعني أسلوبا صحافيا أو كتابيا من هذا الكاتب أو ذاك دون أن يتأثر بمضمون

ما كتب. والمقصود هنا الشكل، طريقة تناول الموضوع، وكيفية طرح الأفكار والتسلسل بها، والقيام بمقابلة الأفكار والمعلومات بعضها بعضا، بغية استخلاص الفكرة الرئيسة والوصول إلى نتيجة.يؤكد عدد من المترجمين عن الصحف العبرية، أنهم استفادوا من الأسلوب النقدي لكتاب الأعمدة والمقالات. ومع أن هامش النقد في الصحافة الاعتقالية كان محدودا بالنظر إلى أنها تابعة للفصائل وللإشراف المباشر عليها من قبل اللجان التنظيمية، حيث أن دور هذه الصحافة كان يتركز في نشر آراء ومواقف الفصيل وترويجها والتنظير لها والدفاع عنها، "إلا أن ذلك لم يمنع بعض الأقلام النقدية من أن تكسر إطار المحرمات وتؤسس للغة نقدية، بدأت جنينية في أواخر السبعينيات وشقت طريقها في ظل معوقات وتحديات، لكنها لم تأخذ فرصتها المناسبة في حياة الاعتقال سوى بعد منتصف الثمانينيات وفي بعض المعتقلات فقط، بيْد أن هؤلاء الكتاب قد أبدعوا في الكتابة السياسية النقدية عندما تحرروا من الاعتقال، مستفيدين من مخزون غني لما قرأوه في الصحف العبرية، وفي الأدب العربي، والأدب العالمي المترجم وفي الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والاقتصاد..." (10)

ثالثا- التعرف على المجتمع الإسرائيلي:

شهدت التجربة الاعتقالية تطوراً ملموساً في جميع أوجهها، وبشكل خاص على المستوى السياسي والثقافي. وجاء الاهتمام بما يجري ويتفاعل على الساحة الإسرائيلية، كأحد مكونات التجربة، بعد أن ترسخت لدى المعتقلين قناعة، مفادها أن فهم واستيعاب القضية الفلسطينية وتداعياتها، لا يستقيم إلا بمعرفة وفهم طبيعة تفكير الضد ومخططاته وتوجهاته القديمة والجديدة، وما هي مفاعيل السياسة والثقافة الإسرائيلية، وكذلك النقاشات الحزبية والسياسية المرتبطة مباشرة بالفلسطينيين.

هناك من بين المعتقلين، من اهتم بتكوين صورة عامة عن المجتمع الإسرائيلي وتركيبته السياسية والثقافية، وآثر عدد من المتنورين التخصص في جانب من الجوانب التي تنسجم مع اهتماماتهم ومستواهم الثقافي. فالمعتقل السابق عادل سمارة، الذي برزت اهتماماته الاقتصادية خلال اعتقاله، كان من الطبيعي أن يتابع الوضع الاقتصادي

الإسرائيلي، ويتعرف على مقوماته وعناصره، وكيف أُلحق الاقتصاد الفلسطيني إلحاقا تاما بالاقتصاد الإسرائيلي، حيث سعى الاحتلال إلى تقويض كل أساس من شأنه أن يشكل ركيزة لاقتصاد فلسطيني. وعندما تحرر من الاعتقال تابع ومن وحي معرفته لمقومات وتوجهات الاقتصاد الإسرائيلي، البحث في أشكال وتجليات الإلحاق، فأنتج ونشر كتابه الأول حول اقتصاد المناطق الفلسطينية(11)، وكتابه الثاني الذي ناقش فيه أسباب قصور الاقتصاد الفلسطيني وعدم تطوره(12)، فيما أصدر كتابه الثالث في الانتفاضة الأولى بعنوان التنمية بالحماية الشعبية، عرض فيه تصورا مبني على فهم اقتصادي وسياسي يهدف إلى الانسحاب إلى الداخل والانفكاك عن الاقتصاد الإسرائيلي.(13)

وعرف في التجربة الاعتقالية، أن جبريل الرجوب، كان له اهتمام تحول إلى تخصص، في الأحزاب الإسرائيلية، تركيبتها، أيدلوجيتها، برامجها السياسية، موقفها من القضية الفلسطينية، وأين تتماهى وتتمفصل مع الفكر الصهيوني، وأين يختلف بعضها مع هذا الفكر*. ومن بين الذين برزت اهتماماتهم التخصصية في المعتقل، عبد الحميد البابا، الذي بحث في دور عدد من القيادات العسكرية والسياسية الإسرائيلية، لعبت دورا رئيسا في تشكيل وبلورة إسرائيل. وظل البابا متابعا نشطا لهذا الموضوع بعد تحرره على ارض الوطن ومن ثم بعد نفيه إلى الخارج.(14)

وفرت الصحف العبرية إمكانية التعرف على صحفيين وكتاب أعمدة ومحللين إسرائيليين. وصار المهتمون والمتابعون يميزون بين أسلوب كاتب وآخر، وفي حالات معينة كان ما ينشره كتبة الأعمدة يثير نقاشات في أوساط المعتقلين. وقد عمل بعض الكتاب من المعتقلين إلى اقتباس جمل معادية للفلسطينيين، أو إشارات تفضح الممارسات الاحتلالية، من باب إدانة العدو من فمه، بهدف إسناد أفكارهم وتوجهاتهم في مقالاتهم التي نشروها في المجلات الاعتقالية.(15)

تتبه سعيد عياش، مروان بزبز، عطا القيمري، عماد النتشة، صالح أبو لبن، علي جده، محمد اللحام، عماد

*القى رجوب مجموعة من المحاضرات حول الأحزاب الإسرائيلية في معتقل رام الله، و تحديدا في غرفة 10، التي كانت تتسع ل (45) معتقلا. كان ذلك في بداية العام 86. و لاحظ الباحث حينذاك من خلال معايشته لهذا النشاط، تجاوبا و حماسا من قبل المعتقلين، للتعرف على الأحزاب الإسرائيلية، حيث تداخل الجانبان النضالي(اعرف عدوك) مع الرغبة في فهم اعمق و اشمل لماهية هذه الأحزاب و برامجها و توجيهاتها.

ضميري، إسماعيل الدبج، أبو سليم جاد الله، غازي أبو جياب، محمد داوود، آمنة الريماوي، احمد أبو غوش، فايز أبو شمالة، مؤيد عبد الصمد، محمد عليان، علي سمنية، سعيد وهدان، حاتم شنار، رلى أبو دحو، عبير الوحيدي، حليمة أبو صلب، محمد نزال، أمجد العمري...وغيرهم، تنبهوا إلى الحركة الثقافية الإسرائيلية. وتبلورت توجهات لمتابعتها، ومقارنتها بالحركة الثقافية والإبداعية الفلسطينية وإبراز التفوق الإنساني في الثقافة الفلسطينية كونها ثقافة المضطهد الذي يسعى إلى التحرر والعيش بكرامة، لا ثقافة المسيطر المأخوذ بقوته. وكان الدافع في البداية يتمثل في التعرف إذا ما كان هناك إبداعات اسرائيلية تحمل مضامين إنسانية، في ظل احتلال واغتصاب ارض الآخرين والتنكيل بهم. وكيف يكتب أدباؤهم عن الفلسطينيين؟. هل يصورونهم بشرا أم حيوانات؟. لكن هذا ينطبق على البداية، التي يمكن تسميتها بالاستكشافية، الا أن المسألة أصبحت أكثر وضوحا ومنهجية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، حينما صار دافع النخبة السياسية والثقافية تكوين صورة أكثر دقة وعمقا عن البنية الثقافية والإبداعية الإسرائيلية، وعلاقة الأدب بالسياسة، وكيف ينظر الأدباء والمثقفون للحركة الصهيونية، وأين يصنفون أنفسهم منها. وإلى أي مدى يعكس الأدب الحياة في المجتمع الإسرائيلي، اجتماعياً، نفسياً، ثقافياً واقتصادياً..وموقع الأدب في ثقافة المسيطر بالقوة والقسر والإكراه والترسانة العسكرية الضخمة.(16)

مثلت الصحافة العبرية الوجه الإعلامي والثقافي الإسرائيلي أمام المعتقلين الفلسطينيين قبل أن يسمح بالراديو والتلفاز. وكان ما ينشر منها يطرح تساؤلات يومية في أذهان المعتقلين، فالمقالات الاجتماعية كشفت تفككا واضحا في هذا المجتمع فيما يتعلق بالأسرة. كما أن نمط الحياة بانفتاحها الاجتماعي هو اقرب إلى الغرب، أي أن الخصوصية الاجتماعية تذوب في نمط السلوك الاجتماعي الغربي، باستثناء الجماعات المتدينة. وبين إطلاع المعتقلين المهتمين على ما كانت تنشره "يديعوت احرنوت" و"هارتس"، الارتباط الشديد بين الثقافي والأكاديمي والسياسي في إسرائيل. وأن ثقافة الأكاديمية الإسرائيلية وظفت توظيفا كاملا في خدمة السياسي، وهذا اعترف به كتاب وباحثون نقديون إسرائيليون بعد فترة من بروز ظاهرة البحوث النقدية، ومن الأمثلة على ذلك "ايلان بابه" الذي

اقتبست من أقواله الصحفية الإسرائيلية "داليا شاحوري"، حينما أوضحت أن المثقفين والباحثين النقديين، الذين ظن انهم يتحلون بالجرأة، اثبتوا غير ذلك في المنعطفات السياسية، لينقادوا خلف المؤسسة السياسية الرسمية، وانسحب هذا أيضاً على الأكاديمية التي تذيلت للسياسة، لأنها كما قال بابه" لا تلعب في أي مكان دورا طليعيا، ولا تأخذ بزمام المبادرة " وأردف: "من الذي أوجد ما بعد الصهيونية، أليس هو اتفاق أوسلو الذي صنعه سياسيون وليس أكاديميون"(17). واستنتاج إيلان بابه توصل إليه معتقلون فلسطينيون قد قرأوا ومحصوا في النتاجات الثقافية الإسرائيلية، ووجدوا أن معظم المثقفين والكتاب عندما يمارسون نقد المؤسسة السياسية والعسكرية بخصوص ما يمارس ضد الفلسطينيين، فإنهم ينتقدون ظواهر وممارسات، هذا في احسن الأحوال. لكن هؤلاء لا ينتقدون الأساس الذي قامت عليه الدولة، فهم ليسوا معنيين بتقويض أساسها، فلا مصلحة لهم في ذلك، وإنما تكمن مصلحتهم في استمرار هذا المشروع، لانهم جزء منه ويعيشون في ظلاله.

ورأى المعتقل السابق عدنان الضميري، "انه لا يمكن فصل الثقافة الإسرائيلية الحالية عن الموروث الثقافي، ولاعن التوراة، فكل ما نقرأه له جذور، حتى ان المحسوبين على اليسار، لا يستطيعون الخروج على الموروث الثقافي والديني، الذي يدور في دائرة التفوق، الأمر الذي استشفه المعتقلون". وأضاف الضميري "لكن ذلك لم يجعلهم يفقدون البوصلة، كونهم ميَّزوا هامش الاختلاف بين الكتاب المتشربين للفكر الصهيوني حد النخاع، ومن هم تحللوا من بعض قيوده، وإن لم ينجحوا في التحلل من قيود أخرى"(18). وكان للمسرح والسينما نصيب من اهتمام المعتقلين، حيث تابع بعضهم الحركة الفنية الإسرائيلية، من خلال ما كتب حولها من أخبار ومقالات تحليلية. كما تابع عدد محدود من المعتقلين الحركة الرياضية الإسرائيلية ونشاطات الأندية، إلا أن مثل هذه المتابعات لم تخل من سلبيات، إذ انشغل بعض الذين أعجبوا بأنماط معينة من الحياة في المجتمع الإسرائيلي، في متابعة أدق التفاصيل، على حساب تثقيف أنفسهم في التاريخ العربي والفلسطيني، وفي تعميق معارفهم وامكاناتهم التحليلية في السياسة والفكر والثقافة، ما اثر على توجهاتهم. كان بعض من أثرت عليهم الصحف العبرية وأحدثت خلخلة معينة في تفكيرهم رغم قلتهم لا

يخفون إعجابهم بالديمقراطية الإسرائيلية،" جاهلين أن هذه الديمقراطية مفصلة تفصيلا على المقاس الإسرائيلي، وعندما تصل الأمور إلى الحدود الفلسطينية، تنقلب إلى الضد"(19). لكن التأثير السلبي على المعتقلين يظل محدوداً وهامشياً مقارنة مع ما أكده الغالبية العظمى ممن قابلناهم، وما وجدناه في المراجع التي اعتمدناها في هذا الصدد، حول مدى استفادتهم من هذه الصحف، في التعرف على الحياة الإسرائيلية في مختلف مجالاتها وتجلياتها بما يخدم تحصين الذات وتعميق الانتماء الوطني، ويمكن التدليل على ذلك من مجمل الاقتباسات والآراء التي وردت في هذا البحث.

رابعا– دور الصحف في تحفيز المعتقلين على تعلم اللغة العبرية:

لا نستطيع ربط التوجه إلى تعلم اللغة العبرية، بدخول الصحف العبرية إلى المعتقلات كما سبق واوضحنا، فالبدايات سبقت ذلك من حيث التوقيت. إلا أن هذه الصحف عملت على تحفيز الكثير من المعتقلين لتعلم اللغة ومن ثم التأهل لقراءتها والتفاعل معها. وقد تحولت الأخبار والمقالات إلى مادة تعليمية عند مستوى معين من العملية التعليمية، أي بعد أن يمسك الطالب بالمفاتيح الأساسية للغة.

جاء الإقبال على تعلم اللغة العبرية في إطار حماس المعتقلين الذي بدأ في التبلور في منتصف السبعينيات لتعلم اللغات ومنها اللغة العبرية، بعد أن تنبه المعتقلون لأهمية الثقافة والفكر واللغات، وعلاقة اللغة بتوسيع قنوات المعرفة والإطلاع وتأهيل المعتقل إلى مرحلة لاحقة، كان ينتظرها ويعيش على أمل الوصول إليها، حتى لو كان محكوما بالسجن مدى الحياة. وتقول المعتقلة السابقة عائشة عودة "إن الدافع الرئيس لتعلم اللغة العبرية تمثل في رغبة المعتقلات الفلسطينيات في إشغال وقتهن بما هو مفيد وعدم جعل السنوات تمر ثقيلة دون استثمار الزمن في التعلم، وحتى منتصف السبعينيات بلغ عدد المعتقلات اللواتي كن يتقن اللغة العبرية من 11–12 معتقلة. وكانت المناضلة تريز هلسه التي اعتقلت وهي تتقن اللغة العبرية المعلم والمحفز على التعلم".(20)

هناك معتقلون كثيرون لا يربطون الإقبال على تعلم اللغة العبرية بالصحف، ويشيرون أنهم بدأوا العملية قبل دخول الصحف إلى المعتقلات بسنوات. ويؤكد المعتقل السابق عدنان ضميري انه بدأ تعلم اللغة العبرية في معتقل نابلس في العام 1977 من خلال المجموعة التعليمية المسماة "ألف مليم" وهي مخصصة للمهاجرين الجدد. ادراكا منه أن المناضل الفلسطيني يجب أن يعرف لغة عدوه، غير أن هذا المحفز العام، كان مفتاحا لمستوى معرفي واسع حول المجتمع الإسرائيلي.(21)

إن تعلم اللغة العبرية في المعتقلات، كان في الأساس متطلب حياة، إذ احتاجها المعتقلون للتفاهم مع سجانيهم في تدبر أمورهم الحياتية، لاسيما وأن السجانين لا يعرفون اللغة العربية باستثناء عدد قليل جدا، من الذين ينحدرون في أصولهم، لدول عربية أو بعض السجانين الدروز، أي أن تعلم اللغة العبرية كان معمولاً به، قبل الصحف العبرية. إلا أن وجود هذه الصحف في المعتقلات قد أوجد توجها منظماً لتعلم اللغة العبرية، وأن عدداً من المعتقلين شكلت لهم الصحيفة حافزاً ومحرضاً ودافعاً قوياً للتعلم(22). إن تحريض الصحيفة العبرية المعتقلين على تعلم اللغة شكل ظاهرة في المعتقلات، وكان المعتقلون يتطلعون إلى فك طلاسم الصحيفة، أي قراءة بعض العناوين لتكون مدخلاً للتعمق أكثر فأكثر، وصولاً إلى قراءة الخبر والمقال باستعمال القاموس. في البداية قد يحتاج الأمر إلى استخراج عشرات الكلمات في المقال الواحد، ثم يتقلص العدد كلما تكررت الكلمات والمصطلحات وأصبحت معانيها حاضرة في الذهن. كان القاموس يتنقل من واحد إلى آخر في الغرفة الاعتقالية، لكن الوضع تغير بالتدريج، لدرجة أن المترجمين المتخصصين أصبح بحوزة كل منهم قاموسه الخاص يرافقه معظم ساعات النهار.(23)

كان الإقبال على تعلم اللغة من اجل قراءة الصحف العبرية قد بلغ ذروته في معتقلات عسقلان، نفحة، السبع، حتى منتصف الثمانينيات، أي قبل عملية تبادل الأسرى التي تحرر بموجبها مئات المعتقلين القدامى. وكان طالب اللغة العبرية، بعد أن ينهي تعلم أربعة كتب من "مجموعة ألف مليم" المشهورة في المعتقلات، ينتقل مباشرة إلى التطبيق في الصحف(24). وشكل الذين أتقنوا اللغة العبرية عاملاً مشجعاً للذين لا يعرفونها، وكان المعتقلون

ينظرون إليهم بإعجاب ويتناقلون أسماءهم ويرددونها، حتى ان شهرة المتميزين انتقلت إلى معتقلات أخرى. يقول ناصر اللحام الذي أصبح بعد تحرره احد أهم القادرين على ممارسة الترجمة السريعة الفورية: "كنت احسد أولئك الذين سبقوني في تعلم اللغة العبرية، خصوصاً عندما كانوا يقرأون الصحف العبرية، ويستعملون الإحصائيات والمعطيات والمعلومات في أحاديثهم وفي المقالات التي يكتبونها، وأقول متى أستطيع أن افعل ذلك، إلى أن استطعت".(25)

ولو أردنا إعطاء المزيد من الأمثلة والاستشهادات على دور الصحف في تنشيط حركة تعلم اللغة العبرية، لأتينا بالكثير، بعد أن اللغة أصبحت العبرية ترتبط الآن في التجربة الاعتقالية بالصحف، وعندما يقال إن فلاناً يعرف اللغة العبرية، فان السؤال الذي يتبع ذلك بتلقائية: هل يستطيع قراءة الصحف العبرية!.. فالصحيفة تحولت في المعتقلات إلى مرادف للغة العبرية، وهي المفتاح والرمز والدلالة، وهي المحك والبرهان على المستوى اللغوي.

خامساً- بلورة و تفعيل لجان الترجمة:

هيأت الصحف العبرية في المعتقلات الظروف لولادة لجان الترجمة. أخذت عملية الترجمة عن الصحف في بادىء الأمر شكل مبادرات فردية في هذا المعتقل أو ذاك، كأن يتطوع احد الذين يتقنون اللغة العبرية بترجمة مقال أو خبر تقديرا منه لأهميته، لكن هذه المبادرات شكلت الإرهاصات الأولى التي مهدت لحركة ترجمة حقيقية منظمة وممنهجة وفاعلة. كانت الدورات المستمرة في تعليم اللغة العبرية تفرز مترجمين، أي ممن تقدموا على الآخرين في استيعاب قواعد وأسس اللغة العبرية، وفي تحصيل "كم من المفردات والمصطلاحات" التي تساعد في عملية الترجمة. وبالرغم من كثرة عدد الذين تعلموا اللغة العبرية في المعتقلات، إلا ان المترجمين كانوا قلة، إذ ليس كل من عرف اللغة العبرية، استطاع القيام بعملية الترجمة.

أما اختيار المترجمين وتحديد أهليتهم لهذه العملية، فقد خضع لمواصفات و اشتراطات، من ضمنها "القدرة على استخلاص المعنى الذي تضمنه المقال والخبر بلغة عربية سليمة، إعطاء النص روحاً معينة، اي أن تظهر

شخصية المترجم، وأن لا تكون الترجمة حرفية، كلمة–كلمة"(26). وعلى أهمية المعايير ذات الطبيعة المهنية سالفة الذكر، فان اللجان التنظيمية واللجان النضالية العامة في هذا المعتقل أو ذاك، لم تبق على الأمور محصورة في النطاق المهني الصرف، وإنما كان للبعد النضالي حضور في كل عمليات الترجمة، فالمترجم هو معتقل وينتمي إلى قضية عادلة وهو عضو في فصيل، وزج به في الاعتقال بسبب نشاط مقاوم قام به، لذا فالترجمة في هذه الحالة، ليست ترجمة تلقائية أو حرفية جامدة. أنها ذات رسالة، فما يترجم المفروض أن يسهم في تغذية معارف المتلقي الذي هو مناضل. ولان عملية الترجمة في التجربة الاعتقالية ذات طبيعة نضالية، فان المترجم الذي يستخلص المعلومات من الصحف العبرية و يصوغها بأسلوبه ويطعمها من روح ثقافته" يجب أن يكون مثقفا ومنتميا وذكيا، ويتمتع بخلفية سياسية وفكرية معينة، وكذلك الاستقامة والأمانة، أي يفترض في المترجم، أن يكون محسوما وغير مشكوك في وطنيته. لذلك طالما أبعدت اللجان النضالية في المعتقلات من جرى الشك في وطنيتهم".(27)

والحقيقة أن الاشتراط الوطني كانت دوافعه مبررة، نظرا لان ادارة السجون والجهاز الاستخباراتي الإسرائيلي نجحا في زرع عدد لا بأس به من المدسوسين في صفوف المعتقلين، وهذه مسالة بديهية ومعروفة في التجربة الاعتقالية وكتب حولها الكثير من الدراسات والمعالجات في المعتقلات وخارجها. أما البعد الآخر في اشتراطات ومواصفات المترجمين، فهو العمق السياسي والفكري الذي ينبع من حساسية المهمة، من اجل ان لا يقع مترجم سطحي سياسياً وثقافياً وفكرياً في مصيدة الرواية الإسرائيلية، ويصبح مرددا لها، دون تحليل، ودون مقدرة على التعامل مع الخلفيات، وحتى لا يتحول المترجم إلى وسيلة سيئة لتعميم المقالات والأخبار الإحباطية على المعتقلين، كالتي تضخم الامكانات والقدرات الإسرائيلية، وتقزّم حجم ودور قدرة الفلسطينيين على الصمود، ما يخلق أجواء الإحباط والانكسار.

انتعشت حركة الترجمة في المحطات الساخنة، وصار المترجمون محط اهتمام وتقدير من قبل الآخرين، فهم "المطبخ" الذي يهيء لهم المعلومات ويزودهم بها، وهم الذين يبذلون الجهد ويصلون الليل بالنهار من اجل

الجماعة. كما ان المعتقلين أعضاء في فصائل الثورة الفلسطينية، ومن الطبيعي أن يشعروا بالخوف والقلق على مصائر فصائلهم لدى اندلاع معركة أو مواجهة أو انتفاضة. كان من ابرز المحطات التي شهدت نشاطا ملموسا في حركة الترجمة في المعتقلات، حرب 73، حيث اقتصرت الترجمة حينذاك عن الصحف العبرية في معتقل الرملة، فقد نجح المعتقلون وبطرقهم الخاصة في الحصول على الصحف العبرية، وترجمة المقالات والأخبار المتعلقة بسير المعارك على الجهتين المصرية والسورية. أما المحطة الثانية التي استقطبت المترجمين على نطاق واسع حرب العام 82 في لبنان. ففي هذه المحطة كانت الصحف العبرية تصل إلى المعتقلات عن طريق الاشتراك، وما سهل المهمة أيضا وجود عدد من المترجمين المؤهلين. كما أن حرب 82 استهدفت الثورة الفلسطينية و وجودها المسلح على الأرض اللبنانية، ما يعني أن النتائج ستمس في الصميم القدرة العسكرية الفلسطينية ومستقبل التواجد على الأرض اللبنانية وتبعيات وتداعيات ذلك على المستوى السياسي(28). وبعد ذلك انشغل العاملون في لجان الترجمة في التقاط أي خبر أو مقال أو تصريح يتعلق بعملية تبادل اسرى محتملة. وعكف المترجمون في سنتي 84 و85 في رصد الاحتمالات والتوجهات المتعلقة بالتبادل، وصولا إلى المفاوضات الحاسمة التي سبقت العملية ببضعة شهور بين إسرائيل والجبهة الشعبية– القيادة العامة، لان عملية التبادل هذه كانت أمل المعتقلين في التحرر خصوصاً بالنسبة إلى ذوي الأحكام الطويلة.

وهناك محطات أخرى لعب المترجمون عن الصحف العبرية دورا بالغ الأهمية، ومنها انتفاضة العام 87. وفي هذه الانتفاضة لم تنحصر عملية الترجمة في ما كانت تنشره الصحف العبرية فقط وإن حظيت الترجمة عنها بحصة الأسد، وإنما إلى جانب ذلك كان المترجمون ينقلون بعض الأخبار والتحليلات عن الراديو والتلفاز باللغة العبرية، بعد أن أصبحا بين أيادي المعتقلين كإنجازين مهمين.

أما لجان الترجمة في انتفاضة الأقصى والاستقلال، فتركز دورها في المعتقلات التقليدية، ثم في معتقل النقب الصحراوي بعد أن أعيد افتتاحه، في حين تحظى الترجمة بأهمية خاصة في تجربة المناضلات الفلسطينيات.

إذ تقوم القادرات على ترجمة الأخبار والمقالات بإطلاع الأخريات عليها، وتشمل المواضيع التي تترجم وتعمم على المعتقلات الفلسطينيات على إخبار الانتفاضة، وأية أخبار لها علاقة مباشرة بتجربتهن الخاصة، (أحكام، افراجات، اضرابات)(29). وأعطى المترجمون في المعتقلات أيضا اهتماما خاصا للأخبار التي تناولت الشق الأول من عملية تبادل الأسرى بين إسرائيل وحزب الله، و كذلك أخبار المفاوضات حول الشق الثاني من العملية، والتي لم تحسم حتى الانتهاء من هذا البحث.

يمكننا وضع خلاصة لحركة الترجمة في المعتقلات، باقتضاب في الاتي:

1- اتسمت الترجمة عن العبرية بالفعالية والإنتاج المستمر والنشاط الدؤوب.

2- نجحت حركة الترجمة في مواكبة الحدث إخباريا وتحليلياً.

3- الترجمة عن الصحف والمجلات العبرية أسست لتجربة رائدة كان لها مواصفاتها واشتراطاتها، وكان لها أيضا رسالتها الواضحة.

4- امتاز المترجمون بقدراتهم اللغوية وامكاناتهم الثقافية والفكرية.

5- استطاع المعتقلون من خلال الصحف العبرية كسر الحصار المفروض عليهم واستثمار قناة إخبارية يومية.

6- توسعت عملية الترجمة في نهاية الثمانينيات لتشمل ترجمة الأخبار والتعليقات عن الراديو والتلفاز باللغة العبرية.

وأخيرا كان المترجمون مثالا للمثقف العضوي حسب مواصفات وتحديدات "غرامشي"، حيث كانت عملية الترجمة ذات أهداف تنويرية وتثقيفية وتعبوية تصب في الارتقاء بوعي المناضلين، أي أن هذا المجال صب بشكل مباشر في العملية النضالية. وكان المترجمون يعون أهمية دورهم ويدركون أن ما يقومون به ليس مهمة مهنية بالمعنى الحرفي للكلمة، فالمهني هنا هو مجيّر لخدمة التجربة النضالية وارتقاء بها .

هوامش الفصل الرابع:

1- علي جده، مقابلة، مرجع سابق.

2- سعيد عياش، عدنان الضميري، مقابلتان، مرجعان سابقان.

3- غسان جرار، مقابلة، مرجع سابق.

4- بثينة دقماق، مقابلة، رام الله: 2004./6/13

5- صلاح حبوب، مقابلة، رام الله: 2004/5/10.

6- جلال رمانة، شهادة صحية مقدمة لمسابقة مؤسسة لجان العمل الصحي لعام 2003.

7- مازن الحسيني، **قراءة في فكر غرامشي**، القدس: دار التنوير والمركز الفسطيني لقضا السلام والديمقراطية، 2001، ص 84+85.

8- عماد النتشة، مقابلة، مرجع سابق.

9- سلمان جاد الله، مرجع سابق، ص.65

10- عدنان الضميري، مقابلة، مرجع سابق.

11- عادل سمارة، **احتجاز التطور**، القدس: مكتب الحياة، 1987 .

12- عادل سمارة، **اقتصاد تحت الطلب**، القدس: مركز الزهراء، .1989

13- عادل سمارة، **التنمية بالحماية الشعبية**، القدس: مركز الزهراء، .1990

14- عبد الحميد البابا، مقابلة، رام الله: 2004./5/1

15- عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

16- محمد نزال، مقابلة، مرجع سابق.

17- دالية شاحوري، **(حول النقديين الجدد)**، هآرتس، 2004./4/20

18- عدنان الضميري، مقابلة، مرجع سابق.

19- سهيل البرغوثي، مقابلة، رام الله: 2004./3/2

20- عائشة عودة، مقابلة، مرجع سابق.

21- عدنان الضميري، مقابلة، مرجع سابق.

22- سعيد عياش، مقابلة، مرجع سابق.

23- المرجع السابق.

24- عدنان الضميري، مقابلة، مرجع سابق.

25- ناصر اللحام، مقابلة، مرجع سابق.

26- عطا القيمري، مقابلة، مرجع سابق.

27- محمد نزال، مقابلة، مرجع سابق.

28- صالح أبو لبن، مقابلة، مرجع سابق.

29- أميرة حبش، مقابلة، رام الله: 2004/4/16.

الفصل الخامس:

أقصى درجات الاستثمار في الاعتقال
وبعد التحرر

العنوان الذي تم اختياره لهذا الفصل ليس عنواناً شعاراتياً، ولا يقصد به التهويل، وطرح المسائل بالمطلق، وإنما هو توصيف لما آل إليه الاستثمار النموذجي لهذه الصحف في الاعتقال وبعد التحرر. حينما طالب المعتقلون بإدخال الصحف إلى المعتقلات، كان الهدف من وراء ذلك إخبارياً صرفاً، أي الوصول إلى الممنوع، ورؤية الحياة الواسعة من نافذة هذه الصحف. لكن بعد ان حققوا مطلبهم بنضالاتهم الصعبة، راحوا يكتشفون بتجربتهم الخاصة، ان الصحيفة هي أوسع من تلقي خبر وقراءَته، حيث يمكن القيام بدور إرسال الخبر الذي يُنتج خلف القضبان وتمريره وتعميمه، بمعنى الجمع بين وظيفة المستقبل والمرسل في ذات الآن، عندما يتطلب الأمر ذلك. كما اكتشفوا ان الصحيفة مجال أرحب من تعلم وتعليم العبرية، قد يصل مداها الى مرحلة التأهيل المهني، وإلى تشكيل أنوية مؤسسات متخصصة قد ترى النور يوماً.

1- نشر أخبار المعتقلين في الصحف العبرية:

اهتم المعتقلون بعد بضع سنوات من إدخال الصحف العبرية إلى المعتقلات، بإرسال أخبارهم من خلال صحفيين فلسطينيين أو مؤسسات حقوقية، إلى صحيفة عبرية، بهدف نشرها، لثلاثة أسباب:

الأول: نقل ما يجري في المعتقلات من معاناة وردود أفعال المعتقلين، من احتجاجات واضرابات وغيرها، للقول للإسرائيليين: ان المعتقلين الفلسطينيين مناضلون وليسوا "قطاع طرق" كما روجت إدارة السجون والمؤسسات والأجهزة الحكومية المختلفة.

الثاني: محاولة إطلاع بعض القوى والفعاليات الديمقراطية الإسرائيلية على قلتها، على ما يمارس في المعتقلات، من قمع وتنكيل، بغية تحشيدها ضد هذه الممارسات، و تشجيع إثارتها ومناقشتها والاحتجاج عليها في الكنيست ووسائل الإعلام.

الثالث: الاستفادة من الصحف العبرية في نشر أخبار المعتقلين، أحكام، تمديد اعتقال إداري، أوضاع صحية. وقد بادر بعض المعتقلين بالكتابة في الصحف العبرية من داخل المعتقل، مثل عماد السبع، لتبيان تعسف ولا قانونية الاعتقال الإداري. كما لجأت مؤسسات حقوقية في حملاتها ضد الاعتقال الإداري مثلما حصل في عامي 93 و94، إلى الصحف العبرية لنشر أخبار وفعاليات حملتها الهادفة الى إلغاء أوامر الاعتقال الإداري المستنده إلى قوانين بريطانية انتدابية بائدة. ومن الصحفيين الإسرائيليين الذين كتبوا ضد الاعتقال الإداري كل من سامي سكول في صحيفة "يديعوت احرنوت" وارنون روكلر في "هآرتس" وعميره هس في صحيفة "هآرتس" أيضاً(1). وأدت الحملات التي أطلقتها مؤسسات حقوقية ضد الاعتقال الإداري، الى تحمس صحفيين إسرائيليين، لمناقشة هذا النوع من الاعتقال، لانه يضر بسمعة إسرائيل، التي هي من الدول القلائل التي تلجأ الى الاعتقال الإداري، أو الأصح انها من الدول الاستثناء. ومن الصحفيين الذين اعتبروا الاعتقال الإداري وصمة عار، جدعون ليفي الذي قال في إحدى مقلاته، "على إسرائيل ان تكف فوراً عن هذا العار"(2). فيما طالبت الصحفية الإسرائيلية عميره هاس إسرائيل بالتوقف عن التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين كميدان للتجريب، وطالبت معاملتهم معاملة تليق بأسير وفقاً للقوانين والمواثيق الدولية.(3)

توجهت بعض المؤسسات الحقوقية في حملاتها ضد الاعتقال بشكل عام إلى وسائل الإعلام الفلسطينية المحلية، وإلى وسائل الإعلام العربية والعالمية. وكانت الصحف العبرية جزءً من الحملة كما حصل في العام 98، حيث توجه القائمون على الحملة المذكورة إلى الصحف العبرية من خلال صحفيين وحقوقيين، وبالفعل نشرت حينذاك مقالات واخباراً وتقاريراً كشفت جوانب من مأساة المعتقلين الفلسطينيين والعرب.(4)

وإذا كانت مؤسسات حقوقية فلسطينية حرصت على نشر أخبار المعتقلين في الصحافة العبرية كما أوضحنا، فان صحفاً عبرية تتوجه بين الفترة والأخرى الى هذه المؤسسات للحصول على معلومات تتعلق بالمعتقلين في إطار عملها المهني، فعندما حدثت بعض الإفراجات المحدودة، في فترة حكومة محمود عباس أبو مازن، توجه مراسلوا الصحف العبرية الى مؤسسة الضمير للحصول على قوائم المفرج عنهم، ومعرفة أحكامهم وفصائلهم، وكيف تنظر المؤسسات الحقوقية لهذا النوع من الإفراجات، وفي أي إطار تصنفه.(5)

هناك صحفيون إسرائيليون قلائل بادروا من تلقاء أنفسهم وكتبوا عن الأوضاع المأساوية للمعتقلين الفلسطينيين وترجمت مقالاتهم في المعتقلات وتم تعميمها على المعتقلين ومنهم جدعون ليفي، الذي كتب كثيراً ضد الاعتقال الإداري. علاوة على ذلك كتب ليفي حول الأوضاع الصحية الصعبة في المعتقلات، ففي مقال بعنوان "صمت الأطباء" انتقد ليفي الصمت المطبق الذي يبديه الأطباء، إزاء تقييد المعتقلين الفلسطينيين في أسرتهم، أثناء تواجدهم في المستشفيات الإسرائيلية سواء كانوا رجالاً أو نساءً أو أطفالا، واعتبر ان الأطباء بصمتهم يشرِّعون التعذيب. وذكر ليفي في مقاله، انه شاهد طفلاً فلسطينياً في الرابعة عشره من عمره، اسمه معتز جرادات من قرية سعير قرب الخليل، مقيّداً إلى سريره في مستشفى "هداسا عين كارم" تحت حراسة جنديين إسرائيليين.(6)

ومن المفارقات، ان يؤثر صحفي فلسطيني على صحفي إسرائيلي ويغيَّر بعض الشيء في قناعاته، ويدفعه لكي ينشر في صحيفة عبرية شهادة عن التجربة الاعتقالية، وعناصرها وقياداتها، من خلال تتبع مسيرة احد قادتها. التقى الصحفي الفلسطيني عدنان الضميري، الصحفي الإسرائيلي يرون ميخائيلي. وكان اللقاء ليس في ساحة العمل الصحفي، وليس في ميدان التنافس المهني، وإنما في معتقل النقب الصحراوي "أنصار 3". أما اللقاء فقد كان بين ضدين، الصحفي الفلسطيني المعتقل، والصحفي الإسرائيلي السجان، ففي شتاء 1988 بينما كانت تنخر البرودة عظام الضميري، كان ميخائيلي يؤدي خدمته العسكرية كجندي احتياط، فوجئ الصحفي الإسرائيلي، ان يرى صحفياً فلسطينياً بين المعتقلين، حيث ظن ان المعتقلين لا علاقة لهم بالصحافة والثقافة، ان كل ما يعنيهم هو شيء واحد،

هو العمل ضد إسرائيل بشتى الأساليب. لفت انتباه الصحفي الإسرائيلي أيضاً نشاط الضميري والدور القيادي الذي اضطلع به في المعتقل، وثقافته ومتابعته للشؤون الإسرائيلية ومعرفته أدق التفاصيل.

ويعترف ميخائيلي ان النقاشات السياسية غيَّرت بعضاً من قناعاته بخصوص المعتقلين الفلسطينيين والقضية الفلسطينية بشكل عام. بعد عشر سنوات من لقائهما في معتقل النقب، زار ميخائيلي، الفلسطيني عدنان الضميري في منزله في طولكرم، ولكن هذه المرة حينما أصبح الضميري يشغل موقعاً مهماً في أحد أجهزة السلطة الفلسطينية، ووجده ما زال متابعاً دقيقاً للشؤون الإسرائيلية ويخضع كل موقف للتحليل، ويرصد بدأب التفاعلات على الساحة الإسرائيلية، وتأثيرها وانعكاساتها على الفلسطينيين. يعترف الصحفي الإسرائيلي بعد عشر سنوات من اللقاء انه فهم الكثير من الضميري، وتعلم منه الكثير أيضا، وما كان له ان يفهم القضية ويكتب بشكل مختلف لولا الضميري. ويعترف أيضاً ان الصحفي والمناضل الفلسطيني ظل متمسكاً برؤياه حول كيفية حل القضية الفلسطينية(7). وقبل الصحفي ميخائيلي، كان الضميري قد لفت انتباه بعض الصحفيين الإسرائيليين، من خلال ما عاناه وكابده في الانتفاضة الأولى من اعتقالات، إذْ كان صحفياً فلسطينياً شبه مقيم في معتقل النقب. إلى جانب ذلك فان هؤلاء الصحفيين رأوا فيه شاباً متحمساً يمضي فترات اعتقاله وهو يدرس ويمحص في الشأن الإسرائيلي، حيث يربط بين قديم الإسرائيليين وحديثهم، وما بين الضحية الفلسطيني، وعندما يتحرر يقوم بدوره "الدسك الفلسطيني في الشؤون الإسرائيلية ".(8)

لقد كان الضميري معنياً بشكل أو بآخر بالصحافة الإسرائيلية، سواء كان في الاعتقال أو بعد التحرر، لانه يعتبر ان المعرفة الشخصية بالصحفي والنقاش المباشر معه، من شأنه ان يؤثر على ما يكتب. فهناك صحفيون يكتبون ضد الفلسطينيين دون ان يستمعوا مرة إلى فلسطيني واحد. إنهم يكتبون عن بعد معبئين بايدولوجيا ومعلومات مسبقة، أما إذا تسنى للفلسطيني طرح وجهة نظره بشكل متكامل وناضج وبعيداً عن الارتجالية وبالاستناد إلى الحق الفلسطيني، وبالتمسك بمعطيات تاريخية وحقائق دامغه "فلا أقول ان ذلك يغيِّر قناعات الصحفي الإسرائيلي، وإنما

يصدمه برأي آخر مناقض، قد يربكه، أو يجبره على التنبه حتى للذي يمقته ويعاديه".(9)

في مطلع العام 92، صدر أمر احتلالي بإبعاد اثني عشر مناضلاً فلسطينياً من الضفة والقطاع، خارج الوطن، بتهمة اضطلاعهم بدور قيادي في الانتفاضة الأولى، وحين صدور هذا الأمر كان بعضهم يقبع في الاعتقال، بينما اقتيد البعض الآخر من منازلهم. تقدم المهددون بالإبعاد باعتراض الى إحدى اللجان المختصة ضد إبعادهم، بناءً على نصيحة محاميهم، ثم قدمت القضية إلى المحكمة الإسرائيلية العليا، بهدف كسب الوقت، بخاصة وان مفاوضات فلسطينية – إسرائيلية بدأت، وان حكومة شامير حينذاك وضعت نفسها في مأزق أمام العالم، فأي سلام تريده في ظل اقتلاع الفلسطينيين من منازلهم. كان أمر الإبعاد محرجاً حتى للإدارة الأمريكية،لا سيما بعد صدور قرار من مجلس الأمن حمل رقم 726 يطالب بإلغائه فوراً. لذا سعت حكومة شامير ومن بعدها حكومة رابين الى المناورة على امل التوصل إلى تسوية، بدفع المهددين بالإبعاد إلى الموافقة على إبعاد جزئي مدة خمس سنوات، فرفض هذا الاقتراح، إلى ان اضطرت حكومة رابين الى إلغائه وتحويل المهددين بالإبعاد إلى الاعتقال الإداري. وقد شهدت الفترة الممتدة ما بين صدور أمر الإبعاد وإلغائه نشاطاً ملموساً للمهددين بالإبعاد أنفسهم، حيث قبع المهددون من الضفة في معتقل الخليل، أما المهددون من القطاع، فقبعوا في معتقل غزة.

ثمانية شهور بين صدور الأمر وإلغائه، كانت إختباراً للمهددين بالإبعاد والمحامين والمؤسسات الحقوقية للنضال السياسي والجماهيري والقانوني محلياً ودولياً من أجل إلغاء الإبعاد، ومن المعتقل كتب المهددون بالإبعاد عشرات الرسائل إلى مؤسسات وصحف محلية، وإلى الجامعة العربية ومؤسسات حقوق الإنسان الدولية، وإلى الأمين العام للأمم المتحدة. ولم يغب عن البال استعمال بعض الصحف العبرية لفضح أوامر الإبعاد، وتبيان الضرر الذي يوقعه على عملية السلام. واستفاد المهددون من ان قضيتهم استقطبت عشرات الصحفيين الإسرائيليين لتغطيتها "كحدث مهم". وفي كل جلسة محاكمة كانوا يسربون مواقفهم إلى الصحافة العبرية ويكذبون التهم التي قام على أساسها الإبعاد، ويردون على مقالات وأخبار كاذبة نشرتها الصحف العبرية ضدهم فور صدور أمر الإبعاد، مرددة

الرواية الاستخباراتية، مدافعة عنها بشكل قبليّ مصورةً المهددين بالإبعاد مجرمين دون التحقق المهني من ذلك. وحينما حضر عدد من الصحفيين بعض الجلسات، وجدوا ان ما ورد في صحفهم كان مضخماً ونسخة كربونية عن الرواية الاستخباراتية.

دفعت تطورات القضية بعض الصحفيين وكتاب الأعمدة الى المطالبة بإلغاء أمر الإبعاد، الذي جاءَ في توقيت سيء، إضافة إلى ان الأساس الذي قام عليه ظهر خلال جلسات المحكمة ضعيفاً. وحاول صحفيون إسرائيليون تسليط الضوْء على الأوضاع الاجتماعية للذين طالهم امر الابعاد، من خلال إجراء مقابلات من أفراد أسرهم، وفي مقابلة مع زوجة المهدد بالإبعاد وقتذاك عمر عساف، سألها الصحفي، فيما لو قدر لك إصدار حكم على من قرر إبعاد زوجك، ماذا تفعلين به ؟، فقالت منفعلة لو قدر لي ان أعاقب من قرر تشريد زوجي عن أسرته لـ"خنقته "(10). وأبرزت الصحف العبرية قول هذه الزوجة المضغوطة حد الانفجار من هذا الأمر الاحتلالي. وفي اليوم التالي، وفي جلسة المحكمة، أورد القاضي العسكري هذا التصريح للتحريض ضد عمر عساف وزوجته، على اعتبار ان هذه الأسرة متطرفة، ما جعل عساف يرد على القاضي والصحيفة، ثم لتنشر أقواله بعد ذلك في الصحف العبرية ذاتها، حينما بيَّن عساف ان أية امرأة في مثل وضع زوجته، وفي أي مكان في العالم يشتت المحتلون أسرتها، فانها لا تجد أمامها سوى الغضب من الاحتلال والحقد عليه. أما بشأن زوجته فقال إنها معلمة هادئة الطباع وإنسانة شفافة ليس بمقدورها ان تخنق صوصاً. أما حين تشب النار في منزل ما وتحرق إنساناً فمن يستطيع منعه من الصراخ أو ان يلعن النار ومن أشعلها.(11)

موضوع المهددين بالإبعاد الذي أوردناه، ودخول الصحف العبرية إلى ساحته، مرددة ادعاءات الحكومة ضدهم، ثم التخفيف من حدة الهجوم بعد ان تكشفت الحقيقة، والأهم من ذلك، محاولات المهددين استثمار هذه الصحف والرد على الأكاذيب، كل ذلك يشكل مثالاً واضحاً على دور هذه الصحف في الحملات الدعائية ضد الفلسطينيين، وكيف أصبح المعتقلون قادرين على الوصول إلى "المطبخ الإعلامي الإسرائيلي" والقول ان ما أعددتموه

ومررتموه حول قضية معينة مجرد كذب وافتراء، وان الصحيح هو كذا....

وما زالت توجهات الاستفادة من الصحف العبرية مستمرة، حيث يقوم المعتقلون في انتفاضة الأقصى والاستقلال، بتزويد محاميهم بالمعلومات عن معاناتهم، وعن إجراءات إدراة السجون، وإدارات المعتقلات العسكرية، المتخده ضدهم. كما ان أخبار بعض المعتقلين المعروفين وقادة الانتفاضة الذين تم اعتقالهم مثل مروان البرغوثي، عبد الرحيم ملوح، حسام خضر، غالباً ما تشكل مساحة في الصحف العبرية المختلفة. اما قضية المعتقل مروان البرغوثي، أمين سر اللجنة الحركية العليا لحركة فتح في الضفة والنائب في المجلس التشريعي، فقد أخذت حيزاً في الصحف العبرية، والبرغوثي نفسه خلال المحاكمات سعى لإيصال صوته بكل الوسائل المتاحة، ومستثمراً وجود الإعلام الإسرائيلي لإيصال بعض التصريحات حول موقفه من المحكمة، وحول عدالة القضية الفلسطينية. (12)

مما أوردناه، يتبين ان الاستفادة من الصحف العبرية يأخذ أشكالاً وأبعاداً مختلفة، وان المعتقلين وممثليهم ومحاميهم والمؤسسات الحقوقية التي تعنى بقضيتهم، أصبح لهم جميعاً خبرةً غنية في التعامل مع الصحافة العبرية، وهم يدركون أهمية الاستفادة من هذا المنبر، وإطلاق المواقف وتمرير الأخبار في "عقر دار الإسرائيليين".

2- بعد التحرر:

إن دراسة اللغة العبرية والترجمة والصحافة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، تصبح ناقصة أو متبورة، إذا ما حصرنا دورها وتأثيرها وتفاعلاتها بين جدران المعتقل. ولأن كل معتقل فلسطيني كان يعد نفسه لمرحلة ما بعد الاعتقال، يتثقف، يتجذر، يتزود بالمعارف والمهارات، فقد تعلم الكثيرمن المعتقلين اللغة العبرية وتعمقوا فيها، من منطلق أن ذلك سيفيدهم يوما ما، لو قدر لهذا الباب الحديدي الثقيل ان ينفتح، وينفتح معه الطريق الى الحرية.

عندما تحرر المئات من المعتقلين في اكبر عملية تبادل أسرى في العام 1985، واجه هذا الكم من المحررين الحياة في الخارج مرة واحدة، بعد غياب قسري عنها مدة طويلة. فقد كانت حصة الأسد في هذه العملية، للأحكام الطويلة من (10 أعوام الى مؤبد). وكان إدراج الاسم في قوائم التبادل مشروطا بالحكم وبالمدة الزمنية التي

أمضاها المناضل في الاعتقال. وبلغ متوسط سنوات الاعتقال للذين شملتهم العملية عشر سنوات [*] وهذا يعني أن المئات واجهوا واقعا جديدا، له اشتراطاته وظروفه ومتطلباته، التي تختلف نسبيا عما كان عليه الحال قبل الاعتقال. ان الواقع الجديد قد تشكل من عناصر ومقومات غير موجودة في حياة الاعتقال، سوق مفتوحة، وأوضاع اقتصادية صعبة، ومسؤولية اجتماعية ربما عن أسرة كاملة، فلكي تأكل ثلاث وجبات، وتدخن وتلبس وتسافر في وسائل النقل، عليك أن تعمل وتنتج، لا أن تتحول الى مشكلة ترهق الآخرين. هذه الحقيقة ارتطم بها المحررون، بعد انتهائهم من السلامات وأعراس الاستقبال والاحتفاء.

لكن كيف بمناضل أعتقل وهو في الثامنة عشرة من العمر وأصبح في الثلاثين، أن يتعامل مع الانقطاع القسري عن الحياة في الخارج؟! وكيف له أن يلتحق بمهنة؟. وكيف له أن يصون كرامته الإنسانية ويظل محافظا على صورة المناضل أمام أسرته ومجتمعه؟. كانت الإجابة عن هذه الأسئلة معقدة لدى قسم من المحررين، لكنها كانت أقل تعقيدا عند القسم الآخر. والمقصود بالقسم الثاني، الذين تحرروا وقد اكتسبوا مهارات إبداعية وثقافية ولغوية، ونحن نقصد هنا المتميزين، وليس ذوي القدرات الثقافية واللغوية العادية. تنبهت الصحف الفلسطينية ومراكز البحث والمكاتب الصحفية في الوطن، لأهمية الترجمة عن العبرية، لرصد حركة المجتمع الإسرائيلي، ولمتابعة التطورات فيه، والقيام بتحليلها واستخلاص النتائج، ما وفر فرص عمل سريعة لعشرات المحررين في مجال الترجمة والبحث في الشؤون الإسرائيلية. ومنذ الشهر الأول لتحررهم لم يلتحق هؤلاء بصفوف العاطلين عن العمل ووجدوا وسيلة رزق توفر لهم الكرامة. وفي المقابل وجد القائمون على الصحف ومراكز البحث في المحررين المؤهلين طاقة عمل وأبداع وكفاءات استثنائية في المجال المذكور.

العمل في الصحف والمجلات والمكاتب الصحفية:

توجه عدد من المحررين للعمل في الصحف والمجلات والمكاتب الصحفية، فقد وجدوا أنهم من خلال ذلك،

[*] يقول المعتقل السابق علي جده، ان اللجنة النضالية العامة في معتقل عسقلان قد أجرت جرداً للأسماء المرشحين للتحرر في عملية التبادل التي كان يعد لها، فوجدت ان القسم الأكبر من المرشحين من الذين أمضوا من عشر سنوات حتى سبع عشر سنة .

يستطيعون التعبير عن مخزونهم اللغوي والثقافي والصحفي، في ميدان يفيدون فيه شعبهم وأنفسهم. ولو رغبنا استعراض الأسماء التي عملت في الترجمة عن العبرية، أو العمل الصحفي(مراسلة وتحرير)، أو الجمع بين الترجمة والعمل الصحفي المهني، لوجدنا أنفسنا أمام عدد كبير من الأسماء، لكننا سنستشهد ببعض النماذج لتدعيم ما رمينا إليه.

استعان الباحث في الإتيان بنماذجه، أولاً بمعرفته السابقة بمعظم الكفاءات (سواء تعلق ذلك بالترجمة أو القدرات الثقافية والكتابية)، بالاستناد الى تجربته الاعتقالية واحتكاكه بعدد كبير من هذه الكفاءات، ومن داخل التجربة ذاتها. وثانياً من خلال مزاولته لعمله الصحفي المهني في مؤسسات صحفية محلية. وثالثاً الاستعانة بذوي التجربة أنفسهم، الذين قابلهم وحاورهم واستفاد مما خزنوه في الذاكرة من أسماء ومعطيات ونماذج.

ورأى الباحث من المناسب ذكر بعض الأسماء نظرا للبصمات الواضحة، التي تركها أصحابها في الترجمة عن العبرية وفي العمل الصحفي بشكل عام:عطا القيمري، على جده، محمود جده، جبريل الرجوب، حسن سرندح، عماد النتشة، ناصر اللحام، حسن ابو حشيش، حاتم شنار، صالح أبو لبن، محمد اللحام، محمد أبو لبدة، محمد مناصرة، سعيد عياش، أمجد العمري، هاني العيساوي، مروان بزبز، نعيم الطوباسي، ناصر نمر، حسن عبد الجواد، غازي أبو جياب، علي سمينة، عطاف يوسف، عصام العروري، عبد الكريم سمارة، عادل سمارة، عمر نزال، عوني أبو غوش، خضر محجز، غسان جرار، لواحظ الجعبري، وليد سالم ،حسين الجمل، توفيق أبو خوصة، خضر محجز، حسن عبد الله ... وآخرون.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل الذين عملوا من المحررين في الصحافة (سواء في الترجمة عن العبرية أو التحرير والمراسلة)، قد شكلوا إضافة نوعية أم كمية؟

الإجابة لا تستقيم إلا إذا أعطينا توصيفاً ولو مقتضباً لواقع الصحافة تحت الاحتلال وصولاً الى نهاية الانتفاضة الأولى ومن ثم تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية وبداية مرحلة إعلامية جديدة تتعلق بإصدار الصحف

وظروف العاملين فيها.

بدأت الصحافة الفلسطينية تجربتها، بعد احتلال الضفة الغربية والقطاع في العام 67، بصدور الصحيفة الأولى باسم" القدس"، في 19-11-1968، أي بعد 17 شهراً من بدء الاحتلال. وصدرت صحيفتا الفجر والشعب في العام 1972، ثم تتابع إصدار الصحف و،المجلات العام تلو الآخر. ومع استمرار التجربة، وتنامي دور الصحافة الفلسطينية، تصاعد القمع الإسرائيلي، فشددت الرقابة على كل حرف تنشره هذه الصحف، وتعرض عدد من الصحف والمجلات للإغلاق. أما العاملون في الصحف فقد عانى معظمهم من الاعتقال وفرض الإقامة الإجبارية، فيما نفي بعضهم خارج الوطن.

لجأت سلطات الاحتلال الى ضرب وقمع صحف معينة، والإبقاء على أخرى تترنح تحت ثقل رقابة طالت حتى إعلانات النعي، في محاولة للمس بالتعددية الصحفية، واغلقت عددا من الصحف والمجلات بحجة التحريض(13). وفي ظل الرقابة وإغلاق الصحف واعتقال الصحفيين، كان المطلوب من الصحافة الفلسطينية أن تقوم بدور إخباري وتثقيفي وتعبوي وتسريب بعض المواقف والتوجهات التحريضية على سياسة الاحتلال، بالتحايل على الرقابة والتمويه المدروس جيدا على الرقيب. وما ساعد في ذلك اكتساب العاملين في الصحف خبرة معينة في تمرير المواد الصحفية على الرقابة، من خلال اللغة والاستعارات وانتقاء الجمل اللغوية غير التحريضية، والتركيز في المقابل على مضمون عميق. إلا أن الرقابة الاحتلالية قد عملت على:

1-الحد من الجانبين الإخباري والتحليلي في الصحف.

2-جعل الصحفيين يبذلون جهوداً مضاعفة، لتعويض المواد التي يتم شطبها بمواد أخرى.

3-تقليص مصادر المعلومات، بمنع الصحفيين من الوصول الى المصادر المناسبة، وإغلاق المناطق للحؤول دون نقل ما يجري ويتفاعل على ساحة الحدث.(14)

بسبب الرقابة ومنع الصحفي من الاستفادة المعلوماتية والتحليلية من مصادر المعلومات الفلسطينية والعربية

والدولية، تنبه الصحفيون الفلسطينيون للصحف العبرية، ولجأوا الى الترجمة عنها، لمعالجة النقص الإخباري، وانتقاء ما يناسب هذه الصحف. كانت الرقابة الاحتلالية تجيز المواد المترجمة عن العبرية، كونها قد نقلت عن صحف صدرت قبل يوم أو يومين، إضافة الى أنها مأخوذة عن مصادر من المفروض أن تكون قد راعت في الأساس المصالح الإسرائيلية. تحولت الصحافة العبرية الى مصدر مهم للصحافة الفلسطينية إخبارياً ومقالياً، وكان بعض الصحفيين عندما يريدون نشر خبر فلسطيني محلي وشديد الأهمية، يعمدون الى تسريبه بطريقة ما الى صحفي إسرائيلي، يقوم بالتقاطه كمادة إخبارية دسمةن تمكنه من تحقيق سبق لصحيفته، وفي ذلك تعزيز لدوره ومكانته المهنية، وفي اليوم التالي تقوم الصحف الفلسطينية بنشره وإبرازه على صفحاتها الأولى.(15)

ولما كانت الترجمة مهمة وضرورية وحيوية للصحف الفلسطينية الى الحد الذي بيناه، اعتمد القائمون على هذه الصحف توظيف بعض الطلبة الفلسطينيين من مناطق 48، الذين كانوا ينتقلون للسكن المؤقت في مدينة القدس فترة التحاقهم بالجامعة العبرية، لكن الاستفادة من طاقات هؤلاء الطلبة كانت موسمية وتخضع الى ظروف دراستهم الجامعية، ما جعل الحاجة الملحة الى مترجمين مستمرة. وحينما تحولت المعتقلات الى (مدرسة) تُخرِّج المترجمين المؤهلين، صارت المصدر الرئيس لهذه الصحف. ولم ينحصر دور خريجي(هذه المدرسة) في الترجمة فقط، وإنما تجاوز ذلك، حيث أن الكثير منهم جمعوا بين الترجمة والتحرير، لاسيما وأن التجربة الاعتقالية أكسبتهم قدرات ثقافية وتحليلية وكتابية، تمت الاستفادة منها في الخارج، بعد تأطيرها وفق القواعد والأصول المهنية.

تدرج خريجوا(مدرسة الاعتقال الصحفية والثقافية) من مترجمين الى مشرفين على صحف ومجلات. ومن بين هؤلاء محمد أبو لبدة، الذي شغل موقع رئيس تحرير مجلة الشراع ثم جريدة الميثاق، وجبريل الرجوب الذي تبوأ موقعا رفيعا في مجلة عبير، وهاني العيساوي في صحيفة الدرب، وكذلك علي جده الذي أصبح محرراً معتمداً في مجلة رؤية أخرى، وربحي الشوبكي رئيس تحرير جريدة المسار، فيما تدرج ناصر نمر من مراسل الى محرر في

صحيفة الفجر، ونعيم الطوباسي من مراسل الى محرر في صحيفة الشعب، ليصل فيما بعد موقع رئيس نقابة الصحفيين. تميز خريجوا (المدرسة الاعتقالية) بغزارة الإنتاج سواء في الترجمة أو الكتابة الصحفية والمقالية والتحليلية، وأسهموا في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات في تعويض النقص في الكادر، نظرا لقلة عدد العاملين المؤهلين في الصحافة المحلية، نتيجة عدم وجود كليات إعلام، وتقييد سفر الصحفيين، الأمر الذي حال دون استفادتهم من الدورات في الخارج. إلا أن عطاءهم في العمل الميداني كان محدوداً. ونستطيع القول إنهم أبدعوا مكتبيا(ترجمة وتحليل وتدقيق لغوي)، ولم يضيفوا إضافات نوعية في العمل الميداني، وهذا راجع للقيود التي كان يفرضها الاحتلال على المحررين من المعتقلات، بخاصة في الفترة الأولى التي تلي عملية التحرر. ولأن فترة الاعتقال كانت طويلة وقاسية، وتدور في دائرة مغلقة ضيقة، الحركة محدودة، ونظام الحياة يسوده الروتين، ما جعل المعتقل يميل الى الهدوء والعمل الذهني والكتابي المنتج ذي الطبيعة المكتبية، ولا يفضل الميدان، حيث الصخب والركض وراء المعلومة، والتعامل السريع مع الحدث، والدخول في تفاصيل ومتاعب وحيثيات التغطية الصحفية الخارجية. لم تشكل توجهات المعتقلين السابقين معضلة لهذه الصحف، فقد كان لديها مجموعة من المراسلين الميدانيين. أما ثغرتها الكبيرة فتمثلت في المترجمين والمحررين، التي ردمتها كفاءات الوافدين من حياة الاعتقال، الى أن صار وجود هؤلاء ظاهرة مألوفة في الصحف والمجلات المحلية(16).

وبعد تشكل السلطة الفلسطينية، وإلغاء الرقابة على الصحف، وتعدد كليات الإعلام، ودخول التجربة ميادين أخرى، كالإعلام المرئي والمسموع وإعلام الانترنت، بات العمل يتطلب تأهيلا أكاديمياً وتدريبا علميا. وبالرغم من ذلك، فان دور ذوي التجربة الاعتقالية، لم ينته، وتحديداً في الترجمة والتحرير في الصحافة المكتوبة، بل على العكس، فقد تعاظم دور القدماء منهم، الذين استمروا في العمل، وتحديداً من عملوا على تطوير قدراتهم المهنية، بتطعيم ما اكتسبوه وحصلوه في المعتقل، بدراسة أكاديمية ممنهجة.

مؤسسات و مراكز بحث و نشرات:

كان الهدف الرئيس من زج مئات آلاف الفلسطينيين في المعتقلات على مدى سنوات التجربة، عزل أعضاء وكوادر ومؤيدي الفصائل عن المجتمع، للحد من تأثيرهم على الآخرين، إلا ان المعتقلين لم يعدموا وسائل الاتصال بشعبهم، من خلال الزيارة والرسالة والبيان والمقال والقصيدة واللوحة الفنية، وأحياناً عن طريق نشرة كاملة كانت تعد في المعتقل وترسل إلى المؤسسات المعنية لنشرها. وكان المعتقلون يعتقدون "وفي المقدمة ذوي الأحكام الطويلة"، ان أبواب الاعتقال، سوف لن تبقى موصدةً عليهم إلى ما لا نهاية. ولابد ان تتمكن فصائلهم من ابداع وسائل، تؤمن تحررهم، كاحتجاز جنود إسرائيليين، من أجل مبادلتهم بمعتقلين فلسطينيين وعرب، وهذا حدث فعلاً في حالات معينة، وإنْ لم تحلْ هذه الوسائل المشكلة بشكل كامل، بسبب اتساع نطاق عمليات الاعتقال من مرحلة إلى أخرى، وصعوبة أسر جنود إسرائيليين، نظراً لتعقيدات المسألة في المناطق الفلسطينية، في ظل القدرات الاستخباراتية والعسكرية الإسرائيلية الكبيرة ومحدودية الحركة والمناورة فلسطينياً، خصوصا وان ساحات التواجد العسكري الفلسطيني في الخارج التي كانت توفر في السابق إمكانات أسر جنود إسرائيليين، قد أُغلقت بالكامل.

ومع ذلك عاش المعتقلون بالأمل واستمدوا منه الصبر والقدرة على التحمل، ولولا هذا الأمل لما استطاعوا الصمود وتنظيم صفوفهم وخوض سلسلة من الاضرابات فاجأت إدارة السجون وأربكتها. ولولا الأمل لما أسسوا (مدرسة تعليمية ذاتية)، جمعت بين التعليم الشعبي والتعليم الأكاديمي.*

شهدت المعتقلات مئات الأمثلة على معتقلين حكموا بالسجن المؤبد، وبدأوا يعدون أنفسهم منذ اليوم الأول للتحرر، حيث أخذوا يسابقون الزمن في التعلم وتثقيف أنفسهم، لكي لا تدهمهم عملية تحرر وبشكل فجائي، دون التزود بما يكفي من علم وثقافة، وقد حول الأمل المعتقلات إلى خلايا تعكف جميعها على التعلم والتعليم، فالكل يعيش التجربة، والكل يتعامل بروح المتعلمين وبروح المعلمين، فمن يتعلم اليوم يُعلِّم الآخرين في الغد وهكذا...(17).

* ينطبق على التعليم في المعتقلات توصيف التعليم الشعبي، من خلال الجهود التي بذلت و ما زالت نحو الامية و تأهيل من يحتاج الى تأهيل، و تعميم التعليم و التثقيف، حيث يتعايش التعليم الشعبي, الذي يعتمد المبادرة و الجماعية، مع تعليم اكاديمي للمتقدمين، لاسيما الذين اوشكت فترات محكومياتهم على الانتهاء، و يستعدون للالتحاق بالجامعات، أو البعض ممن التحقوا بالجامعات بعد السماح بذلك للحصول على درجات اكاديمية بصرف النظر عن قلة عددهم.

وفي هذا الإطار نستطيع تحديد تجربة تعلم اللغة العبرية وتبلور حركة الترجمة، وأوسع من الإطار ذاته يمكن فهم البعد النضالي والاستراتيجي لعملية الترجمة عن العبرية، حيث تجلى ذلك وعلى أفضل وجه خارج تجربة الاعتقال. اللافت هنا، ان المُحررين الذين اكتسبوا التأهيل والقدرة على ممارسة الترجمة. كان همهم في البداية العمل في هذا المجال، لإعالة أنفسهم وللإفادة من خبراتهم.

أكد القسم الأكبر ممن قابلهم الباحث، أنهم مارسوا الترجمة، أما في صحيفة أو مجلة أو مكتب صحفي، إلا ان المسألة تطورت بعد ان اندمج المحررون في المجتمع، وردموا ثغرة الانقطاع القسري عنه، وفحصوا قدراتهم في ميدان التجربة الجديدة. فمن الترجمة في مكتب صحفي كما في حالة المُحرَر عماد النتشة إلى مدير الارتباط المدني في محافظة بيت لحم، وبالرغم ان النتشة أمضى عشر سنوات في الاعتقال وعرف بشغفه للتعلم، لكن لو لم يكتسب مهارة اللغة العبرية والترجمة الفورية حينذاك، لما تسنى له الاضطلاع بهذه المهمة، ليكون مثابة المنسق المتابع لشؤون محافظة كاملة.

ونحن بصدد الحديث عن المترجمين الذين تخرجوا من (مدرسة الاعتقال) وكيف أبدعوا في الخارج، وتركوا بصمات واضحة، من الطبيعي ان نتوقف عند تجربة عطا القيمري. بدأت قصة القميري مع الترجمة في الخارج، عندما عمل موظفاً، ثم أكمل تحصيله الأكاديمي في جامعة بيرزيت، وتخصص في الأدب الإنجليزي، ثم واصل تحصيله الأكاديمي للحصول على درجة الماجستير في الجامعة العبرية. يؤكد القميري ان الدراسة الأكاديمية كانت مهمة للتأطير وتطوير المعلومات والتسلح بالأدوات المنهجية الأكاديمية، وهذه الأدوات لابد وان تعكس نفسها إيجاباً في عملية الترجمة. (18)

سَعي القميري وإصراره على التحصيل الأكاديمي في الخارج، يرتبط بالرغبة في تطوير القدرات، وهذا ظهر واضحاً بعد ان تحمل مسؤولية نشرة المصدر منذ عشر سنوات، لتغدو هذه النشرة معتمدة لدى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية والأحزاب السياسية و الصحف والمجلات، إضافة إلى الاشتراكات العربية الواسعة فيها، لكن ما هو سر

نجاح هذه التجربة ؟

نحاول الإجابة عن هذا السؤال بالاستعانة برأيين – الأول للمسؤول عن النشرة، عطا القميري نفسه.

والثاني للمشترك تيسير الزبِّري، مدير مؤسسة الدفاع عن الحريات.

يرجع القميري نجاح نشرته لمنهجيتها في تناول القضايا التي تخضع للترجمة، فإلى جانب ما يُترجم عن الصحف العبرية، هناك اهتمام بما يصدر عن مراكز البحوث الإسرائيلية وعن مؤسسات سياسية رسمية من مواضيع ذات بعد استراتيجي، وكذلك اهتمام بالاقتصاد والحراك الاجتماعي والتفاعلات الثقافية. كما تهتم النشرة بإبراز التطورات على صعيد عسكري من حيث القدرات والتصنيع، وتأثير ذلك على الفلسطينيين والعرب، ان المشترك يجد في النشرة ما يريد، حيث تحاول تلبية الاحتياجات وأيضاً تخصصات واهتمامات المشتركين.

ونشرة المصدر يستطيع المشتركون الوصول إليها عبر موقعها على شبكة الانترنت، وباتت تستعمل كمرجع لدى الباحثين. إنها نشرة مهنية مبوبة، لغتها العربية سهلة، لكنها سليمة وفصيحة، تطرح المعطيات وتقدمها بموضوعية، تقدم إسرائيل كما هي، بكل مكامن قوتها وضعفها، وبكل ما يعصف بها من تناقضات، ومن انسجام على القضايا الاستراتيجية.

تقول النشرة للمحليين والباحثين في فلسطين والعالم العربي، هذه هي إسرائيل "فشمروا عن سواعد أقلامكم" وابحثوا واستخلصوا، مثلما لا تترك مراكز البحوث الإسرائيلية "لا شاردة ولا واردة" على الساحتين الفلسطينية والعربية، دون إخضاعها للتشخيص و التحليل و النقد، و تبيان تأثير ذلك، سواء من قريب أو من بعيد على إسرائيل.(19)

ومقابل ما طرحه القيمري، وكي نتأكد إذا ما جاء في إطار موضوعي، كان لابد من أخذ رأي آخر كمثال على كيف يتعامل المشتركون مع "نشرة المصدر". يقول تيسير الزِّبري: "نحن في مؤسستنا نعتبر ان قراءَة هذه النشرة بما تحمله من أخبار وتحليلات وتعليقات، وبما تتضمنه من معطيات يومية، مأخوذة بشكل مدروس عن الصحف والمجلات ومراكز البحوث الإسرائيلية، نعتبر ذلك إنجازاً كبيراً، ان المصدر تدخل في برنامجنا اليومي، فلا نستطيع

على هذه البقعة الملتهبة من الأرض، في ظل الصراع الذي تشهده، ان نغفل ما يدور هناك على الساحة الأخرى، ودون ذلك تظل رؤيتنا منقوصة". ويضيف الزبّري: " من اجل ان نخطط ونتخذ خطوات صحيحة على جميع المستويات السياسية والنضالية والاجتماعية والاقتصادية والحقوقية، من المفروض ان نمحص جيداً وجيداً فيما يتفاعل على الساحة الإسرائيلية، وهذا ليس ترفاً وإنما ضرورة ".(20)

ولان المجال سيتسع ويتشعب كثيراً إذا ما أخذنا كل مظاهر اللغة العبرية والترجمة التي حملها المعتقلون من وراء القضبان، وجسدوها في قوالب جديدة في الخارج، سنحاول تناول المظاهر الأبرز كأمثلة ونماذج على ما أفضت إليه التجربة. ومن بين هذه النماذج، تجربة المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار" في رام الله. ومعروف ان هذا المركز لم يبادر إلى تأسيسه معتقلون سابقون، وإنْ كانت المبادرة جاءَت من قبل سياسيين وقياديين ومثقفين كان لهم نشاطهم ودورهم ومازال. لكن ما يهمنا في التجربة، الدور الذي يضطلع به وتحديداً في الترجمة من تعلموا وتخرجوا من (مدرسة الاعتقال) وسنأخذ سعيد عياش كمثال. أمضى عياش عشر سنوات في الاعتقال، وكان محكوماً بالسجن المؤبد، وتحرر في عملية تبادل الأسرى في العام 85، عمل مترجماً في صحيفة الميثاق، ومن ثم في صحيفة "جيشر" التي كان يصدرها زياد أبو زياد باللغة العبرية، وبعد ذلك في مكتب القدس للصحافة والإعلام، وفي وكالة " قدس برس ".

وعياش هو المترجم الرئيس منذ العام 2001 في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، وقد ترجم خلال عمله مئات المقالات والبحوث والكتب، وآخر ما ترجم كتاب "المتدينون الجدد" وصدر في 434 صفحة من القطع المتوسط، و "مداخلات يمينية في نقد الانتقاديين، عن فوبيا العرب".

لاحظ الباحث ان ترجمة عياش للكتابين المذكورين، هي ترجمة إبداعية، فقد نقل المادة من العبرية إلى العربية، بأسلوب أعطاها روحاً ونفسّاً، أبعدها عن الترجمة الحرفية، التي تقتل حيوية النص الأصلي(21). يقول عياش: "تعلمت اللغة العبرية في معتقل الرملة ما بين عامي 76–80، وكان معلمي غسان كمال، الذي علّم آخرين غيري مثل عطا

القميري ومروان بزبز، وكان كمال اعتقل وهو يتقن العبرية، وعندما تحرر أسس مركزاً في عمان باسم الجليل للدراسات. كما مارس عملية تعليم اللغة العبرية في الأردن "(22). وبعد ان تعلم عياش العبرية في المعتقل قام بتعليمها للآخرين، ثم عمل في الترجمة وشارك في ترجمة سلسلة الصراع العربي– الإسرائيلي، لـ " يهود شفاط هركابي"، مدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. تناول هذا العمل جميع قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية. والسؤال، هل اكتفى عياش بما حصلَّه في المعتقل، وما اكتسبه من تجربة في حياته العملية بعد التحرر ؟. يجيب هو بنفسه: "اعترف ان التجربة العملية هي الأساس، ولدينا زملاء من المعتقلين السابقين مكنتهم تجربتهم من العمل بعد تحررهم في مؤسسات صحفية معروفة، مثل حلمي غبن– المترجم المعتمد في جريدة السفير اللبنانية، ونواف الزرو، المترجم المعتمد في صحيفة الرأي الأردنية، لكنني قررت بعد بضع سنوات من العمل المهني، تطوير امكاناتي في الترجمة عن طريق الالتحاق بكلية بيت بيرل بين عامي 2000–2002 وحصلت على شهادة دبلوم بتقدير امتياز". (23)

وفي الكلية المذكورة، استغرب المعلمون المستوى المتقدم لترجمته، وكان استغرابهم أكبر عندما عرفوا أن (مدرسته الأولى والأساسية) هي المعتقل. تقدم عياش ببحث مشروع تخرج بعنوان "الترجمة بين النظرية والممارسة"، بيَّن فيه العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة، مؤكداً ان التجربة العملية وحدها لا تكفي، دون أساس نظري ينطلق منه المترجم، ويعتمد على خلفية ثقافية متعددة الأبعاد، إضافة إلى الخلفية اللغوية في اللغات المعنية في عملية الترجمة، من حيث، المفردات، المصطلحات، المعاني المباشرة، الدلالات الإيقاعية والإيحائية للكلمة، النظري يؤطر الترجمة ويمنهجها وينسق ويهذب مادتها، والعملي يغني النظري ويجسده شكلاً ومضموناً في جسم وروح النص المترجم.

ومن الأمثلة التي رأى الباحث أهمية للتطرق إليها، تجربة عدنان الضميري وصالح أبو لبن، في تأسيس دائرة الشؤون الإسرائيلية في جهاز الأمن الوقائي، وكانت المبادرة من عاملين في الجهاز، هم في الأصل من ذوي التجربة الاعتقالية، ومن الذين تعلموا اللغة العبرية وتميزوا في الترجمة. وليس غريباً ان يوافق رئيس الجهاز في ذلك الحين جبريل الرجوب على المبادرة المذكورة، فهو قد تخرج من (مدرسة الاعتقال)، وتعلم العبرية ومارس الترجمة هناك،

وكان معروفاً باهتمامه بالشؤون الإسرائيلية كما تبيَّن معنا في موقع آخر من البحث.

أما الخطوط العريضة لعمل هذه الدائرة فهي:

1- تقارير يومية عن الصحف والمجتمع الإسرائيلي.

2- ترجمة كتب، مثل كتاب يعقوب بيري، رئيس " الشاباك " السابق، بعنوان "القادم لقتلك ".

3- عمل دراسات متخصصة، مثل تلك الدراسة التي أنجزت في العام 1999، حول الانتخابات في إسرائيل، ظروفها، جماهيرية الأحزاب المشاركة، التوقعات.

4- مواكبة التطورات في المجتمع الإسرائيلي وتحليلها وتبيان تأثيرها على السلطة والمجتمع الفلسطيني، وطرح تصور معين لكيفية التعامل معها.(24)

ومن تجربة غنية إلى أخرى، تطل علينا تجربة عبد الحميد البابا، الذي برز اهتمامه بالشؤون الإسرائيلية منذ كان معتقلاً في معتقلي رام الله والخليل في عامي 85-86، وأصدر دراسة حينذاك حول الأحزاب الإسرائيلية، مستفيداً من بعض المراجع باللغة العبرية. ولأهمية هذه الدراسة تم تعميمها على المعتقلين في مواقع الاعتقال كافة. ولمّا تحرر واصل اهتمامه بهذا الشأن، وظل كذلك بعد إبعاده من قبل الاحتلال إلى الخارج، حيث عمل في المجال البحثي والأمني في منظمة التحرير وأنتج عدداً من الدراسات التي تناولت أوجهاً مختلفة للمجتمع الإسرائيلي. أنجز البابا في العام 1992 كتاباً خصصه للشخصيات الإسرائيلية، وصدر في العام 1994 (25)، وعندما عاد إلى الوطن استمر في متابعة تطورات المجتمع الإسرائيلي، ليلتحق بجامعة القدس تخصص الدراسات الإسرائيلية.

ان التجارب التي تناولناها تؤكد إلى أي مدى اتسمت التجربة بالاستمرارية والمواظبة والإصرار والتطور في الخارج، وفي أي إطار تم توظيف وتوجيه هذه الترجمة، بل و كيف طوّر المترجمون أدواتهم ليس اللغوية فحسب، وإنما التحليلية، حتى غدا الواحد منهم متخصصاً قادراً على قراءَة التطورات وتحليلها، إلى ان نجح بعضهم في الانتقال إلى مرحلة أكثر تطوراً، تمثلت في ممارسة العمل البحثي، باتساعه ومنهجيته وأدواته المختلفة. وللإحاطة

بالتجربة من جميع جوانبها، كان من الضروري، ان لا نحصرها في الترجمة الكتابية، مادامت قد تفرعت إلى مجالات أخرى كالتلفزيون مثلاً. وعندما نقول التلفزيون، فإن ناصر اللحام وبرنامجه اليومي في تلفزيون بيت لحم يشكل لنا المثال الأوضح.

أمضى اللحام ست سنوات في الاعتقال، حيث تعلم اللغة العبرية في تلك الأثناء، وبعد تحرره التحق بجامعة بيت لحم وحصل على بكالوريوس علم نفس – علم اجتماع، ثم شهادة ترجمة قانونية للغة العبرية. لكن اللحام وهو يستعد لنيل شهادة دكتوراه في اللاهوت يؤكد ان جامعات العالم وأكاديمياتها لم تقدم له ما يوازي تحصيله من تجربة الاعتقال، وان إقباله على التعلم في الغرف الاعتقالية الباردة شكل له الأساس.(26)

تحرر اللحام من الاعتقال في الانتفاضة الأولى وعمل إلى جانب دراسته الأكاديمية في الترجمة مدة ثلاث سنوات، وعندما تخرج من الجامعة، عمل رئيساً لقسم اللغة العبرية في هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، ثم خبيراً في الشؤون الإسرائيلية في نفس الهيئة، وانتقل أخيراً ليعمل رئيس تحرير تلفزيون بيت لحم.

خاض اللحام تجربة البرنامج المترجم عن العبري في انتفاضة الأقصى والاستقلال، وبسبب حاجة الفلسطينيين والعرب لمثل هذا البرنامج، تم تعميمه من خلال الانترنت في شهر أيلول من العام 2003 على عنوان:www.bethlehem-tv.com

ويفيد مدير عام تلفزيون بيت لحم رائد عثمان "ان مفاجأة الإدارة كانت كبيرة حينما علمت ان مئة ألف مشترك دخلوا إلى الموقع لمشاهدة البرنامج في شهر تشرين الاول من العام 2003، وهم من الطلبة والجاليات العربية في دول العالم. كما ان عدد الرسائل التي وصلت الموقع بلغت خمسين ألف رسالة في ثلاثة شهور فقط وهذه سابقة في الإعلام الفلسطيني".(27)

انبثقت فكرة البرنامج، على خلفية وقوع عمليات فدائية، حيث أصبح التلفاز العبري ينقل الحدث مباشرة، فأخذ اللحام يترجم مباشرة ما يبث باللغة العبرية. كانت الترجمة تضع مشاهد تلفاز بيت لحم في صورة ما يجري ميدانياً، إذْ ألّح

المشاهدون من خلال اتصالاتهم الهاتفية ورسائلهم لانتاج برنامج يومي يخصص للترجمة عن وسائل الإعلام الإسرائيلية، المكتوبة والمسموعة والمرئية، وهكذا ولد البرنامج.

لفت البرنامج انتباه العديد من المراقبين، وقامت محطات عالمية بعمل تقارير وريبورتاجات حوله، مثل محطات التلفزة: السويسرية والإسرائيلية وبعض الفضائيات العربية، وبلغ عدد البرامج العالمية التي تناولت هذا البرنامج ثلاثة عشر برنامجا بين مرئي ومسموع. (28)

وبعد، فان النماذج التي أتينا بها تؤكد ان خريجي (مدرسة الاعتقال) شكلوا حالة متقدمة على صعيد اللغة العبرية والترجمة عنها. وان هؤلاء قدموا للمجتمع الفلسطيني،وأحياناً على مستوى أوسع "أي عربياً" خدمات حساسة ومهمة، بإعطاء صورة عن المجتمع الإسرائيلي بتفاعلاته و تناقضاته، والآراء الحزبية والسياسية والدينية التي تبرزها كل يوم وسائل الإعلام الإسرائيلي، الأمر الذي أزال الكثير من الغموض. وأنه صار بمقدور المواطن العادي الإطلاع على المعلومات المتعلقة بالمجتمع الإسرائيلي، مجرد اشتراكه في نشره أو متابعته برنامج، ولم تعد المعلومات مقتصرة على الأكاديميين والسياسين.

هوامش الفصل الخامس:

1. خالده جرار ،مقابلة، رام الله: 2004/3/23.
2. جدعون ليفي، "الاعتقال الإداري وصمة عار لإسرائيل فمتى نتخلص منه"، **صوت الأسير**، عدد4، 1998.
3. هاس عميره ، " هل السجناء الفلسطينيون مجرد بحث ميداني "، **الايام**:1997/1/17, عدد 385.
4. خالدة جرار، مقابلة، مرجع سابق.
5. المرجع السابق.

6. ليفي جدعون ، "صمت الأطباء"، **هآرتس**، 9 آب 1998.

7. يرون ميخائيلي ، "عشر سنوات بعد أنصار" ، **يديعوت احرنوت** 1998/6/12.

8. ليلى كليلي ، "الدسك الإسرائيلي في طولكرم"، **هآرتس** 94/3/18.

9. عدنان الضميري، مقابلة، مرجع سابق.

10. جدعون ليفي، (هذا الشيء الذي يدعى ابعاد)، **هآرتس(الملحق)**، 1992/1/10.

11. عمر عساف، مقابلة، رام الله: 2003/7/2.

12. خالده جرار، مقابلة، مرجع سابق.

13. علي الخليلي واخرون، **الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال**، القدس: المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة(بانوراما)، 1992، ص1-5.

14. المرجع السابق، ص9-17.

15. محمد أبو لبدة، مقابلة، القدس: 2004/2/1.

16. المرجع السابق.

17. ناصر اللحام، مقابلة، مرجع سابق.

18. عطا القميري، مقابلة، مرجع سابق.

19. المرجع السابق.

20. تيسير الزِّبري، مقابلة، رام الله: 2004/2/5.

21. يائير شيلغ، **المتدينون الجدد**،" ترجمة سعيد عياش". يوءاب غيلبر، **مداخلات يمينية في نقد الانتقاديين عن فوبيا العرب**، "ترجمة سعيد عياش"، رام الله: كلا الكتابين صدرا عن المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية(مدار)، الاول صدر في العام 2002، والثاني صدر في العام 2004.

22. سعيد عياش، مقابلة، مرجع سابق .

23. المرجع السابق.

24. عدنان الضميري، صالح أبو لبن، مقابلتان، مرجعان سابقان.

25. عبد الحميد البابا، **شخصيات إسرائيلية**، رام الله: بلا دار نشر،1995.

26. ناصر اللحام، مقابلة، مرجع سابق.

27. رائد عثمان، مقابلة، بيت لحم: 2004/1/16.

28. ناصر اللحام، مقابلة، مرجع سابق.

الفصل السادس

المتابعة الدؤوبة للصحف العبرية:- بين الفوائد الكبيرة و بين الوقوع في فخ التوجهات الاسرائيلية.

تقاس الامور بنسبيتها، لذا فان اطلاق الاحكام النهائية دون اللجوء الى وسائل قياس علمية، توضح النسب والفروقات، وتجيب عن الاسئلة والفرضيات، اما بالتاكيد او النفي، يقود الى مغالطات، ويدخل العمل البحثي في متاهات حقيقية. لقد فتحت الصحف العبرية بابا واسعا للاطلاع على الاوضاع والتفاعلات في المجتمع الاسرائيلي، الا ان المسألة لم تسر هكذا وبسلاسة متناهية ودون جراح جانبية. فللعملية هنا وجهان مختلفان، الايجابي والسلبي.

لكن هل الفوائد التي حققها المتابعون في هذه الصحف هي اكبر من الخسائر التي لحقت بهم؟، وهل الثغرة التي فتحوها في الجدار كانت اكثر قيمة واهمية من تاثير هذه الصحف عليهم؟، والى اي مستوى جعلت الصحف العبرية البعض يتخلون عن مواقف سياسية امنوا بها ودافعوا عنها قبل ان يدمنوا الصحف العبرية.

من القضايا شديدة الحساسية في المجتمع الفلسطيني، اطلاق الاحكام والنعوت على افراد ومجموعات، بخصوص التأثر بالمواقف الاسرائيلية والانسياق خلفها، بصرف النظر عن ماهية هذه المواقف. ففي ذلك ونظرا لطبيعة الصراع المستعر على الارض ما يرادف الانبهار بعقلية الاحتلال، بما لذلك من انعكاسات وتبعيات واستحقاقات خطرة. واعتمادا على ما ذكرنا، فان اي استبيان يسعى لقياس هذه القضية سوف لا ينجح في تحقيق الهدف المرجو، اذا حمل اسئلة مباشرة تستفز الحالة المستطلعة أو التي هي قيد الدرس. وامام حساسية الموقف اثرنا اختيار اسئلة افترضنا انها تلامس القضية دون أن تولد ردود افعال عكسية أو سلبية، او أن تجعل المستطلع يجيب بحذر أو يتجنب ذكر الحقيقة.

الفئة المستهدفة

ما يهدف اليه هذا الفصل ضمن هذه الدراسة هو قياس مدى تاثير الصحف العبرية على المعتقلين الذين اتقنوا اللغة العبرية، وواظبوا على متابعتها، ومارسوا بشكل أو باخر الترجمة داخل الاعتقال، ثم كان لهم اهتمامات في الخارج بالصحف العبرية وما تنشره، من مواقعهم المهنية او الوظيفية او السياسية. ومن الطبيعي فاننا لا نستطيع دراسة كل ذوي التجربة الذين يضطلعون الان بمواقع مهمة في الخارج، وفحص مدى التأثير عليهم واحدا واحدا، لذا كان لابد من استهداف فئة معينة لها علاقة وثيقة باللغة والصحافة العبرية والترجمة في الاعتقال وما بعد ذلك.

وللمساعدة في تحديد هذه الفئة تطلب الامر اللجوء الى مؤسسة ذات اختصاص، لها معرفة بذوي التجربة في هذا المجال وتتابعهم وتتعامل مع نتاجاتهم، حيث تمت الاستعانه بمركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة التابع لجامعة القدس، والحصول على قائمة من مئتي محرر عرفوا باهتمامهم بالصحف العبرية قراءة وترجمة في الاعتقال

وبعد التحرر، يتوزعون ما بين الضفة والقطاع*. وراعت القائمة:1.اتقان اللغة العبرية اتقانا تاما.2.ممارسة الترجمة عن العبرية في حياة الاعتقال.3.الاستمرار في متابعة الصحف العبرية والشأن الاسرائيلي بعد التحرر. 4. كما راعى مركز ابو جهاد ومن خلال قائمته اختيار اولئك الذين عملوا في مواقع متخصصة في الخارج تحتاج الى اللغة العبرية، او في مراكز تعنى بالشؤون الاسرائيلية.

وحددنا من قائمة مركز ابو جهاد ثمانين محررا كعينة دراسة، حيث تم كتابة اوراق بالاسماء جميعها، واختيار ثمانين منها عن طريق السحب عشوائيا، ويمثل الثمانون مستطلعا 40%من مجتمع الدراسة، حيث تم الوصول اليهم بطريقتين: اما بشكل مباشر للذين تسنى للباحث مقابلتهم. او عن طريق الفاكس للمستطلعين من قطاع غزة او من المناطق التي كان من الصعب الوصول اليها.

اللغة و الصحف العبرية
قبل الاعتقال وبعده

هدف الاستبيان قياس الى اي مدى اسهمت ظروف الاعتقال في تحفيز المعتقلين على تعلم اللغة العبرية وبالتالي متابعة الصحف. وبيّنت النتيجه ان نسبة المعتقلين الذين كانوا يعرفون اللغة العبرية قراءة وكتابة بغض النظر عن المستوى قبل الاعتقال كانت محدودة، ولا تتجاوز ال10%، مقابل85% لصالح اللغة الانجليزية، و5% لغات اخرى، كما يتضح في (الجدول رقم1)، بمعنى ان اللغة العبرية لم تكن ذات اولوية قبل الاعتقال، وان اللغة الثانية بعد العربية هي الانجليزية، لانها تدرس في المدارس، من منطلق انها لغة عالمية مهمة. وفيما يتعلق بالنتائج التي ارتبطت بالعينة فان تعلم اللغة العبرية خلال الاعتقال قفز من10% الى100%. ومما جاء في النتيجة ايضا، ان25% من المستطلعين تعلموا اللغة العبرية في السنة الاولى من اعتقالهم و25% في السنة الثانية، اما النسبة في

* تجدر الاشارة الى ان جميع المحررين بلا استثناء قد تعاملوا بشكل مباشر او غير مباشر مع الصحف العبرية، اي بقراءتها ومتابعتها باللغة الاصلية، او بالاستفادة مما كان يترجم ويعمم على المعتقلين من قبل لجان الترجمة. لذا فان القائمة التي حصلنا عليها من مركز ابو جهاد، لاتعني ان من اتقنوا اللغة االعبرية وتابعوا الصحف مباشره يقتصرون على مئتين، لان العدد اكبر من ذلك بكثير، لكن المقصود هنا من تميزوا وعملوا بعد تحررهم في مواقع تتطلب اتقان اللغة ومتابعة الصحف العبرية

السنة الثالثة فقد بلغت15%، لكنها ارتفعت ما بعد السنة الثالثة الى35%. يدلل هذا على ان اهتمام المعتقلين باللغة كان يتم بشكل اوسع واكثر تركيزا بعد الثلاث سنوات الاولى من الاعتقال، اي بعد ان تترسخ لدى المعتقل المفاهيم ويدرس ادبيات فصيله ويطالع بعض الكتب الثقافية كما يتضح في الرسم رقم(2)، علما بان النتائج اكدت بان المبادرة الذاتية مثلت الاساس في تعلم اللغة العبرية، اذ ان75% من الذين تمت دراستهم توجهوا الى تعلم اللغة العبرية برغبة شخصية، اما 25% منهم فقد تعلموها بتكليف من فصائلهم.

	العدد	النسبة
اللغة الانجليزية	**68**	**%85**
اللغة العبرية	**8**	**%10**
غير ذلك	**4**	**%5**
المجموع	**80**	**%100**

جدول رقم(1): عدد ونسبة المعتقلين الفلسطينيين الذين كانوا يجيدون اللغتين الانجليزية والعبرية قبل اعتقالهم.

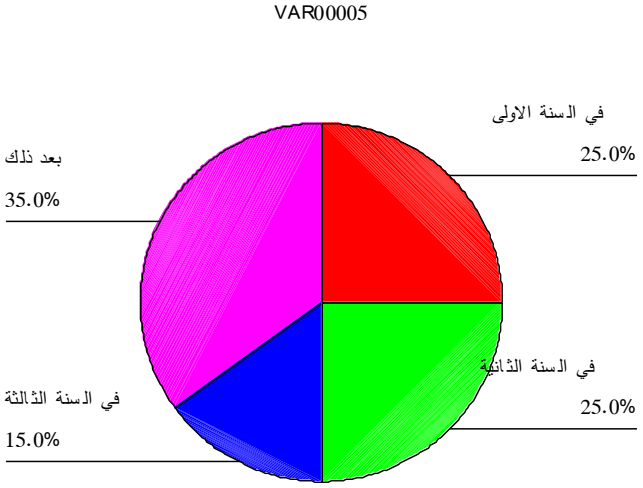

رسم رقم(2): بيّن نسب تعلم اللغة العبرية خلال سنوات الاعتقال.

الصحف العبرية ليست

هدية من ادارة السجون

هل ادخال الصحف العبرية الى المعتقلات جاء في اطار خطة من ادارة السجون للتأثير على مواقف

المعتقلين ومفاهيمهم؟. هذا السؤال المهم، من الاسئلة التي تواجه الباحث في علاقة المعتقلين الفلسطينيين بالصحف العبرية. وكنا تعرضنا له بشكل او باخر، في سياق البحث، حيث اكد بعض من قابلناهم، ان ادخال الصحف العبرية الى المعتقلات، جاء بفعل نضال، وليس كرما من ادارة السجون. لكن ذلك التشخيص ورد بعمومية، اذ لا يمكن القياس عليه، او حسمه، الا اذا اخضعنا القضية الى الدراسة العلمية. من هنا خصصنا سؤالا محددا في الاستبيان للوقوف على حقيقة الامر. وكانت النتيجة 60% من المستطلعين اجابوا عن السؤال بـ"لا"، اي ان ادخال الصحف، لم يأت في اطار خطة من ادارة السجون، ما يعني ان النضال هو الذي حسم ايجابا هذا المطلب، اما40% من العينة التي اخضعت للدراسة فقد اجابوا بـ"نعم"، معتقدين ان ادارة السجون ادخلت الصحف العبرية، بهدف التأثير، (الجدول رقم 3 يوضح). ومع ان النسبة الاكبر نفت وجود خطة مسبقة من الادارة على هذا الصعيد، الا اننا لا نستطيع اغفال نسبة الاربعين في المئة من الذين اكدوا بان السماح بادخال الصحف العبرية الى المعتقلات، لم يكن بريئا وانما تم في اطار خطة مدروسة.

	العدد	النسبة
نعم	32	%40
لا	48	%60
المجموع	80	%100

جدول رقم(3): يوضح التناسب ما بين الذين يعتقدون ان الصحف العبرية قد تم ادخالها الى المعتقلات بفضل نضالات المعتقلين وبين الذين راوا في ان هذه الصحف سمح بها وفق خطة من قبل ادارة السجون،حيث اكد 60% من المستطلعين ان النضال هو وراء هذا الانجاز

وبعد ادخال الصحف للمعتقلات، اصبحت قناة اخبارية ومعلوماتية. ورأى 80% من المستطلعين انه كان من الصعب عليهم الاستغناء عن الصحف العبرية، مقابل 20% رأوا عكس ذلك. وبالنسبة الى الصحيفة المفضلة جاءت" يديعوت احرنوت" في المرتبة الاولى وبنسبة55%، تلتها"هارتس"35%، "معاريف"5%، بينما كان5% من المعتقلين يفضلون " هعولام هزه"*. ولاهمية دور الصحيفة العبرية في حياة المعتقلين اخباريا وتحليليا، فان غيابها ليوم

* "هعولام هزه" كانت اسبوعية في حين كانت باقي الصحف المذكورة صحفا يومية.

او اكثر كان يجعل المعتقل المهتم بمتابعتها يشعر بفقدان شيء مهم، حيث اكد ذلك 70% من المستطلعين، مقابل 30% لم يجدوا اهمية في غيابها مدة يوم او يومين.

صحف اكثر تطورا من الصحف الفلسطينية

اللافت للانتباه ان90% من المستطلعين رأوا ان الصحف العبرية اكثر تطورا من الفلسطينية، اما10% فقد قالوا انها لا تتفوق على الصحف الفلسطينية. والنتيجة هذه ربما لاتفاجيء من له اطلاع على التجربتين الصحفيتيين الاسرائيلية والفلسطينية. الا ان المقارنة بقدر ما جاءت ضرورية في الاستبيان لخدمة وتدعيم اسئلة اخرى، فانها بشكل مجرد ومنفصل تبدو ظالمة، لاننا نتحدث عن صحافة توافرت لها كل مقومات النجاح من مال وتقنيات وهامش حرية مقابل صحافة كبلتها واعاقتها رقابة الاحتلال واجراءاته، حيث كانت الصحيفة الفلسطينية التي تخرج على الاطار المحدد لها من الرقابة العسكرية تغلق كما حصل مع صحف ومجلات "الميثاق"، "العهد"، "الشراع"، "الدرب"...الخ. ان تفضيل الصحيفة العبرية في المجال الاخباري والمعلوماتي والتحليلي، جعل95% من المستطلعين يسعون للحصول منها على معلومات ومعطيات تتعلق بالقضية الفلسطينية. وما يدعو الى التوقف ان30% من المستطلعين كانوا يثقون بمصداقية الصحف العبرية، مقابل30% لا يثقون، اما40% فقد تارجحوا ما بين الثقة وعدم الثقة(لاحظ الجدول رقم 4)، ويبدو ان من وثقوا بمعلومات هذه الصحف، انطلقوا من مستواها المهني.

	العدد	النسبة
نعم	24	%30
لا	24	%30
الى حد ما	32	%40
المجموع	80	%100

جدول رقم(4): يوضح نسبة الذين يثقون بمصداقية الصحف العبرية، مقابل الذين لا يثقون وهي متساوية.

اما القضية الاخرى التي تحتاج الى تحليل، فان 85% من المستطلعين يقرون بان الصحف العبرية لها مواقف عدائية مسبقة من الفلسطينيين، والمقصود مواقف تنطلق من ايدلوجية معادية، اما5% فينفون ان يكون لهذه الصحف مواقف مسبقة، في حين اجاب10% من المستطلعين بـ"الى حد ما" (لاحظ الشكل التوضيحي رقم5). واذا كانت الصورة سوداوية الى هذه الدرجة، فما هو تفسير الاقبال الشديد على استقاء المعلومات من الصحف العبرية؟ الباحث لا يرى تناقضا في هذه القضية، بالاستناد الى ما جاء في مقابلات مع عدد من ذوي التجربة، الذين سبق وتم الاستشهاد ببعض ارائهم لدى الحديث عن حركة الترجمة في المعتقلات، حينما اشاروا ان المعلومات والمعطيات كانت تخضع للدراسة والتمحيص والغربلة، اضافة الى ان المقالات والتحليلات المترجمة، طالما تم تعميمها مع تعليق او نقد او نقض، اي ان ما يترجم لم يكن يؤخذ على علاته، لان المستوى المهني المتطور لهذه الصحف لايعني التسليم بكل ما ينشر فيها، ادراكا من المعتقلين ان الصحف العبرية لها رسالتها الخاصة بها، والمنبثقة من ايدولوجية، ومن مصالح وتوجهات اسرائيلية.

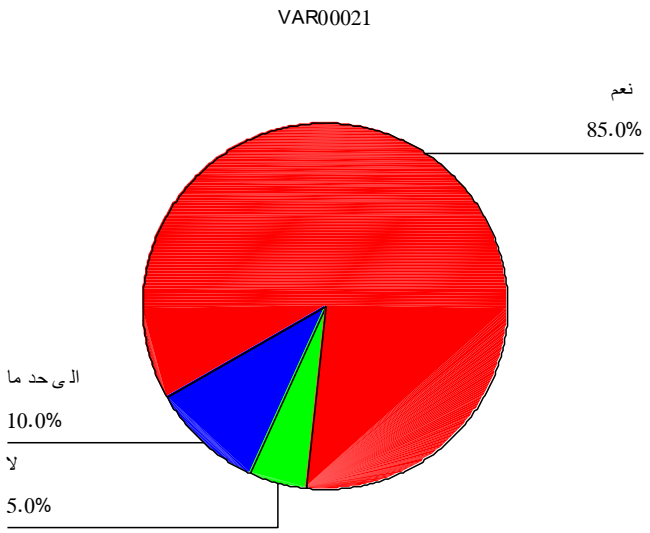

الرسم رقم(5): يبين ان 85% من المستطلعين يعتبرون ان الصحف العبرية لها مواقف عدائية مسبقة من الفلسطينيين.

الصحف واللغة العبرية

مكّون مهم في حياة المهتمين من المحررين

بات معروفا لنا اهمية الصحف العبرية في حياة المعتقلين، وكيف استطاعوا من خلالها كسر الحصار واختراق الطوق، والنفاذ الى الخارج لمعرفة ما يجري على الساحتين الفلسطينية والاسرائيلية، وكذلك التفاعل مع التطورات على الساحة العالمية. لكن مهمة الصحافة واللغة العبرية لم تنته مجرد انتهاء سنوات الاعتقال والتحرر، وانما انتقلت الى الخارج لتصبح احدى مكونات العمل لعدد لابأس به من المحررين، حيث ان بعض من تحرروا صارت الترجمة عن الصحف العبرية وسيلة عيش وحياة بالنسبة اليهم، وهذا ما لاحظناه مع حالات استشهدنا بها في الفصول السابقة.

واذا كانت الامور على هذا الصعيد قد اخذت طابعا عموميا في بعض مواقع البحث، فان دراستنا لعينة من المحررين، هدفت الى تحديد النسب بشكل دقيق، اي الى اي مدى كان التفاعل بين المحرر والصحيفة واللغة العبرية بعد التحرر، سياسيا وثقافيا وفي النظرة الى المجتمع الاسرائيلي بشكل عام، وفي تغيير قناعات معينة كانت ثابتة وراسخة ما قبل الاطلاع على الصحف ومتابعتها والتفاعل مع مضامينها وتكرار ذلك يوميا لفترة طويلة.

كان من الضروري بحثيا متابعة امتداد التجربة الى خارج الاعتقال، اعتقادا من الباحث، بان نسبة معينة من المحررين ظلت على تواصل مع الصحف العبرية، وظلت معنية بمتابعة الشأن الاسرائيلي، لاعتبارات سياسية ووظيفية، لاسيما وان بعض المحررين اضطلعوا بمهمات وظيفية في السلطة وخارجها على درجة عالية من الاهمية، بمعنى ان تسليط الضوء على نسب تأثرهم بالصحف العبرية من شأنه ان يسلط الضوء على قضية حساسه.

وحول نسبة المتابعة المستمرة للصحف العبرية، اوضح 35% من العينة المستطلعة بانهم استمروا في متابعتها بعد التحرر، في حين بيّن 60% انهم لم يتابعوا الصحف، اما 5% فان متابعتهم كانت متقطعه. وبالنظر الى نسبه 35% فانها نسبة مرتفعة، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار هموم الحياة وتعقيدات وصول الصحف الى الضفة الغربية، خصوصا في فتره الانتفاضة والاغلاقات وتقطيع اوصال المناطق، اما 60% من المستطلعين فقد اكتفوا بما حصلوه من هذه الصحف اخباريا ومعلوماتيا، وما شكلوه من اراء وتصورات خلال فترات اعتقالهم.

اما القضية اللافته الاخرى التي من الاهميه بمكان التوقف عندها وتحليلها، ان 75% من المستطلعين احتاجوا اللغة العبرية في عملهم، لان مواقعهم الوظيفية تطلبت معرفة باللغة العبرية (كما يتضح لنا في الجدول رقم6)، بيْد ان 40% من المستطلعين اجابوا بـ"نعم" عن سؤال هل اصبحت اللغة العبرية احدى المكونات الرئيسة لوظائفهم بعد تحررهم، اي ان معرفة المجتمع الاسرائيلي وتفاعلاته مثّل اشتراطا مهما لاشغالهم مواقع الوظيفية. (انظر الشكل التوضيحي 7)

	العدد	النسبة
نعم	60	%75
لا	20	%25
المجموع	80	%100

جدول رقم(6): يبين نسبة الذين اجابوا بـ"نعم" على سؤال احتياجهم اللغة العبرية بعد التحرر مقابل مقابل الذين لم يحتاجوا هذه اللغة في عملهم.

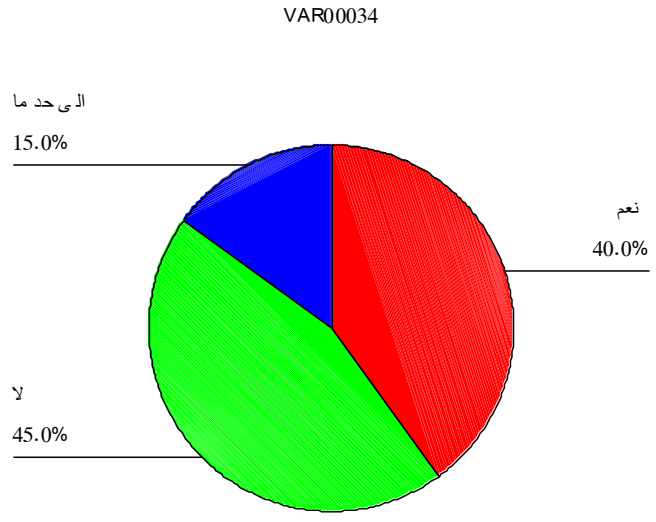

رسم رقم(7): يوضح نسبة الذين شكل اتقان اللغة العبرية اشتراطا لوظائفهم 40%، فيما ان 45% لم يكن ضرورة في وظائفهم لاتقان اللغة العبرية.

واذا قارنا بين نسبة متابعة قراءة الصحف العبرية بعد التحرر والتي مثلت 35% مع نسبة 40% من المستطلعين، الذين اصبحت اللغة العبرية احدى مكونات وظائفهم، لوجدنا ارتباطا كبيرا بين النسب! اولا من حيث تقاربها، وثانيا ان من عملوا في وظائف تشترط اللغة العبرية، لابد وانهم احتاجوا الصحف العبرية لاستقصاء معلومات منها حول قضايا تتعلق بالشؤون الاسرائيلية.

وحول سؤال اذا ما قام المحرر بتطوير لغته العبرية وفق اصول منهجية من خلال معهد كانت اجابه 30% من المستطلعين بـ"نعم"، اي انهم لم يكتفوا بما حصلوه لغويا في الاعتقال بل انهم سعوا الى تطوير ذلك عن طريق الدراسة الممنهجة، في حين اكتفى 70% بما وصلوا اليه في الاعتقال (كما يتضح في الجدول رقم8)، ونسبة ال30% يمكن ربطها مباشره بنسبة 35% الذين استمروا في متابعة قراءة الصحف في الاعتقال، و40% اصبحت اللغة العبرية اشتراطا مهما في عملعهم، وذلك لتقارب النسب وتداخل الاهتمامات والاحتياجات.

	العدد	النسبة
نعم	24	%30
لا	56	%70
المجموع	80	%100

جدول رقم(8): يوضح التناسب بين الذين طوروا قدراتهم في اللغة العبرية وبين الذين لم يطوروا، 30% مقابل70%.

تجليات تأثير الصحف العبرية

عندما التحق الفلسطينيون بفصائل العمل الوطني بعد العام 67، كانوا يرون في ذلك وسيلة للنضال ضد الاحتلال. وكانت معظم الفصائل تدعو الى اقامة دولة فلسطينية على كامل التراب الوطني. ومع مرور السنين وبروز تعقيدات في العملية النضالية، وانسجاما مع قرارات وتوجهات دولية، اخذت قناعات سياسية جديدة تأخذ طريقها الى رأس عدد من الفصائل الفلسطينية، لتتبنى تدريجيا شعار دولتين متجاورتين.

ومن الطبيعي ان يتأثر المعتقلون بالتغيرات التي طرأت على برامج وطروحات الفصائل، خصوصا وان المعتقلين القدامى بعد الاحتلال، والذين التحقوا بالعمل المسلح، عايشوا شعارات التحرير الكامل الشامل وتفاعلوا معها وآمنوا بها. ان التغيير في الوعي والشعار السياسي، والتخلي عن شعار لصالح اخر، لايمكن ان يتم بشكل تلقائي، بل انه يحتاج الى تدرج. واذا كانت النقاشات الداخلية في الفصائل تأثرت بالظروف والمتغيرات المحلية والعربية والدولية واسهمت لاحقا في بلورة فهم سياسي معين له تعبيراته في برامج هذه الفصائل ومن ثم برامج وتوجهات منظمة التحرير بشكل عام، فان متابعة الصحف العبرية والتفاعل مع مضامينها اسهم بشكل او بآخر في التأثير على قناعات المعنيين، سواء كان ذلك في الاعتقال او بعد التحرر، وتحديدا لدى تلك المجموعة التي عملت في مواقع حيوية خارج الاعتقال. والحقيقة ان النسب التي حصلنا عليها من خلال الاجابة عن اسئلة الاستبيان هي لافته وتعطي مؤشرات جدية، على ما احدثته هذه الصحف في حياة من "ادمنوا" متابعتها وتحليل ما يرد فيها.

اقر 15% من العينة المستطلعة انهم اصبحوا اكثر تسامحا مع المجتمع الاسرائيلي، من خلال ما عرفوه عن هذا المجتمع من معلومات ومعطيات، اما 70% فقد اجابوا بـ"لا"، في حين رأى 10% من المستطلعين انه طرأ تغيير "الى حدما" على تسامحهم (انظر الجدول رقم 9)... ولو دققنا في نسبة ال 15% نجد انها قليلة مقارنة بـ 70%، لاننا يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان الصراع ما زال مستمرا، وان الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال، وهذا بالتاكيد يجعل "اللاتسامح" قائماً، ويعتقد الباحث ان النسبة التي افضت اليها الاجابات فيما يتعلق بهذه القضية منطقية، بسبب ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من عدوان تقوم به حكومة انتخبت من المجتمع الاسرائيلي.

وحسب النتيجة التي توصلنا اليها، فان 35% من المستطلعين صاروا اكثر تفهما لان يعيش المجتمع الاسرائيلي في دوله خاصة به، مقابل 65% اجابوا بـ"لا". واذا قارنا بين 15% الذين اصبحوا اكثر تسامحا مع 55% الذين صاروا اكثر تفهما لموضوع الدولة الخاصة، نجد تباعدا معينا، لكن هذا التباعد يصبح مفهوما بالنسبة الينا حينما نستنتج ان القبول بدولة اسرائيلية خاصة لا يعني ان اصحاب هذه النسبة، هم من المتسامحين، وانما من المؤكد انهم يوافقون

بالاستناد الى صعوبة حسم الصراع لاي من الطرفين، وتعقيدات وتشابك القضية، قوة اسرائيل ودعمها من قبل الولايات المتحدة الامريكية وغير ذلك، علما بان ال 15% المتسامحين، يمكن ادراجهم في اطار 55%، اما ال 40% فهم الذين غيّرت في قناعاتهم الوقائع وليس التسامح.

ونظرا لاهمية الاطلاع على ما يجري في المجتمع الاسرائيلي، فيعتقد 65% من العينة المستطلعة، ان القائد الفلسطيني، او العامل في احد اجهزة السلطة، ولكي يتخذ موقفا متوازنا في قضية معينة، عليه الاطلاع على ما تكتبه الصحف الاسرائيلية حول القضية ذاتها، ويعتقد 25% ان لا ضرورة لذلك، بينما اجاب 10% الى حد ما، اي انهم لا ينظرون للمسأله بعين الاهمية ولا يرفضونها.

	العدد	النسبة
نعم	12	%15
لا	56	%70
الى حد ما	12	%15
المجموع	80	%100

جدول رقم(9): يظهر ان 70% اجابوا بـ"لا" على اذا ما كانت الصحف العبرية قد جعلتهم اكثر تسامحا مع المجتمع الاسرائيلي، مقابل 15%اجابوا بـ"نعم".

حل القضية على اساس دولتين

ان الاطلاع المستمر على الصحف العبرية، بما مثله من تجميع وتركيم معلومات ومفاهيم ومعطيات، كان لابد وان يترك تأثيرا معينا مع مرور الزمن، فنحن نتحدث عن صحيفة ومتلق، في ظروف خاصة واستثنائية، وعن علاقة استمرت سنوات. الا ان المستوى الثقافي والسياسي للمتلق يحدد مستوى وطبيعة التأثر، خصوصا وان المقصود نخبة مناضلة، وليس جمهورا عاديا. وفيما يتعلق بتأثير وقراءة ومتابعة الصحف العبرية في بلورة قناعة لحل القضية الفلسطينية على اساس دولتين، فان هذا التأثير يصعب فصله ايضا عن النقاشات الداخلية لدى فصائل العمل الوطني الفلسطيني، وما طرأ على طروحات هذه الفصائل من تغيير.

لقد اقر 30% من المستطلعين بان متابعة الصحف العبرية ساعدتهم في بلورة هذه القناعة، مقابل 70% بقوا على قناعاتهم، اي رفض الحل على اساس دولتين(لاحظ الرسم التوضيحي رقم 10).

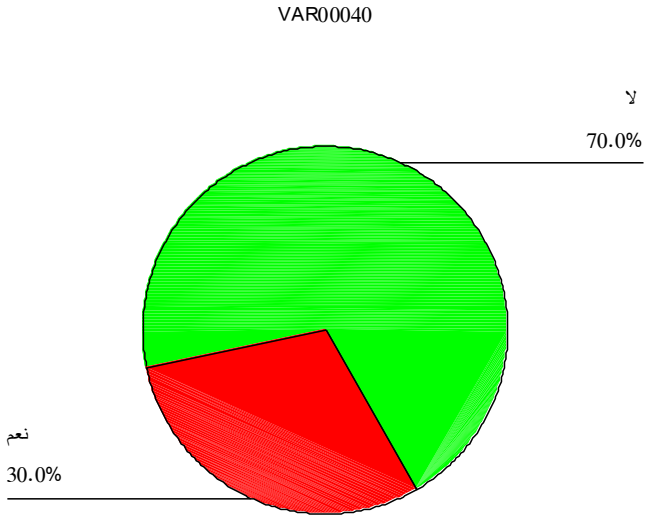

رسم رقم(10):يوضح ان القسم الاكبر من المعتقلين وبنسبة 70% لم تتبلور لديهم قناعة نتيجة متابعتهم الصحف العبرية، بخصوص حل القضية على اساس دولتين، فيما ان 30% تكونت لديهم هذه القناعة.

وبالعودة الى السؤال المتعلق بتفهم ان يعيش المجتمع الاسرائيلي في دولة خاصة به، والتي اجاب عنه كما اوضحنا 35% بـ"نعم"، فاننا وجدنا تقاربا كبيرا مع نسبة ال 30%، التي اكدت بان الصحف العبرية اسهمت في بلورة قناعاتهم على اساس دولتين، وهذا يعطي مؤشرات مهمة على ان الاجابات كانت مدروسة وتعبر عن قناعه.

اما لماذا 70% من المستطلعين في العينة اجابوا بان الصحف العبرية لم تساعدهم في بلورة قناعة لحل القضية على اساس دولتين! الاجابة عن السؤال المطروح، تعتمد على التحليل في الاساس، ويمكن تكثيفها في النقاط الاربع الاتية:-

1. ان العينة المستطلعة تمثل اتجاهات متعددة، وهناك من يرفض الدولتين لاسباب ايدولوجية وسياسية، ويطالب بدوله واحدة يعيش فيها الفلسطينيون واليهود دون تمييز، وهناك من يرى ان فلسطين التاريخية، هي للفلسطينيين، وانها احتلت على مرحلتين في العام 48 و67 وبالتالي يجب ان لا تتجزأ.

2. الصراع الفلسطيني مع الاحتلال ما زال مستمرا، وقد عانى الفلسطينيون كثيرا في سنوات الانتفاضه، والنخبة السياسية الثقافية التي شملها الاستطلاع تعيش الواقع وتتجرع المعاناة، ومن الطبيعي ان تتأثر اراؤها بما يجري، حين اتضح للفلسطينيين بالملموس واعتمادا على نتائج الانتخابات الاسرائيلية في دورتين متتاليتين ان المجتمع الاسرائيلي يجنح الى التطرف.

3. ان 70% من العينة المستطلعة يرفضون الحل على اساس دولتين اذا خيّروا بذلك، واذا كان الامر مرهون بالارادة والمشيئة الفلسطينية، لكن الغالبية العظمى من الفلسطينيين بما فيهم فصائل معارضة، اخذوا يتعاطون مع طرح الدولتين، من باب انه يشكل مفتاحا لحل القضية والحد من معاناة الشعب الفلسطيني. وان التعاطي معه اذا ما تم التوصل اليه، لا يعني انه حل نموذجي، وانما تفرضه موازين القوى والحسابات الدولية، والظروف الخاصة للفلسطينيين.

4. وكما اظهرت النتائج فان 85% من العينة المستطلعة، يعتبرون ان الصحف العبرية لها مواقف عدائية مسبقة من الفلسطينيين والقضية الفلسطينية، ما جعل اصحاب هذه النسبة يحددون موقفا مسبقا مما يكتب وينشر في الصحف العبرية، حتى اولئك الذين يقرون بالمهنية والتقنية العالية للصحف، فالاستفادة من الخبر والتحليل لا يعني القبول بالتوجهات السياسية والايدولوجية لهذه الصحف، الامر الذي يحد من امكانية التأثر على افكار وقناعات القراء المتابعين، الذين يحاولون الاستفادة مما ينشر بطريقتهم الخاصة ويخضعونه لفهمهم ووعيهم وتوجهاتهم.

الخلاصة

بيّنت المعطيات والمعلومات التي وفرها هذا البحث، وبالرجوع إلى المراجع والمصادر ذات العلاقة، لاسيما المقابلات التي أجراها الباحث مع ذوي التجربة، بيَّنت الارتباط الوثيق بين التطور الثقافي الذي شهدته التجربة الاعتقالية، وبين أوجهها الأخرى، النضالية، التنظيمية، الاجتماعية، كيفية إدارة الصراع مع إدارة السجون، في سياق المراحل التي تشكلت منها التجربة. وكان لتحقيق مطلب الصحف العبرية، علاقة مباشرة بمستوى معين من التجربة، يمكن تسميته بمرحلة النضج، التي توجت بإضراب نفحة في العام 80. هذا الإضراب الذي مثَّل نقلة نوعية شديدة الأهمية في حياة المعتقلين الفلسطينيين، بما حققه من إنجازات داخلية، أسهمت في تحسين شروط الحياة، وفي استقطاب الجماهير الفلسطينية في الخارج، لبذل مزيد من النضال المساند لقضايا المعتقلين. كما أن ما تحقق في نفحة في ذلك الإضراب قد انعكس معنوياً وإلى حد ما مادياً على المعتقلات الأخرى .

وغير إصرار المعتقلين على مطلب الصحف العبرية عن حالة متطورة من الوعي والقدرة العالية على التعاطي مع الأولويات. وكان لهذا المطلب دوافعه السياسية والنضالية والتنظيمية والثقافية والاجتماعية والنفسية. وعبَّر أيضاً عن إبداع، حيث سعى المعتقلون إلى كسر الحصار المفروض عليهم والنفاذ إلى الخارج، حتى من خلال صحف عدوهم .

وعودٌ إلى فرضيات البحث واستناداً إلى ما توافر لدينا من معلومات، وما تمخض عن قراءَتها وتحليلها، واستنادا الى نتائج الاستبيان التي عرضناها وحللناها في الفصل السادس فقد تم تأكيد القضايا التالية:-

1- ان الصحف العبرية عرَّفت المعتقلين بالمجتمع الإسرائيلي، أحزابه، توجهاته السياسية، أوضاعه الاجتماعية، فعالياته الثقافية، مستوى حركته الفنية والرياضية. وعرفتهم أيضاً أين أنجز هذا المجتمع وأين أخفق، وما هي مكامن قوته وضعفه. وكيف تنظر أحزابه وحكومته وصحفيوه وكتابه إلى الفلسطينيين وقضيتهم والصراع الدائر

معهم .

2- أسهمت هذه الصحف في كسر طوق العزلة، الذي فرضته إدارة السجون على المعتقلين. وتمكن المعتقلون من خلال وجود الصحف يومياً في متناولهم من مواكبة التطورات السياسية في الخارج : فلسطينياً وإسرائيلياً وعربياً ودولياً .وقد شكَّل هامش الحرية الواسع الذي تعمل فيه الصحافة الإسرائيلية مقارنة مع الرقابة المشددة على الصحف الفلسطينية تحت الاحتلال، فرصةً ذهبية للمعتقلين الفلسطينيين والعرب، للاطلاع على الأخبار والتقارير والتحليلات، التي ما كان لهم ان يطلعوا عليها إلا بوساطة هذه الصحف .

3- حفَّزت الصحف العبرية عدداً كبيراً من المعتقلين، على تعلم اللغة، وأصبحت قراءَة الصحيفة العبرية وفهم أخبارها ومقالاتها طموحاً ملازماً لكل متعلمي اللغة. وتحولت الصحيفة في المعتقل إلى أداة رئيسة لتطبيق الحصيلة التعليمية. وفي تجربة المعتقلين كان يبدأ التطبيق بعد الانتهاء من الكتاب الرابع والأخير في السلسلة التعليمية "ألف مليم"، وكما تبين معنا في نتائج الاستطلاع فان القسم الاكبر من المستطلعين تعلموا اللغة من اجل ان يقرأوا الصحف العبرية، اي ان دخول الصحف الى المعتقلات كان المحفز الاكبر لتعلم اللغة العبرية.

4- لعل أحد أهم إنجازات إدخال الصحف، هو خلق وتنشيط نواة ترجمة عن العبرية في المعتقلات، تفرَّع عنها لجان متخصصة في الترجمة، شملت جميع المعتقلات وبلا استثناء. وهذا ما يؤكد فرضية ان الصحف عملت على بلورة حركة ترجمة عن العبرية في المعتقلات، من خلال قراءَة الأخبار والمقالات والتحليلات عن الصحف العبرية، على مدى سنوات طوال، وإخضاعها للترجمة، بالاستفادة من الأساليب الكتابية لعدد من المحللين والمتخصصين الإسرائيليين في السياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية، والمتخصصين في الشؤون الفلسطينية والعربية.

5- لا يمكن فصل ما تحقق في المعتقلات من تبلور حركة ترجمة عن اللغة العبرية، عمّا تحقق خارجها، وعلى وجه الخصوص، بعد ان تحرر عدد لا بأس به من المعتقلين الذين اتقنوا العبرية. لذا ليس بالصدفة ان

تستقطب الصحف والمجلات المحلية معظم المترجمين الذين تخرجوا من (مدرسة المعتقل). وليس بالصدفة أيضاً أن يبادر عدد من خريجي التجربة إلى تأسيس دوائر إسرائيلية قائمة في الأساس على ترجمة ما تنشره الصحف ومراكز البحث الإسرائيلية مثل الدائرة الإسرائيلية في جهاز الأمن الوقائي. وما كان للمعتقل السابق عطا القميري، ان يصل بنشرة "المصدر" إلى مستوى مرموق، لتغدو معتمدة من قبل المؤسسات الخاصة والحكومية، لما تتمتع به من منهجية ومصداقية وإمكانات إبداعية في الترجمة، ما كان لهذه النشرة اليومية ان تصل إلى ما وصلت إليه بمعزل عن تجربة القيمري وقدراته اللغوية التي اكتسبها في المعتقل وبنى عليها وطوَّرها في الخارج.

وما كان للمعتقل السابق سعيد عياش، ان يصبح المترجم الرئيس، لأحد أهم المراكز المتخصصة في الشؤون الإسرائيلية "المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية"، لولا انه اكتسب مهارة الترجمة في المعتقل، وواصل بعد تحرره عن طريق الجهد والمثابرة، وأيضاً من خلال التعلم في معهد أكاديمي. أما ناصر اللحام، الذي يعد ويقدم برنامجاً ناجحاً في تلفزيون بيْت لحم، يقوم على أساس الترجمة الفورية المباشرة عن الصحف العبرية، وعن التلفاز الإسرائيلي، فيعترف وبرنامجه يحظى بشعبية واسعة وينتظره الناس لحظة بلحظة، ان مدرسته الأساس هي المعتقل. وان تعلمه اللغة العبرية واتقانه الترجمة خلال فترة اعتقاله شكلت نقطة الانطلاق نحو تجربة الترجمة الفورية المباشرة .

تحدث عدنان الضميري في المقابلة التي أجراها معه الباحث، بحماس شديد عن تجربته في تعلم اللغة العبرية في المعتقل و إتقان الترجمة، وكان يسترجع فصول التجربة بدقة يقف عند التفاصيل، ليؤكد انه مدين للتجربة الاعتقالية. لانها سلحته بالإمكانات اللغوية وزودته بروح اللغة، ومكنته من التعمق في دراسة المجتمع الإسرائيلي. الضميري نفسه كان من المتحمسين لفكره تأسيس دائرة شؤون إسرائيلية في جهاز الأمن الوقائي، هذه الدائرة التي عمل على تنشيطها و تفعيلها إلى جانب الضميري، عدد من المعتقلين الآخرين، ومنهم على وجه التحديد صالح أبو لبن.

لم نستطع في هذا البحث إثبات فرضية، ان إدارة السجون هدفت بإدخال الصحف العبرية، إلى التأثير على

المعتقلين وقولبتِّهم وفق نمط التفكير الإسرائيلي. ولم يوافق معظم الذين قابلناهم على هذه الفرضية، منطلقين من حقيقة، ان إدخال الصحف، لم يكن هبة أو منحة مجانية من قبل إدارة السجون، بقدر ما خضع لنضال دؤوب، فالإضراب الذي حقق مطلب دخول الصحيفة العبرية، استشهد فيه وعلى إثره ثلاثة مناضلين. اما نتائج الاستبيان فجاءت لتنفي وبنسبة 60% ان ادخال الصحف ارتبط بخطة اسرائيلية، مقابل 40% اقروا بوجود مثل هذه الخطة، ونحن نأخذ بحثيا بالنسبة الاكبر، بمعنى نفي فرضية المخطط الاسرائيلي.

كان دخول الصحف العبرية اختراقاً للحصار المشدد، ونفاذاً إلى قلب المدرسة الصحفية الإسرائيلية بإمكاناتها وتقنياتها، للاستفادة مما وفرته، وحتى لو ان إدارة السجون فكرت لاحقاً في قضية التأثير، فقد جاء ذلك بعد ان صارت الصحف في المعتقلات تحصيلاً حاصلاً. لكن تنبه المعتقلين لما يمكن ان تحدثه الصحف من تأثير عليهم، وبخاصة على الجدد، حال دون حصول التأثير الكبير، علما بان التأثير قد حصل وبنسب متفاوته، الا ان النسبة الاكبر التي حصلنا عليها من الاستبيان، ان الذين لم يتأثروا بمضامين وتوجهات هذه الصحف هم اكثر من الذين تأثروا، والسبب ادراك القسم الاكبر من المعتقلين بان لهذه الصحف مواقف عدائية مسبقه من الفلسطينيين، اضافة الى الاسلوب الانتقائي الذي كان يتبعه المعتقلون في التعامل مع المقالات والتحليلات، الى جانب اعادة صياغتها ونشرها وتعميمها مذيلة بتعليق او تحليل يرد على ما ورد في هذا المقال او التقرير او ذلك.

وبالاستناد الى ما جاء في نتائج الاستبيان فان 75% من المستطلعين لم تغير الصحف العبرية في مواقفهم من الحل السياسي وان 65% من المستطلعين لم يتأثروا بطروحات الكتاب والمحللين الاسرائيليين في الصحف العبرية فيما يتعلق بان يعيش اليهود في دولة خاصة بهم، اضافة الى 70% من المستطلعين لم تجعلهم الصحف العبرية يقنعون بحل سياسي على اساس دولتين. اذن فرضية التأثير الشامل على المعتقلين تكون قد سقطت لدى غالبية المعتقلين، لكن في المقابل يجب ان لا نقلل من اهمية نسب التأثر التي تراوحت بين 30–35% لدى المستطلعين.

ان تعلم وتعليم اللغة العبرية في المعتقلات، قد تحرر من تحديدات وتعقيدات النمط التعليمي التقليدي، فكانت

دوافعه ذاتية، اي على مستوى الإنسان الفرد، وذاتيه على مستوى الجماعة المعتقلة لا يمكن فصل توجهات تعلم وتعليم اللغة العبرية، عن تعلم وتعليم محو الأمية في اللغة العربية، وتعلم اللغات الأخرى الإنجليزية، الفرنسية، الروسية. ولا يمكن فصل ذلك عن توجهات تعلم وتعليم المبادئ التنظيمية لهذا الفصيل أو ذاك، أو التوجهات السياسية و الأيدولوجية، ولا عن تعلم وتعليم الفلسفة والاقتصاد ...الخ .

انها توجهات انطلقت من الذات، التي أدركت ووعيت أهمية اشغال الوقت واستثماره فيما هو مفيد ونافع، وفي توظيف العملية التعليمية المعرفية العامة في الارتقاء بالإنسان، لأن الوعي هو أحد الركائز المتينة للعملية النضالية، وفي غيابه يسود التخبط والعشوائية .

ان عملية التعلم والتعليم في تجربة المعتقلين الفلسطينيين تتشابه إلى حد كبير مع الفلسفة التعليمية غير التقليدية القائمة على المشاركة بين المعلم والتلميذ التي آمن ودعا إليها باولو فريري، بعيداً عمّا اسماه بنك المعلومات، القائم على أساس التلقين، حيث يتحول التعليم التقليدي إلى "عملية إيداع، يكون الطلاب فيها الجهة التي يتم الإيداع فيها، والمعلم هو المودع. وبدلاً من ان يقوم المعلم بالتواصل مع الطلاب، يلجأ إلى إصدار البيانات وايداع ما لديه.فيتلقاها الطلاب و يحفظونها غيباً تصير، هذا هو المفهوم البنكي للتعليم ".(1)

ان أسلوب المشاركة اليومية الطوعية الفاعلة في عملية التعليم وفي جميع المجالات، حوَّلت المعتقلات إلى مدارس شعبية، لا تخضع إلى إدارات بيروقراطية، تعتمد على مجموعة من المتطوعين لتعليم الطلاب، ولذا يمكن تطبيق توصيف فريري على هذا النمط من التعليم باعتباره ممارسة إنسانية راقية تخدم عملية التحرر. انه تعليم يمكِّن المعلمين والطلاب، من الوصول إلى الهدف، ومن ان يصبحوا فاعلين في العملية التعليمية، وذلك بالتغلب على السلطوية والنزعة الفكرية التغريبية، ويمكِّن المعلمين والمتعلمين أيضاً من التغلب على الإدراك الخاطئ للواقع، وبالتالي يصبح العالم، الذي لم يعد يوصف بكلمات خادعة، هدف ذلك العمل التحويري من قبل الناس الذي يعمل بدوره على أنسنتهم.(2)

ويصح القول عن تجربة التعلم والتعليم الخاصة بالمعتقلين الفلسطينيين والعرب، سواء تعلق الأمر باللغة العبرية، أو بأية مجالات أخرى. انها تجربة إبداعية بكل المقاييس لأنها انبثقت من الخاص وانفتحت على العلوم واللغات، لا بمنطق "معلم الطلاب وطلاب المعلم" وإنما بمنطق "المعلم الطالب مع الطلاب المعلمين" حسب فهم فريري للتعليم بالمشاركة.(3)

وبالفعل من عاش التجربة الاعتقالية، او اطلع عليها من خلال الاستماع إلى آخرين، أو بقراءَة الشهادات والنتاجات التي تحدثت عن التجربة المذكورة، يخرج بنتيجة، ان الطالب هو متعلم ومعلم في ذات الآن، وان المعلم يعلم وفي المقابل يتعلم. التعليم الذي يعطي فرصة للمعلم لتمكين قدراته وتثبيت أدواته، كونه لم يكن معلماً في الأصل، وإنما اكتسب دور المعلم بالتجربة، الرغبة والإصرار وباعتراف الآخرين. والطالب يناقش ويستفسر ويقترح وينبه، و بالتالي هو يعلِّم ويفيد ويغني تجربة معلمه. ومعلم العبرية في هذه الحلقة، قد يكون متعلماً للفلسفة أو اللغة الإنجليزية في حلقة ثانية بعد ساعة من الزمن، والطالب هنا يصبح معلماً في مجال آخر، استوعب أكثر من غيره، وهكذا تدور دائرة التعليم الذاتي الإبداعي في المعتقلات.

واخيرا، فان الباحث يوصي مراكز البحث والجهات ذات الاختصاص، بايلاء تجربة المعتقلين الفلسطينيين الاهمية التي تستحق، على صعيد التوثيق والتحليل، فهي تجربة غنية وعميقة وتشمل جوانب وابداعات متنوعة، وان التوجه لدراستها بشكل منهجي وشمولي من قبل مؤسسات تتبنى وتشرف وتوجه هذه العملية، من شأنه ان يضيف الى المكتبة الفلسطينية والعربية دراسات قيمة، ترتبط بتجربة اعتقالية هي الاوسع والاشمل والاكثر عمقا مقارنة بتجارب حركات التحرر الاخرى، نظرا لـ"الكم" الكبير الذي خاضها، الى جانب ما نتج عنها فكريا وتنظيميا، بعد ان تحولت المعتقلات الى مدرسة حقيقية تخرج الفوج تلو الاخر.

هوامش الخلاصة

1- فريري باولو، **نظرات في تربية المعذبين في الأرض**، رام الله: دار التنوير والمركز الفسطيني للسلام والديمقراطية، 2003، ص 48.

2- المرجع السابق، ص 66.

3- المرجع السابق، ص 58.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب :

1- البابا، عبد الحميد، **شخصيات إسرائيلية**، رام الله: دون دار نشر، 1995.

2- جاد الله، سلمان، **منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية**، غزة- فلسطين: جمعية الأسرى والمحررين/حسام/، 2000.

3- الجوهر، زاهر، **شعر المعتقلات في فلسطين(1967-1993)**، رام الله: المركز الثقافي الفلسطيني(بيت الشعر)، .1997

4- الحاج، فهد، **انتفاضة الجوع من وراء القضبان**، رام الله: دون دار نشر، .1993

5- الحسيني، مازن، **قراءة في فكر غرامشي السياسي**، القدس: دار التنوير للترجمة و التوزيع، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديموقراطية، .2001

6- الخليلي، علي، أبو لبدة محمد وآخرون، **الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال**، المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة(بانوراما)، .1992

7- الخيري، بشير، **خفقات ذاكرة**، ط2، القدس – بيت لحم: مركز المعلومات البديلة، .1997

8- ديفيد، غروسمان، **ابتسامة الجدي**، ترجمة حسن خضر، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1996.

9- الرجوب، جبريل، **تجربة أسرى الثورة الفلسطينية بين نفحة و جنيد الزنزانة رقم 704**، القدس: وكالة أبو عرفة للنشر، 1984.

10- سمارة، عادل، **احتجاز التطور**، القدس: مكتب الحياة، 1987.

11- سمارة، عادل، **اقتصاد تحت الطلب**، دراسة في محوطة اقتصادي الضفة و القطاع عبر التبادل مع

المجموعة الأوروبية، القدس: مركز الزهراء للدراسات و الأبحاث، .1989

12- سمارة ، عادل ، **التنمية بالحماية الشعبية** ، القدس: مركز الزهراء، 1990.

13-أبو شماله، صلاح فايز، **رياحين بين مفاصل الصخر**، مختارات من أدب المعتقلات، غزة- فلسطين جمعية الأسرى و المحررين/حسام/، 2001.

14- أبو شمالة، صلاح فايز، **الانتفاضة في قواعد اللغة العربية**، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1990.

15- شيلغ، يائير، **المتدينون الجدد**، نظرة راهنة على المجتمع المدني في إسرائيل، (ترجمة الى العربية سعيد عياش)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، .2002

16- طوباسي، نعيم، "**عذابات شعب، من يوميات صحفي في معتقل النقب**"، رام الله: نقابة الصحفيين الفلسطينيين، .2003

17- طويل، حوا ريموندا، **سجينات الوطن السجين**، عكا: دار الأسوار، .1988

18- عبدالله، حسن، **الحضن الدافىء والعصا الغليظة**، علاقة الفرد بالجماعة في تجربة المعتقلين الفلسطينيين، رام الله: نقابة الصحفيين الفلسطينيين، 2003.

19- عبدالله، حسن، **أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني**، رام الله: مركز المشرق للدراسات ومركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، .2004

20- عبدالله، حسن، **النتاجات الأدبية الاعتقالية**، القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، .1994

21- عبد الله، حسن، **دراسة تحليلية تأريخية في الصحافة الاعتقالية**، رام الله: مركز المشرق للدراسات، 1996.

22- عبد الله، حسن، **صحفي في الصحراء**، مجموعة قصصية، ط2، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين،

.1995

23- عبد السلام، واخرون، **كلمات سجينة**، اعداد (ابو فلسطين)، ط3، القدس: بلا ناشر، 1977.

24- عنقاوي، محمد إبراهيم حلمي، **المراحل الأولى للمسيرة خلف القضبان**، رام الله: مطبعة الغد، .1995

25- غزاوي، عزت، **رسائل لم تصل بعد**، ط2، القدس: الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، .1994

26- قراقع، عيسى، المطور جميل أبو حمام، **اقتحام الوعي العالمي في انتفاضة أسرى فلسطين في سجون الاحتلال(12/5-1998/12/15)**، رام الله: مركز المشرق للدراسات، 1999.

27- قراقع، عيسى، **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد اوسلو(1993-1999)**، بيرزيت- فلسطين: جامعة بير زيت(معهد الدراسات الدولية)، 2001.

28- القيمري، عطا، **السجن ليس لنا**، دون دار نشر، .1986

29- الفاهوم، وليد، **طيور نفي ترتسا(فلسطينيات في سجن النساء الفلسطيني)**، الناصرة: مكتبة الفاهوم، .1984

30- فريري، باولو، **نظرات في تربية المعذبين في الأرض**(ترجمة مازن الحسيني)، رام الله- فلسطين: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع والمركز الفلسطيني لقضايا السلام والديموقراطية، .2003

31- لانغر، فليستيا، **بأم عيني**، ط2، القدس: منشورات صلاح الدين، 1979.

32- لانغر، فليستا، **أولئك أخواني**، القدس: دار صلاح الدين، .1976

33- أبو لبدة، محمد، علي الخليلي، داود كتاب، نعيم الطوباسي، **الصحافة الفلسطينية تحت الاحتلال**، القدس: المركز الفلسطيني لتعميم المعلومات البديلة(بانوراما).

34- الهندي، خالد، **التجربة الديموقراطية للحركة الأسيرة**، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، .2000

35- الهودلي، وليد، **مدفن الأحياء**، شهادات من المعتقل، رام الله- فلسطين: دار الزهراء للنشر والتوزيع(بيت الشعر)، 2001.

36- يوءاب، غيلبر، اليك د. افشتاين، دان شيفتن، **مداخلات يمينية في نقد الانتقادين، عن فوبيا العرب**، (ترجمة سعيد عياش)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، 2004.

ب- الدوريات والصحف:

1- شاحوري، دالية، (حول النقديين الجدد)، هآرتس، 2004./4/20

2- ليفي، جدعون، (هذا الشيء الذي يدعى ابعاد)، هآرتس، 1997./5/25

3-ليفي، جدعون، (قصة خفقات ذاكرة لبشير الخيري)، هآرتس، 1997./5/25

4-ليفي، جدعون، (صمت الاطباء)، هآرتس، 1998/8/9.

5- ليفي،جدعون، "الاعتقال الإداري وصمة عار لإسرائيل فمتى نتخلص منه"، **صوت الأسير**، عدد4، 1998.

6- هاس، عميرة، "عندما تقول إسرائيل: لا"، هآرتس، ترجمة المصدر، 1999/9/15.

7- هاس، عميره، (هل السجناء الفلسطينيين مجرد بحث ميداني؟)، الايام، 1997/1/17 .

8- هارلو باربارا، (الفن الروائي في السجن)، مجلة الآداب، العددان 5+6، تموز، 1990.

9- نفحة، مجلة تعنى بشؤون الأسرى والمعتقلين، عدد أيلول 2003.

10-الأسرى، دورية تعنى بشؤون الحركة الأسيرة، العدد الأول، رام الله- فلسطين: تموز، 2003 .

11- إبداع نفحة(مجلة أدبية) بأقلام عدد من معتقلي نفحة، دار القسطل للدراسات والنشر، القدس: 1990.

12-(من السجن الى الصحافة والكتابة)، الصنارة(الملحق)، 1998./4/3

13- (الاعتقال الاداري وصمة عار لاسرائيل فمتى تتخلص منه)، صوت الأسير، عدد4، نيسان، 1998.

14- يرون، ميخائيلي، (عشر سنوات بعد أنصار)، يديعوت احرنوت، 1998./6/12

15- كليلي، ليلى، (الديسك الاسرائيلي في طول كرم)، هآرتس، 1994/3/18.

ج-برامج تلفزية:

1- أسبوع الثقافة الاعتقالية(الحلقة الاولى)، تلفزيون وطن، 1999./7/7

2- أسبوع الثقافة الاعتقالية (الحلقة الثانية)، تلفزيون وطن، 1999./7/8

3-برنامج حصاد الأسبوع، تلفزيون وطن، 2004./2/12

4- غزاوي عزت، برنامج لقاء، تلفزيون وطن، 1997/6/1.

د- ورشات عمل:

1- ثقافة تحدت القيد، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديموقراطية، رام الله: 2002./11/26

2-سطور من ذاكرة التجربة، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديموقراطية، رام الله: 2002/12/30.

هـ- شهادات:

1- الديسي، ياسر، صرخات في الظلام، الحياة في المعتقلات الإسرائيلية(شهادة)، مؤسسة الحق، رام الله: 2001.

2- رمانة، عبد الرحمن، شهادة صحية مقدمة لمسابقة مؤسسة لجان العمل الصحي، لعام 2003.

3- عبد الصمد, مؤيد،(الانتهاكات الصارخة لإدارات السجون الإسرائيلية في مجال الرعاية الصحية والعلاج الطبي) شهادة مقدمة للجان العمل الصحي، فازت بالمرتبة الأولى في مسابقة لعام 2003.

و- مخطوطة:

- أبو عباية، حافظ، مخطوطة، حملت عنوان" تجربة اعتقالية"، مقدمة الى مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بتاريخ 1998/9/28 لإدراجها في الموسوعة التي سيصدرها المركز لتوثيق تجارب المعتقلين الفلسطينيين والعرب.

ز- مقابلات مع معتقلين سابقين:

1- إبراهيم أبو كامش، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/1/13.

2- أحمد أبو غوش، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./3/1

3- أميرة حبش، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./4/16

4- جورج كرزم، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/4/1.

5- سعيد عياش، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/4/2.

6- سهيل برغوثي، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./3/2

7- صالح أبو لبن، بيت لحم، تاريخ المقابلة 2003/12/7.

8- صلاح حبوب، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./5/10

9- عاهد الخواجا، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/3/7 .

10- عائشة عودة، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./3/1

11- عبد الحميد البابا، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./5/1

12- عبد الرحمن ترك، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/2/12.

13- عدنان الضميري، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/4/15.

14- عطا القيمري، القدس، تاريخ المقابلة 2004/1/2.

15-عطاف يوسف، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./3/1

16- علي جده، القدس، تاريخ المقابلة 2003/12/5.

17- عماد النتشة، بيت لحم، تاريخ المقابلة 2004/2/15.

18- عمر عساف، رام الله، تاريخ المقابلة 2003./7/2

19-غسان جرار، رام الله، تاريخ المقابلة 2003/7/1.

20- فهد أبو الحج، رام الله، تاريخ المقابلة 2003/7/13.

21-محمد ابو لبدة، القدس، تاريخ المقابلة 2003/11/15.

22-محمد مناصرة، بيت لحم، تاريخ المقابلة 2003/12/14.

23- محمد نزال، رام الله، تاريخ المقابلة 2003./12/15

24- منصور ثابت، "عن طريق الفاكس رام الله- غزة"، تاريخ المقابلة 2003/10/20.

25- ناصر اللحام، بيت لحم، تاريخ المقابلة 2003/12/30.

ح- مقابلات مع حقوقيين ومهتمين:-

1- بثينة دقماق، تاريخ المقابلة 2004/6/13.

2- تيسير الزبري، تاريخ المقابلة 2004./2/5

3- خالدة جرار، رام الله، تاريخ المقابلة 2004./3/23

4- رائد عثمان، بيت لحم، تاريخ المقابلة 2004/1/16.

5- سحر فرنسيس، رام الله، تاريخ المقابلة 2004/1/10 .

المراجع باللغة الإنجليزية :

أ- الكتب :

1- Harlow, Barbara, ***resistance literature***, Methuen Inc and Methuen and co, New York and London, 1987.

2- ***Modern Palestinian Short Stories in Translation***, Ed. Izzat Ghazzawi & Claire Peak, the Palestinian Writers` Union, 1998.

ب- رسائل أكاديمية:

1- Esmail, Nashif. ***''Identity, Community, and Text: The Production of Meaning Among Palestinian Political Capitives'' Diss of philosophy***. University of Texas at Austin, 2004.

2- Alkazaz, Hadeel. ***''The Role of Non-formal Education in Ddevelopment: The Experience of Palestinian Prisoners in Israeli Prisons''Diss of philosophy***. University of Leeds, 1994-1997.

3- Jaber, Shadi. ***'' Artistic Expression of the Palestinian Political Prisoners in the Israeli Prisoners''Diss of master***. European Graduate School EGS, 2003.

4-Tamash, Hadeel. ***''Pain and Violence in Palestinian War- Prisoner Narrative''Diss of philosophy.*** (Still preparing), University of Michigan.

ملحق:-

رسالة توضيحية حول الاستبيان واهدافه

السيد/ه..... المحترم/ه
تحية طيبة وبعد

نتوجه اليك بهذا الاستبيان للاجابة عن اسئلته، لصالح رسالة اكاديمية لنيل شهادة الماجستير، مقدمة الى عمادة الدراسات العليا في جامعة القدس- مركز الدراسات الاقليمية، بعنوان:- الصحافة العبرية في تجربة المعتقلين الفلسطينيين خلال الاعتقال وبعد التحرر.

وبعد اطلاعنا على قائمة من مركز ابو جهاد لشؤون الحركة الاسيرة، تبين لنا ان اسمكم قد ادرج في القائمة المذكورة، اعتمادا على تجربتكم الطويلة خلال فترة الاعتقال. ولان متابعتكم للصحف العبرية والشأن الاسرائيلي بشكل عام استمر بعد تحرركم، فاننا نأمل الاجابة عن (40) سؤال حول ذلك، لكي يتسنى للباحث قياس الى اي مدى استثمر المعتقلون الفلسطينيون الصحافة العبرية في الاعتقال، وكيف تواصل استثمار ذلك بعد التحرر، وما هو التأثير الذي تركته هذه المتابعة على المناضل المتابع(في الاعتقال وبعد التحرر).

وتتطلب الاجابة وضع اشارة ( ) امام كل سؤال، عند تحديد الخيار نعم( )، لا( )، الى حد ما( ).

ومعلوم ان الاجابة الدقيقة الموضوعية ستساعد الباحث على الوصول الى نتائج صحيحة تعطي مصداقية للبحث العلمي.

وتقبلوا فائق الاحترام
حسن عبدالله حسن محمد
2004/8/15

الاستبيان:

دور الصحف العبرية في تجربة المعتقلين، خلال الاعتقال وبعد التحرر

الاسم الرباعي_____(ذكر الاسم ليس الزامياً)
تاريخ الميلاد_____
مكان السكن_____
تاريخ الاعتقال_____
تاريخ الإفراج_____

---

1. المستوى الدراسي قبل الاعتقال؟
□ ابتدائي □ إعدادي □ ثانوي □ معهد او جامعة

2. اللغات الأجنبية التي كنت تعرفها قراءة وكتابة قبل الاعتقال، (قراءة وكتابة) بصرف النظر عن المستوى؟
□ اللغة الإنجليزية □ اللغة العبرية □ اللغة الفرنسية □غير ذلك حدد

3. هل سبق لك قبل الاعتقال أن اطلعت على صحيفة عبرية؟
□ نعم □ لا

4. ما الذي شدك الى هذه الصحيفة؟
□الاخبار □التقارير □التحليلات □ الصور □ غير ذلك حدد

5. متى بدأت في تعلم اللغة العبرية خلال الاعتقال؟
□ في السنة الاولى □ في السنة الثانية □ في السنة الثالثة □ بعد ذلك

6. هل وجود الصحف العبرية في المعتقل قد حفزك الى تعلم اللغة؟
□ نعم □ لا

7. هل تعلمت اللغة العبرية بتكليف من فصيلك؟
□ نعم □ لا

8. من خلال تجربتك الخاصة، هل شعرت أن ادارة السجن كانت معنية بانتظام دخول الصحف العبرية؟
□ نعم □ لا

9. هل تعتقد أن ادخال الصحف العبرية الى المعتقلات كان يندرج ضمن خطة من ادارة السجون للتاثير على مواقف المعتقلين ومفاهيمهم؟

□ نعم □ لا

10.ما الذي كان يشدك الى الصحف العبرية؟
□ الاخبار □ المقالات □التحليلات □ المواضيع الثقافية
□ الرياضة □ الصور □جميع ما ذكر

11.هل وجدت أن هذه الصحف اكثر تطوراً من الصحف الفلسطينية على صعيد الشكل والمضمون؟
□ نعم □ لا

12.ما هي الصحيفة أو المجلة التي كنت تفضلها؟
□ يديعوت احرنوت □ هارتس □ معاريف □ هعولام هزه

13.هل كنت مواظبا على قراءة الصحف العبرية بشكل يومي؟
□ نعم □ لا

14.في حال غياب الصحيفة العبرية في المعتقل ليوم أو لاكثر، هل كنت تشعر بفقدان شيء مهم ؟
□ نعم □ لا

15.هل شكلت لك الصحيفة العبرية قناة اخبارية ومعلوماتية وتحليلية، كان من الصعب عليك الاستغناء عنها؟
□ نعم □ لا

16.هل كنت تستعمل هذه المعلومات والمعطيات في احاديثك وحواراتك في المعتقل؟
□ نعم □ لا □ احيانا

17.هل كنت تسعى للحصول على معلومات من هذه الصحف تتعلق بالقضية الفلسطينية؟
□ نعم □ لا

18.هل عرفتك هذه الصحف على جوانب تتعلق بالمجتمع الاسرائيلي كنت تجهلها من قبل؟
□ نعم □ لا

19.أية فئة من الكتاب كنت تسعى لمتابعة مقالاتها وتحليلاتها أكثر من سواها؟
□ يساريون □ يمينيون □ ليبراليون

20.هل كنت تثق بمصداقية هذه الصحف؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

21.هل وجدت ان لهذه الصحف مواقف عدائية مسبقة من الفلسطينيين؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

22.هل استفدت من هذه الصحف على صعيد الاسلوب الكتابي؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

23.هل افادتك الصحف العبرية في تعميق وتعزيز قدراتك التحليلية؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

24.هل استفدت اسلوبياً وتحليلياً من هذه الصحف في طريقة كتابتك لمقالاتك في المجلات والنشرات الاعتقالية؟
□ نعم □ لا

25.هل المعلومات والمعطيات التي استقيتها من الصحف العبرية، اسهمت على المدى البعيد في تغيير وجهة نظرك حول المجتمع الاسرائيلي؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

26.هل اسهمت هذه الصحف في تغيير موقفك من الحل السياسي؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

27.هل كنت معجبا بمستوى الحرية التي تمتعت بها الصحف العبرية ؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

28.هل تمنيت ان تتمتع الصحافة الفلسطينية بنفس مستوى حرية الصحافة العبرية؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

29.بعد تعلمك اللغة العبرية هل حاولت ان تكتب مقالا بهذه اللغة؟
□ نعم □ لا

30.هل حاولت ان تكتب مقالا بالعبرية وانت في معتقلك وترسله الى صحيفة عبرية لتوضيح قضية ما؟
□ نعم □ لا

31.اذا كانت الاجابة بنعم، هل نشر هذا المقال ام لم ينشر؟
□ نعم □ لا

32.بعد تحررك من الاعتقال، هل تابعت قراءة الصحف العبرية؟
□ بانتظام □ بشكل متقطع □ لم اتابع

33.هل عملت بعد تحررك في مجال احتجت فيه اللغة العبرية؟
□ نعم □ لا

34.هل اصبحت هذه اللغة احدى مكونات وظيفتك؟
□ نعم □ لا □ الى حد ما

35.هل حاولت بعد تحررك تطوير لغتك العبرية وفق اصول منهجية من خلال معهد او غير ذلك؟

□ نعم □ لا

36.هل الحصيلة التي كونتها بشكل عام من خلال هذه الصحف قد جعلتك بعد تحررك اكثر تسامحا مع المجتمع الاسرائيلي؟

□ نعم □ لا □ الى حد ما

37.هل اصبحت اكثر تفهما لان يعيش المجتمع الاسرائيلي في دولة خاصة به؟

□ نعم □ لا

38.هل اطلاعك على ما يجري في اسرائيل جعلك اكثر واقعية اتجاه

حل القضية الفلسطينية؟

□ نعم □ لا

39.هل تعتقد أن القائد السياسي الفلسطيني، أو المحلل أو العامل في احد اجهزة السلطة، ولكي يتخذ موقفا متوازنا من قضية معينة علية الاطلاع على ما تكتبه الصحف الاسرائيلية حول القضية ذاتها؟

□ ضروري جدا □ ضروري □ ليس ضروريا

40.هل ساعدتك قراءاتك ومتابعاتك للصحف العبرية في تكوين قناعة لحل القضية الفلسطينية على اساس دولتين؟

□ نعم □ لا